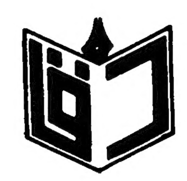
دِيوانُ



شرحه وضبط نصوصه وقدّم له

الدكتور عمر فاروق الطبّاع



دِيوَانُ
ابْنِ خَفَاجَة

لدار القلم للطباعة والنشر والتوزيع
لصاحبها أحمد أكرم الطبّاع
بيروت - لبنان - ص.ب ٣٨٧٤

دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف : ٨٣٤٩٧٣/٤ - ٦٠٣٠١٣ - ص.ب : ٣٨٧٤ .
فاكس : ٦٠٣٠١٣ كود : ٠٠٩٦١١



ابن خفاجة

بقلم: الدكتور عمر الطبّاع

بعد ربع قرن من نهاية العهد الأموي في الأندلس [(١٣٨ ـ ٤٢٢ هـ) = (٧٥٠ ـ ١٠٣٠ م)]، قام عهد جديد، هو ثالث عهود الحكم العربي في أسبانيا الإسلامية عرف بعهد ملوك الطوائف، الذي أمتدّ نحواً من خمسة قرون [(٤٠٣ ـ ٨٩٧ هـ) = (١٠١٢ ـ ١٤٩٣ م)]، زال في نهايتها نفوذ العرب السياسي في هاتيك الربوع، لتظلّ مشرقة فيها أضواء شموسهم الفكرية والأدبيّة.

في هذا العهد من عهود الأندلس المعروف أيضاً بعهد الإمارات أو الدويلات ولد ابن خفاجة، أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله. وكانت ولادته سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م)، في جزيرة شَقْر[١]، الواقعة شرقي البلاد. وشَقْر في الحقيقة بلدة ساحلية بين شاطبة وبَلَنْسية، أطلق عليها الجغرافيون اسم الجزيرة، على نحو ما فعلوا بالقياس إلى شبه جزيرة أيبيريا حين أطلقوا عليها اسم الجزيرة لإحاطة الماء بها من أكثر جهاتها.

●

وإذا كان لموطن الولادة والنشأة تأثير في تكوين الشخصية، ولا سيما الجانب الذهني منها، فليس لنا أن ننكر أثر «شَقْر» مسقط رأس ابن خفاجة في نزعته الأدبية وخياله الشعري بخاصة، فقد كانت كما وصفها ياقوت «أنزه بلاد الله وأكثرها روضة وشجراً وماء»، ذكرها ابن عائشة الأندلسي فقال:

ألا خَلِّياني والصِّبا والقوافيا ... أُرَدِّدُها شَجْواً فأجْهَشُ باكيا

وقد بان حلوُ العيشِ إلا تَعِلَّةً ... يُحدِّثني عنها الأمانيّ خاليا

فيا بـردَ ذاكَ المـاءِ هـل منـكَ قطـرةٌ فهـا أنـا أَستَسْقـي غمـامـك صـاديـا
وهيهـات حـالـت دون شَقْـر وعهـدهـا ليـالٍ وأيـامٌ تنحـال ليـاليـا
فيـا راكبـا مستعمـل الخطْـو قـاصـداً ألا عُـجْ بشَقْـر رائحـاً ومُغـاديـاً
وقِـفْ حيـث سـال النَّهـرُ ينسـابُ أرقمـا وهـبَّ نسيـمُ الإيـكِ ينفـث راقيـا

وإذا كانت شَقْر قد نفحت ابن خفاجة بنفحات الإلهام الفنيّ الأولية، فبلنسية بشطآنها وخمائلها وأنهارها وما ينبت في كورها من الزعفران، كانت أبعد أثراً في وثبات خياله، كيف لا وهي إحدى مسارح نشأته وصباه، ومجلى ناظريه، ولطالما سعى إلى رياضها ولاذ بظلالها فرأى فيها بروداً موشّاة من الحسن والبهاء حرّكت في ذاته مكامن السحر والفتنة، وهي المكامن التي ألهمت أبا العباس أحمد بن الزقاق قوله:

كـأنّ بلنسيـة كـاعـبٌ وملبسهـا السُّنـدس الأخْضـرُ
إذا جئتهـا سَتَـرَتْ وجْهَهـا بـأكمـامهـا، فهـي لا تظْهَـرُ

أو قوله:

بلنسيـة جنـةٌ عـاليَـهْ ظِـلال القُطُـوف بهـا دانيَـهْ
عيـون الـرحيـق مـع السلسبيـلِ، وعيـن الحيـاة بهـا جـاريـة

هذه الملامس من الجمال في طبيعة أرض النشأة الأولى التي انتشى بها ابن خفاجة، تستطيع أن تطالع سطورها وصفحاتها في شعره الوصفي، وهو أوسع فصول سفره الشعري وأبوابه، ومن هذه الخيوط ومن ريّا تلك الخطرات، تحوّل وجدان ابن خفاجة إلى ميدان أكثر عمقاً وانفساحاً حين تغنّى بالأندلس فقال:

إنَّ لِلْجَنَّـةِ بـالأَنْـدَلُـس مُجْتَلـى حُسْـنٍ وريّـا نَفَـسِ
فسنـا صُبْحَتِهـا مـن شَنَـبٍ ودجـى لَيْلَتِهـا مـن لَعَـسِ
وإذا مـا هبّـت الـريـحُ صبـاً صِحْـتُ واشـوقـي إلـى الأنـدلـسِ

●

عاصر ابن خفاجة الدولة العامرية في بلنسية وكانت في إبّان ازدهارها عند ولادته (٤٥٠ هـ ـ ١٠٥٨ م) ورافقها أربعة عقود قبل زوالها سنة ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ م)

لكنه لم يتصل بملوكها، ولا بملوك الطوائف في مدن الأندلس وحواضرها الشهيرة كمثل غرناطة وقرطبة وإشبيلية، لا لخمول في الشاعرية أو انعدام الشهرة بل لمزاج رومنسي غلب عليه وشدّه إلى أرجاء الطبيعة التي هام بها هيام عاشق متيّم، كان يصبو إلى لوحاتها في وداعة الربيع، كما يصبو إليها في مجامر صيفها وصقيع شتائها. لكنّ هذا الشغف البالغ بهياكل الجمال المشرئبة في جنبات الأندلس، والتي كان يراها في الأنجاد والوهاد، وفي الجداول والأنهار، وفي المروج السندسية والقمم الخاشعة الذاهبة في أجواء الفضاء... كل هذا لم يحل بينه وبين روابط الودّ والإخاء مع العديد من قادة البلاد وأمرائها الذين نالوا غير قليل من مدائحه ومراثيه الصادقة، ومن هؤلاء الأمير أبي إسحاق حين تقلّد كورة إشبيلية، والوزير محمد بن عبد الله بن ربيعة، وأبي الحسن بن الربيع صاحب قرطبة والوزير أبي محمد طاهر بن عامر.

هذا الجنوح إلى الأجواء الحالمة، وانجذاب فؤاد الشاعر إلى عوالم المرأة والطبيعة ومجالس المدام، هما التعليلان اللذان نفسّر بهما اعتبار ابن خفاجة في عداد الطبقة الثانية من شعراء الأندلس بعد ابن زيدون بخاصة. لقد تأثر المؤرخون الأندلسيون بالاعتبارات ذاتها التي سادت عمل المؤرخين المشارقة حين انطلقوا في تحديد مراتب الشعراء من منطلقات سياسية لا أدبية ولا فنية فاتخذوا سيرة الشاعر في البلاط وقدرته على نيل الحظوة عند السلاطين والملوك المعيار الأعلى للشاعرية، وعلى هذا الأساس قدّموا البحتري على ابن الرومي، كما قدّموا في الأندلس ابن زيدون على ابن خفاجة. وعندما تحرّر النقد حديثاً من تلك التبعيّة للبلاط، رأينا ابن الرومي يتربّع على عرش الشاعريّة الفذّة، فكان السبب ـ الذي حال دون تألق نجمه في عصره ـ هو عينه الذي أعاد إليه الاعتبار في عصرنا. وقل مثل ذلك في ابن خفاجة.

●

في الاعتبارات المتقدّمة نرى ابن خفاجة المدّاح والرّاثي أقل وزناً وشأناً من ابن خفاجة الوصّاف والغَزِل، ووصفه متعدّد الألوان والايقاعات، وغزله رقيق صادق المشاعر والأحاسيس ولا سيّما حين يعانق دنيا المرأة من خلال عالم الطبيعة أو يصف الطبيعة في ضوء مفاتن المرأة، دون أن يغفل ما تمده به نشوة الخمرة من الصور واللمحات العاطفية التي تشهد له برهافة الحس والذوق الرفيع، كمثل قوله:

أَلَـــمّ يسقّينـــي ســـلافَـــةَ ريقِـــهِ وطَـــوْراً يحيينـــي بـــآس عـــذار
فنلـــتُ مـــراد النّفـــس مـــن أقحـــوانـــةٍ شممـــت عليهـــا نفحـــةً لعـــرارِ
ووجـه تخـالُ الخـالَ فـي صحـن خـدّه فتـــاتَـــةُ مِسْـــكٍ فـــوق جـذوةِ نـــارِ

●

في ديوان ابن خفاجة قيثارة متعددة الأوتار، متعددة الأصباغ والألوان، تلتقي في مقطوعاتها لا سيما الوصفية الخاطفة الأخيلة الحلوة والفكر البديعة، وتتمايس صورها بأفواف من اللفظ الجامع بين الرصانة والطرافة، فإذا نحن مع معطيات من الأصالة والإبداع، ففي جانب حبك شعري متين يجعل القصيدة بنية محكمة وطيدة العمد، ومن ناحية وشي يضفي على هذا البناء نمنمة حلوة تداعب منّا الحواس وتدغدغ مشاعرنا وتستهوى منا الأذهان والمدارك.

●

إننا إذ نضع بين أيدي القرّاء هذه الطبعة الجديدة من ديوان ابن خفاجة ـ في إطار منهجيتنا التي حافظنا على أسسها في إصدار دواوين المشاهير من شعراء العرب، ومن أهمها دقة الضبط وعدم الاجتزاء في الشروح ـ ندعو هؤلاء القرّاء إلى ولوج آفاق ابن خفاجة الوصفية المشبعة بالروح الرومنسية، البعيدة عن حدائق الصنعة والزخرفة الشكلية المتكلّفة، لأنها مغرقة في رياض الحسن، حيث الأيك والطير والجدول الثرثار، والبان قدود والأغصان قامات هيفاء، وكمائم الزهر قسمات حلوة ومفاتن غيد رافلات بالصبا مضمّخات بالطيوب.

٦ آب ١٩٩٤ م
٢ جمادى الأولى
١٤١٥هـ.

قافية الألف

(١)
خُذْها إِلَيْكَ

أهدى ممدوحه مقطوعة من شعره وافتنّ في وصف محاسنها

خُـذْهـا إِلَيـكَ، وإِنَّهـا لَنضِيـرةٌ، ... طَـرأَتْ عليـك قليلـةَ النُّظَـراءِ[١]

حَملَت، وحسبُـكَ بَهجـةٌ مـن نَفحـةٍ، ... عَبـقَ العَـروسِ وخجلـةَ العَـذراءِ[٢]

مـن كـلِّ وارسـةِ القميـصِ، كـأنَّمـا ... نَشـأت تُعَـلُّ بـريقـةِ الصَّفـراءِ[٣]

نجَمـت تـروقُ بهـا نجـومٌ، حسبهـا، ... بـالأيكـةِ الخضـراءِ، مـن خَضـراءِ

وأتَتـكَ تُسفِـرُ عـن وجـوهٍ طَلْقـةٍ، ... وتنـوبُ مـن لُطـفٍ عـن السُّفَـراءِ[٤]

يَنـدى بهـا وجـهُ النَّـديِّ، وربَّمـا ... بسَطَـت، هنـاكَ، أسِـرَّةَ السَّـرَّاءِ[٥]

فاستضحكَت، وجهَ الدُّجى، مقطوعةٌ ... جَمُلَـت جمـالَ الغُـرَّةِ الغَـرّاءِ[٦]

---

(١) **نضيرة**: من النضارة وهي الحسن والجمال ـ **قليلة النظراء**: نادرة المثال.

(٢) **عبق العروس**: رائحتها ـ **خجلة العذراء**: حياؤها وخفرها.

(٣) **الوارس من الثياب**: الأحمر ـ **علّ**: شرب ثانية ـ **الصفراء**: الخمرة.

(٤) **تسفر**: تكشف ـ **الوجوه الطلقة**: الضاحكة.

(٥) **الأسرّة**: المضاجع، جمع سرير، والأسرة أيضاً: الخطوط التي يرسمها الجبين، جمع سرار ـ **السّرّاء**: السرور، نقيض الضّرّاء.

(٦) **الدّجى**: ظلام الليل ـ **الغرّة**: شعر مقدّمة الرأس ـ **الغرّاء**: البيضاء.

(٢)
أَبرَقَ بهجةً

قال ابن خفاجه يصف خاتماً بديع الحسن

ومُـرَقـرَقِ الإفـرِنْـدِ أَبْرَقَ بَهجـةً، ودَجا، فـأطلعَ، في الظلامِ، ضياءَ[١]
كسَفَـت بـه، للشَّمـسِ، حسناً، آيَـةٌ تَستـوقِـفُ الـرَّائـي لهـا، حِـربـاءَ[٢]
وتختَّمَـت، مـن فَصِّـه بغَمـامَـةٍ، كَـفٌّ تكـونُ علـى السَّمـاحِ سمـاءَ[٣]
قـد صِيـغَ صِيغَـةَ حِكمـةٍ، أصبَـى لهـا نفـسَ الحكيـمِ، وضـاجَـعَ العَـذراءَ
مـا إن تَـرِفُّ لهـا بنَفسَجَـةٌ بـه، حتـى تَـرِقَّ لهـا، فتجـري مـاءَ[٤]
وكـأنَّمـا نظَـرت بـه، يـومَ النَّـوى، عـن مُقلَـةٍ، بَهِتَـت لهـا، كحـلاءَ[٥]

(٣)
طَيْفٌ آلَمٌ

قال يصف الليل والدّراري وطيف الحبيب الزائر.

ورداءِ ليـلٍ بـاتَ، فيـه مُعـانقـي، طَيـفٌ أَلَـمَّ لِظَبيَـةِ الـوَعْسـاءِ[٦]
فجَمَعـتُ بيـنَ رُضـابِـه وشَـرابِـه، وشَـربـتُ مـن رِيـقٍ ومـن صَهبـاءِ[٧]

---

(١) **المرقرق**: المتلألىء اسم مفعول من رقرق أي تلألأ، وترقرق الماء: جرى رقراقاً أي هادئاً غير مندفع.

(٢) **تستوقف**: تحمله على الوقوف، والعبارة كناية عن الإثارة والاستهواء ـ **الحرباء**: ضرب من الزحافات تتلوّن في الشمس.

(٣) **الفصّ**: أصل الأمر جمع فصوص، **والفص**: السن من الثوم، **والفصّ أيضاً**: قلب الخاتم وما يركب في الخاتم من حجارة ثمينة، والجمع فُصوص وفِصاص.

(٤) **البنفسجة**: استعارة للفص الذي هو بلون البنفسج أي قلب الخاتم ـ **يقول**: إن الكفّ التي تزينت بهذا الخاتم تجري ماء أي سخاء وكرما.

(٥) **النّوى**: البعد والفراق ـ **المقلة**: العين ـ **الكحلاء**: العين الشديدة السّواد.

(٦) **رداء الليل**: ظلامه الحالك ـ **الوعساء**: الأرض المرتفعة الليّنة، **وقوله**: ظبية يريد المحبوبة الشبيهة بالظبية.

(٧) **الرضاب**: الريق، أي ريق المحبوبة التي زاره طيفها ـ **الصهباء**: الخمرة، والمراد رضاب=

ولثَمْتُ، في ظَلماءِ لَيلةٍ وَفْرةٍ، شَفَقاً، هناك، لوجنةٍ حَمراءِ[1]
والليلُ مُشمَطُّ الذَّوائبِ، كَبرةً، خَرِفٌ يَدبُّ على عَصا الجَوزاءِ[2]
ثم انثَنى، والسُّكرُ يسحَبُ فَرعَه، ويَجُرُّ، من طرَبٍ، فُضولَ رِداءِ[3]
تَندى بفِيه أقحُوانةُ أَجرعٍ، قد غازَلَتها الشمسُ غِبَّ سَماءِ[4]
وتميسُ، في أثوابِه، رَيحانةٌ، كرَعَت على ظَمإٍ بجَدولِ ماءِ[5]
نفَّاحةُ الأنفاسِ، إلاَّ أنَّها، حذَرَ النَّوى، خفَّاقةُ الأفياءِ[6]
فلَوَيتُ مَعطِفَها اعتناقاً، حَسبُها فيه، بقَطرِ الدّمعِ، من أَنواءِ[7]
والفَجرُ يَنظُرُ، من وراءِ غمامةٍ، عن مُقلةٍ كُحِلَت بها زَرقاءِ[8]
فرغِبتُ عن نُورِ الصَّباحِ لنَوْرةٍ، أُغرى لها ببَنَفْسَجِ الظَّلماءِ[9]

= المحبوبة الذي يثير نشوته فكأنه يذوق مُداماً وريقاً.

(١) **اللثم**: التقبيل ـ **الوفرة**: صفة الليلة الظلماء، أي الشديدة الحلكة ـ **الشفق**: بقايا احمرار الشمس في الأفق بعد المغيب ـ **الوجنة**: الخد المشبّه لحمرته بالشفق.

(٢) **الذّوائب**: جمع ذؤابة، ضفيرة الشعر، شبه سدول الظلام بضفائر الشعر الأسود، **والليل المشمّط الذّوائب**: الذي يخالط سواده بياض ـ **يدبّ**: يمشي كالطفل على يديه ورجليه ـ **الجوزاء**: من أبراج السماء، وعصا الجوزاء من كواكب هذا البرج.

(٣) **انثنى**: مال، وتعطف بقامته ـ **الفرع**: الشعر ـ **فضول الرداء**: ذيوله.

(٤) **الأقحوانة**: واحدة نبتة الأقحوان وهي من رياحين الربيع: زهرها أكمامه كالأسنان ـ **الأجرع**: الأرض الرملية ـ **غازلتها**: داعبتها ـ **غب سماء**: أي بعد هطول المطر.

(٥) **تميس**: تتمايل ـ **الريحانة**: النبتة الفوّاحة ـ **الظمأ**: **العطش** ـ كرعت بجدول ماء: كناية عن الاخضلال بقطرات النّدى.

(٦) **نفّاحة (فعّالة)**: شديدة النفح، أي ترسل رائحتها الفائحة قويّة ـ **النّوى**: البعد ـ **الأفياء**: جمع فيء: الظلّ، والفيء أصلاً ما كان شمساً فينسخه الظلّ أي يزيله.

(٧) **لويت**: ثنيت ـ **الأنواء**: الأمطار، جمع نوء.

(٨) **المقلة**: العين.

(٩) **رغب عن الشيء**: تركه، **ورغب فيه**: أراده ـ **النّورة**: الزهرة البيضاءة ـ **بنفسج الظلماء**: استعارة.

(٤)

مُفْتَرَّة عن لُؤْلُؤٍ

ابن خفاجة يصف مجلس لهو في أحضان الرياض

ومَجَـرِّ ذَيْـلِ غَمـامـةٍ قـد نمَّقَـت، وَشْـيَ الـربيـعِ بـه، يـدُ الأنـواءِ[1]

ألقيـتُ أَرحُلَنـا، هنـاك، بقُبَّـةٍ مضـروبـةٍ مـن سَـرحـةٍ غنَّـاءِ[2]

وقَسمـتُ طَـرفَ العَيـنِ بيـن رَبـاوةٍ مُخضـرَّةٍ، وقَـرارةٍ زَرقـاءِ[3]

وشـرِبتُهـا عَـذراءَ، تحسِـبُ أنَّهـا مَعصـورةٌ مـن وجنتَـيْ عَـذراءِ[4]

حمـراءُ صـافيـةٌ، تطِيـبُ بنفسِهـا وغِنـائِهـا وخـلائـقِ النُّـدمـاءِ

خُـذهـا، كمـا طَلَعـت عليـك عَـرارةٌ، مُفتـرَّةٌ عـن لـؤلـؤِ الأنـداءِ[5]

(٥)

لِلَّهِ نَهْرٌ

يصف نهراً ينساب في البطحاء محفوفاً بأبراد من فتنة الأرض والأغصان.

لله نهـرٌ، سـالَ فـي بطحـاءِ، أَشهـى وُروداً مـن لمَـى الحَسنـاءِ[6]

متعطِّـفٌ مثـلَ السِّـوارِ، كـأنَّـه، والـزَّهـرُ يَكنُفُـه، مَجَـرُّ سَمـاءِ[7]

---

(١) **الغمامة**: السحابة ـ **نمقت**: نقشت وزيّنت والتنميق: تزيين الشيء لتحسينه ـ **وشي الربيع**: كناية عن رياحينه وأزهاره المختلفة الألوان ـ **الأنواء**: الأمطار.

(٢) **ألقى رحله في المكان**: حلّ به ـ **القبّة المضروبة**: جمع قباب، وهي أصلاً الخيام العالية الخاصّة بكبار القوم ـ **السّرحة**: الشجرة العالية ـ **الغناء**: الشجرة الكثيفة الأفنان.

(٣) **الرباوة**: الربوة، المرتفع، **قرارة المكان**: أرضه، وقرارة الوادي: أسفله.

(٤) **العذراء (هنا)**: الخمرة الخالصة ـ **وجنتي مثنى وجنة**: الخدّ، **والعذراء**: الفتاة البكر، وقد جانس الشاعر بين اللفظتين وكل واحدة ذات دلالة خاصة، وهذا الجناس تام.

(٥) **العرارة**: هي نبتة البهار الطيبة الرائحة.

(٦) **البطحاء**: مسيل الماء الواسع جمع بطائح ـ **لمى الحسناء**: كناية عن سمرة شفتيها.

(٧) **متعطف**: أي يجري متثنيا وينساب متعرّجاً كالسّوار ـ **يكنفه**: يحيط به ـ **مجرّ**: أي مجـرّة، وهي مجموعة من النجوم.

قـد رَقَّ، حتـى ظُـنَّ قُـرصـاً مُفـرَغـاً مـن فِضّـةٍ، فـي بُـردةٍ خَضـراءِ[1]

وغـدَت تحُـفُّ بـه الغصـونُ، كـأنّهـا هُـدبٌ يحُـفُّ بمُقلـةٍ زرقـاءِ[2]

ولطـالمـا عـاطيـتُ فيـه مُـدامـةً صفـراءَ، تخضِـبُ أيـديَ النُّـدَمـاءِ

والـريحُ تعبَثُ بـالغصـونِ، وقـد جرى ذَهَبُ الأصيـلِ علـى لُجَيـنِ المـاءِ[3]

(٦)

مِنْ جيادِ الماءِ

أَلا يـا حَبَّـذا ضَحِـكُ الحُمَيَّـا بحـانتِهـا، وقـد عَبَـسَ المسـاءُ[4]

وأدهَـمَ، مـن جِيـادِ المـاءِ، مُهـرٍ تَنـازَعُ، جُلَّـه، رِيـحٌ رَخـاءُ[5]

إذا بـدتِ الكـواكـبُ فيـه غَـرقـى، رأيـتَ الأرضَ تحسُـدُهـا السَّمـاءُ[6]

(٧)

أسود وبيضاء

وأسـودٍ عـنَّ لنـا، سـابـحٍ فـي لُجَّـةٍ، تَطفَـحُ، بيضـاءِ[7]

وإنمـا جـال بهـا نـاظـرٌ فـي مُقلـةٍ، تنظُـرُ، زَرقـاءِ[8]

---

(١) **البردة**: الثوب.

(٢) **المدامة**: الخمر ـ **تخضب**: تصبغ، تلّون ـ **النّدماء**: جمع نديم، الجليس المشارك في الشّرب.

(٣) **الأصيل**: الوقت بعد العصر وقبل المغيب وقوله: ذهب الأصيل: أي شعاع الشمس الذهبي **اللجين**: الفضة.

(٤) **الحميّا**: أول الغضب وشدّته، والمراد هنا حميّا الخمر أي سورتها ـ **الحانة**: الحان أي موضع بيع الخمر، واللفظة من الحين أي الهلاك أي مهلكة لصحة المرء وماله.

(٥) **الأدهم (أصلاً)**: الجواد الأسود اللون، وهنا الليل الأسود الشديد الظلمة ـ **الريح الرخاء**: الرّيح اللينة.

(٦) **يقول**: إذا غرقت كواكب الليل في ظلامه باتت السماء المظلمة تحسد الأرض على نجومها أي ما ينبته المطر من الأزهار.

(٧) **عنّ لنا**: ظهر وبرز ـ **اللّجة**: معظم الماء ـ **بيضاءِ**: نعت أي لّجةٍ بيضاء.

(٨) **المقلة**: العين ـ **زرقاء**: نعت، أي مقلة زرقاء.

(٨)
طَوْدُ عَدَالةٍ

قالها مادحاً قاضي القضاة:

يــا نَشـرَ عَـرفِ الـروضـةِ الغَنَّـاءِ؛ ونسيـمَ ظِـلِّ السـرحـةِ العَينـاءِ[١]

هـذا يَهُـبُّ مـعَ الأصيـلِ عـن الـرُّبـى أَرَجـاً، وذلـك عـن غـديـرِ المـاءِ

عُـوجـا على قـاضِي القُضـاةِ، غُـدَيَّةً، فـي وَشْـيِ زَهْـرٍ، أَو حِلـى أَنـداءِ[٢]

وتَحمَّـلا عنّـي إِليـه أَمـانـةً، مـن عِلـقِ صِـدقٍ، أَو رِداءِ ثنـاءِ[٣]

فـإِذا رَمـى بكمـا الصبـاحُ ديـارَه، فتَـردَّدا فـي سـاحـةِ العليـاءِ

فـي حيـثُ جَـرَّ المجـدُ فَضـلَ إِزارِه، ومَشـى الهُـوَيْنـا مِشيـةَ الخُيَـلاءِ

وسَـرى، فجلَّـى ليـلَ كـلِّ مُلِمَّـةٍ، قمـرُ العَـلاءِ وأَنجـمُ الآراءِ[٤]

من مَنـزلٍ قـد شـبَّ، مِـن نـارِ القِرى، مـا شـابَ عنـه مَفـرِقُ الظَّلمـاءِ

لـو شِئـتُ طُلـتُ بـه الثُّريَّـا قـاعـداً، ونَثَـرتُ عِقـدَ كـواكـبِ الجَـوزاءِ

ولثمـتُ ظَهـرَ يـدٍ تَنـدَّى حـرَّةً، فكـأَنَّنـي قَبَّلـتُ وجـهَ سَمـاءِ

ومـلأتُ، بيـنَ جَبينـه ويمينِـه، جَفنـيَّ بـالأنـوارِ والأنـواءِ

مُتهـاديـاً مـا بيـنَ أَبطَـحِ شِيمـةٍ دمُثَـت، وهَضبـةِ عِـزَّةٍ قَعسـاءِ[٥]

كلفـاً، هنـاكَ، بغُـرّةٍ مَيمـونـةٍ، خُلِقَـت أَسِـرَّتُهـا مـن السَّـرّاءِ[٦]

---

(١) **العَرف**: الرائحة بعامّة والرائحة الطيبة بخاصّة ـ **السرحة**: الشجرة الطويلة لا شوك فيها ـ **السرحة العيناء**: الخضراء، المورقة.

(٢) **عوجا**: الأمر من عاج (على المكان): مال وعطف ـ **غديّة**: أي غدوة، باكراً ـ **الحلى**: جمع الحلية: ما يزيّن به ـ **الأنداء**: جمع ندى، والمراد هنا الجود والفضل.

(٣) **العِلق**: النفيس، جمع أعلاق ـ **رداء الثناء**: استعارة لحسن الأحدوثة.

(٤) **جلّى الليل**: كشف ظلمته وبدّدها ـ **الملمّة**: النازلة، المصيبة ـ **يقول**: إن ممدوحه يكشف بنور مجده وضياء عقله ورأيه ظلمة الليالي والشدائد.

(٥) **الشيمة**: الخلق والطبيعة ـ **القعساء**: المنيعة.

(٦) **كلفاً**: شغوفاً ـ الغرّة الميمونة: يريد الطلعة المباركة ـ **السّراء**: خلاف الضرّاء، المسرة ورغد العيش.

لـو كنـتَ تُبصِـرُنـي، أدُورُ إزاءَهـا، لنَظَـرتَ مـن شَمـسٍ ومـن حَـربـاءِ

أرسـى بـه، فـي اللّـهِ، طـودُ سكينـةٍ وعـدالـةٍ، وامتـدَّ حبـلُ رَجـاءِ[1]

خَلَـعَ القضـاءُ عليـه خِلعـةَ سُـؤدَدٍ، غَنِيَـت بِشُهـرَتِهـا عـن الأسمـاءِ

عَبِـقَ الثّنـاءُ نَـدى الحيـا، فكـأنَّـه رَيحـانـةٌ مطلـولـةُ الأفيـاءِ[2]

أبـداً لـهُ، فـي الله، وجـهُ بشـاشـةٍ، ووراءَ سِتـرِ الغَيـبِ، عيـنُ ذَكـاءِ

قـد راقَ، بيـن فَصـاحـةٍ وصبـاحـةٍ، سَمْـعُ المُصيـخِ لـه، وعيـنُ الـرائـي

وكـأنَّـه، مِـن عـزمـةٍ فـي رَحمـةٍ، مُتـركِّـبٌ مـن جُـذوةٍ فـي مـاءِ

بيـن الطَّـلاقـةِ والمَضـاءِ، كـأنَّـه وَقّـادُ نَصـلِ الصَّعـدةِ السَّمْـراءِ

لـو شـاءَ نَسْـخَ الليـلِ صُبحـاً لانْتَحـى، فمَحـا سَـوادَ اللَّيلـةِ اللَّيـلاءِ

تُثنـي بـه ريـحُ المَكـارم خُـوطَـةً، فـي حيـثُ تَسجَـعُ ألسُـنُ الشُّعَـراءِ

وكـأنَّـه، وكـأنَّ رَجـعَ نشيـدهِ، فصـلُ الـرَّبيـعِ ورنَّـةُ المُكّـاءِ[3]

(٩)

قُلْ لِلْمريضِ

ألا قُـلْ لِلمَـريـضِ القَلـبِ مَهـلاً، فـإنَّ السَّيـفَ قـد ضَمِـنَ الشِّفَـاءَ

ولَـمْ أرَ، كـالنِّفـاقِ، شَكـاةَ غِـرٍّ، ولا كَـدَمِ الـوَريـدِ لـه دَواءَ[4]

وقـد دمَّـى النَّجِيـعُ، هنـاكَ، أرضـاً، وقـد شَمَـلَ العَجـاجُ بـه سَمـاءَ[5]

ودِيـسَ بـهِ، انحطـاطـاً، بَطـنُ وادٍ، مُـذ أغْشَـبَ شَعـرُ لِحيَتِـه ضَـراءَ[6]

---

(١) الطود: الجبل الراسخ.

(٢) عبقَ: فاح وانتشر ـ الأفياء: الظلال، جمع فيء، وقوله مطلولة: أي ندية من الطلّ وهو النّدى، والطل أيضاً الحَسَن والمعجب.

(٣) رجع الشيء: صداه ـ الرنّة: المرّة من رنّ رنيناً: رفع صوته بالبكاء، صاح ـ المكاء: طائر من القنابر يصعّد في الجوّ، جمع مَكاكيّ.

(٤) الشكاة: العيب ـ الغرّ: الشابّ الذي لا خبرة له.

(٥) النجيع: الدم ـ العجاج: الغبار.

(٦) ديس: المجهول من داس أي وطيء ـ الضراء (هنا): الشجر الملتفّ، والضراء أيضاً: =

(١٠)
يا ضَاحِكاً

يــا ضَــاحِكــاً مــلءَ فيــه جَهــلاً، أَحســنُ مــن ضَحْكِــكَ البُكــاءْ
وَهَنْــتَ حِسّــاً، وهُنــتَ نَفْســاً، فــلا ذَكــاءَ، ولا زَكــاءْ[١]

(١١)
لا تَذْكو نارُه

نَبِّـه وَلِيـدَك، مـن صِباه، بـزَجـرةٍ، فلـربَّمـا أَغفـى، هنـاك، ذَكـاؤهُ[٢]
وانَهــرْهُ حتــى تستهِــلَّ دُمــوعُــه فــي وَجنَتَيــهِ، وتَلتظِــي أحشــاؤهُ[٣]
فــالسيـفُ لا تَـذكـو، بكفِّـكَ، نـارُه، حتــى يسِيــلَ بصَفحَتَيــه مــاؤهُ[٤]

(١٢)
كَفَى اكِتئاباً

قال ابن خفاجة هذه القصيدة يرثي الوزير أبا محمد عبد الله بن ربيعة:

فــي كــلِّ نــادٍ منــكَ رَوضُ ثَنــاءِ، وبِكُــلِّ خَــدٍّ فيــك جَــدوَلُ مــاءِ
ولِكـلِّ شَخـصٍ هِـزَّةُ الغُصـنِ النَّـدِي، غِــبَّ البُكــاءِ، ورِنَّــةُ المُكَّــاءِ
يــا مَطلَــعَ الأنــوارِ! إنَّ بمُقلَتــي، أَسَفــاً عَليــكَ، كَمَنْشــإِ الأنــواءِ[٥]

= الاستخفاء، يقال يمشي الضراء: إذا مشى مستخفياً.

(١) **وهن**: ضعف ـ **هنت**: أصابك الهوان أي الذلّ جانس في هذا البيت بين وهَنْت وهُنْتَ، وبين الزكاء وهو الفطنة والذكاء وهو النمو.

(٢) **الزجرة**: اسم المرّة من زجر أي ردع ونهى.

(٣) **انهره**: ازجره ـ **تلتظي**: تتوقد وتستعر ناراً ـ

(٤) **تذكو النار**: تضطرم.

(٥) **الأنواء**: جمع نوء المطر وأصل النوء عند العرب سقوط نجم وطلوع نجم يقابله فسمي نوءاً لأنه إذا سقط الغارب ناءَ الطالع أي نهض، وعند سقوط النجم كان القوم ينتظرون هطول مطر أو هبوب رياح.

وكَفـــى أَسًـــى لا سَفيـــرٌ بَيْننـــا يَمشِـــي، وأَنْ لا مَـــوعِـــدٌ لِلقـــاءِ
فِيـمَ التَّجَمُّـلُ فـي زَمـانٍ بَـزَّنـي ثـوبَ الشَّبـابِ، وحِليَـةَ النُّبـلاءِ[1]
فعَـرِيـتُ، إلاَّ مِـن قِنـاعِ كَـآبَـةٍ، وعَطِلْـتُ، إلاَّ مـن حُلِـيِّ بُكـاءِ
فـإذا مَـررتُ بمَعَهـدٍ لشَبيبـةٍ، أو رَسْـمِ دارٍ، للصـديـقِ، خَـلاءِ
جـالَـتْ بطَـرفِـي، للصَّبـابةِ، عَبـرَةٌ، كـالغَيـمِ رَقَّ، فَحـالَ دونَ سَمـاءِ
ورَفعـتُ كفِّـي بيـنَ طَـرفٍ خـاشـعٍ تَنـدى مَـآقيـه، وبيـنَ دُعـاءِ
وبَسطـتُ، فـي الغَبـراءِ، خَـدِّي ذِلَّـةً، أَستَنـزِلُ الـرُّحمـى مـنَ الخَضـراءِ[2]
مُتَمَلمِـلاً أَلَمـاً بِمصـرَعِ سَيِّـدٍ، قـد كـانَ سـابِـقَ حَلبَـةِ النُّجَبـاءِ[3]
لا، والـذي أَعلَقـتُ، مِـن تقـديسِـه، كَفِّـي بِحَبلَـيْ عِصمَـةٍ ورَجـاءِ
وخـررتُ بيـن يـديـه، أَعلَـمُ أَنَّـه ذُخـرِي، ليَـومَـيْ شِـدَّةٍ ورخـاءِ[4]
لا هَـزَّنـي أَمَـلٌ، وقـد حَـلَّ الـرَّدى بـأبـي مُحمَّـدٍ المَحـلَّ النـائـي
فـي حيـثُ يُطفَـأُ نُـورُ ذاكَ المُجتلَـى، وفِـرنـدُ تِلـكَ الغُـرَّةِ الغَـرَّاءِ[5]
وكَفـى اكتئـابـاً أَنْ تَعِيـثَ يـدُ البلـى، فـي مَحْـوِ تِلـكَ الصُّـورَةِ الحَسنـاءِ
فَلَطـالَمـا كُنَّـا نُـريـحُ بظِلِّـهِ، فنُـريـحُ منـهُ بسَـرحَـةٍ غنَّـاءِ
فتَقتْ، على حُكمِ البشاشةِ، نَورَها، وتنَفَّسـتْ فـي أَوجُـهِ الجُلَسـاءِ
تَتفَـرَّجُ الغَمَّـاءُ عنـهُ، كـأنَّـه قَمَـرٌ، يُمـزِّقُ شَملـةَ الظَّلمـاءِ[6]

---

(١) **الحلية**: ما يتزيّن به ـ **يسخط على الزمان** لأنه يسلبه رداء الشباب وزينة النبلاء، مكنّياً بذلك عن رزئه بصديقه الوزير.

(٢) **الرحمى**: رقة القلب والانعطاف الذي يوجب المغفرة والإحسان.

(٣) **متململ**: اسم فاعل من تململ: أي سئم وضجر ـ **الحلبة**: الخيل الجارية في الرهان.

(٤) **الذّخر**: ما يذّخر لوقت الشدّة ـ الشدّة والرخاء طباق.

(٥) **الفرند**: جوهر السيف ووشيه، والسيف الفرند: الذي لا مثيل له، واللفظة معرّب «برند» الفارسية ـ **الغرّة**: **الغرّاء**: الطلعة الحسنة.

(٦) **الغماء**: الليلة المظلمة الطامسة الهلال ـ الشملة: الثوب وشملة الظلماء رداؤها من باب الاستعارة.

قــاسمــتُ فيـهِ الــرُّزءَ أكـرمَ صـاحِـبِ، فمضـــى ينـــوءُ بـــأثقـــلِ الأعبـــاء

يهفُــو، كمــا هفَـتِ الأراكَـةُ، لـوعَـةً، ويُـــرِنُّ، طَـــوراً، رِنَّـــةَ الـــوَرقـــاء[1]

عَجَبـاً لهـا، وقَـدَتْ، بصَـدرٍ، جَمـرَةً، وتفجَّـــرَت، فـــي وَجنَـــةٍ، عـــن مـــاء

ولئـن تَـراءى الفَـرقـدانِ بنـا مَعـاً، وكَفـــاكَ شُهـــرَةَ سُـــؤدُدٍ وعَـــلاءِ

فَلَطـــالَمـــا كنَّـــا نَـــرُوقُ المُجتَلـــي، حُسنـــاً، ونَمـــلأُ نـــاظِـــرَ العَليـــاء

يُـزهـى بنـا صَـدرُ النَّـدِيِّ، كـأنَّنـا، نَسَقـــاً، هُنـــاكَ، قِـــلادةُ الجَـــوزاء[2]

(١٣)

يَوْمُ رُزْءٍ فادح

قالها يرثي أم قاضي القضاة الفقيه أبي أميّة.

فـــي مثلِـــه، مـــن طـــارقِ الأرزاءِ، جـــادَ الجَمـــادُ بعَبـــرةٍ حَمـــراءِ[3]

مـــن كـــلِّ قـــانيـــةٍ، تسِيـــلُ كـــأنَّهـــا شُهـــبٌ، تَصَـــوَّبُ مـــن فُـــروجِ سَمـــاءِ[4]

تحمَـــى، فتَغـــرَقُ مُقلـــةٌ فـــي جـــاحِـــمٍ منهـــا، وتُحـــرَقُ وجنـــةٌ فـــي مـــاءِ[5]

مَحـــتِ الكـــرى بيـــن الجفـــونِ، وربَّمـــا غسَلَـــت سَـــوادَ المُقلـــةِ الكَحـــلاءِ

لا تُـــــورِثُ الأحشـــــاءَ إلاَّ غُلَّـــــةً، والمـــــاءُ يَنقَـــــعُ غُلَّـــــةَ الأحشـــــاءِ[6]

أَهـــوِلْ بـــه مـــن يـــومِ رُزءٍ فـــادحٍ، سَحَـــبَ الصبـــاحُ بـــه ذُيـــولَ مســـاءِ

متـــلاطِـــمُ الأحشـــاء، تحسِـــبُ أنـــه بحـــرٌ طَمـــى، متـــلاطـــمَ الأرجـــاءِ[7]

---

(١) **الأراكة**: واحدة الأراك وهو شجر يستاك بأغصانه ـ **يرن**: ينوح ـ **الورقاء**: الحمامة.

(٢) **القلادة**: ما يجعل في العنق من الحلي، **وقوله**: قلادة الجوزاء إشارة إلى واحد من الكواكب الستة المعروفة بالقوس.

(٣) **الأرزاء**: المصائب جمع رزء ـ **العَبرة** (بفتح العين): الدمعة.

(٤) **القانية**: أي الدمعة القانية أي الحمراء ـ **تصوّب**: من صوّب السهم: سدّده ـ **الفروج**: جمع فرج وهو الثغرة أو الخلل بين شيئين.

(٥) **الجاحم**: الجمر المتوقد ـ **الوجنة**: الخدّ.

(٦) **الغلّة**: الظمأ الشديد، والمقصود هنا غلّة الحزن ـ **ينقع الماء الغلّة**: يروي الظمأ.

(٧) **طمى البحر**: علا موجه ـ **الأرجاء**: الجوانب.

جمعَ الحِدادَ إلى العَويل، فما ترى، ... فـي القـومِ، غيـرَ حمـامـةٍ ورقـاءِ

مـن مـاسـحٍ عـن وجنـةٍ ممطـورةٍ، ... أو رافـعٍ مـن زفـرةٍ صُعَـداءِ

وكـأنمـا يَسقـي، بمـا يَبكـي، ثَـرى ... مـا قـد ذوى مـن دَوحـةِ العليـاءِ[1]

ولئِـن جَـزِعـتَ ليـومِ أُمِ بَـرَّةٍ، ... نشـأت تطـولُ أكـابـرَ الآبـاءِ

تصِلُ الـدُّعـاءَ إلـى البُكـاءِ، كـأنَّمـا ... تَـرمـي السمـاءَ بمُقلـةٍ مَـرهـاءِ[2]

فلمِثلِـه مـن يـومِ خَطـبٍ نـازلٍ، ... جَمَّـت دمـوعُ أفـاضـلِ الأبنـاءِ[3]

فـاسمَـح بـأعـلاقِ الـدُّمـوعِ، فـإنَّمـا ... تُقنـى دمـوعُ العيـنِ للبُـرَحـاءِ[4]

واهتِـف، بمـا تشكـو إليهـا، لـوعـةً، ... إن كـان يُصغـي هـالـكٌ لِنـداءِ

واقـرَع لهـا بـابَ السمـاءِ بـدَعـوةٍ، ... تستمطـرُ الخضـراءَ للغَبـراءِ

حتـى تجـودَ بكـلِّ عـارضٍ رحمـةٍ، ... تستضحـكُ الأنـوار لـلأنـواءِ

زجِـلِ الـرُّعـودِ، كـأنمـا مَسَحـت بـه ... كـفُّ الصَّبـا عـن نـاقـةٍ عُشَـراءِ[5]

فبمثلِهـا، مـن تُـربـةٍ قـد قُـدِّسَـت، ... نثَـرَ النسيـمُ قَـلائـدَ الأنـداءِ

وسـرى يمـرِّغُ، خـدَّهُ، قمـرُ الـدُّجـى، ... ويُـذيـلُ فضـلَ ضفيـرةِ الجَـوزاءِ[6]

ولئِـن صَبَـرتَ، وصبـرُ مثلِـك حِسبـةٌ، ... فلقـد أخـذتَ بشيمـةِ النُّبَـلاءِ

من كلِّ ماضي العزمِ، يُهوي، بالأسى، ... عـن هَضبـةٍ، مـن صبـرِه، خَلْقـاءِ[7]

---

(١) **ذوى**: ذبل ـ **دوحة العلياء**: تمثيل لرفعة الشأن، والدوحة أصلاً: الشجرة العظيمة.

(٢) **المقلة**: العين ـ **المقلة المرهاء**: البيضاء غير المكتحلة من مرهت العينُ: إذا فسدت وابيضت بواطن أجفانها بترك الكحل.

(٣) **الخطب**: الأمر الجلل، المصيبة الفادحة ـ **جمت الدموع**: عظمت.

(٤) **الأعلاق**: جمع علق، النفيس من كل شيء، والمراد هنا الدموع الغوالي ـ **تقنى**: تجمع ـ **البرحاء**: الشرّ والأذى، وحالة الشدّة.

(٥) **الزجل من الرعود**: الرعد القوي الصوت ـ **العشراء**: النّاقة في الشهر العاشر من حملها.

(٦) **مرّغ يمرّغ خدّه** (في التراب): قلّبه به، **ومرّغ قمر الدجى خدّه**: استعارة أراد بها الدلالة على البهاء والحسن ـ **الضفيرة أصلاً**: خصلة الشعر وضفائر الجوزاء مجموعة كواكب.

(٧) **الهضبة الخلقاء**: الملساء.

كشفَت لـه الأيـامُ عـن أسـرارِهـا، فــرأى جَلـيَّ عــواقــبِ الأشيــاءِ

لـم يَثْـنِ، فـي السَّرَّاء، مـن تيـهٍ بهـا، أعطــافَــه، فيخــورَ فــي الضَّــرَّاءِ[1]

مــا ارتــابَ أنَّ ســرورَه لكــآبــةٍ، يـــومـــاً، وأنَّ بقـــاءَه لفَنـــاءِ

فكــأنَّــه، والعِيـسُ تبسُـطُ خَطـوَه، قــد بــانَ مُــرتحــلاً عــن الأحيــاءِ

فلـربَّ رَكـبٍ للـرَّدى تحـتَ الثَّـرى، ضـــربـــوا قِبــابَهــم بهــا لِثَــواءِ[2]

متــوسِّــديـن بهــا التُّـرابَ، كــأنَّهــم لــم يَــرتَعُــوا فــي زَهــرةِ النَّعمــاءِ

صَـرعـى، فـلا قلـبٌ لغيـرِ صَبـابـةٍ، يُـــذكَـــى، ولا عَيـــنٌ لغيــرِ بُكــاءِ

مـا شِئـتَ مـن قُـرَنـاءِ خَيـرٍ، أعصفَـت ريــحُ الــرَّدى بِهــمُ، ومــن قُــرَبــاءِ[3]

مُلِئـت بهـم عينـي دمـوعـاً، كلَّمـا مُلِئـــت عيـــونُهـــمُ مـــن الإغفــاءِ

وكفـى أسـىً وصبـابـةً أن أُنـزِلـوا، وهـــمُ الأقـــاربُ، مَنـــزِلَ البُعَـــداءِ

بَـدداً بمَسـرى كـلِّ ريـحٍ عـاصـفٍ، ومَصـــابِ كـــلِّ غَمـــامـــةٍ هَطــلاءِ

ألــوَى بهــم، ولكـلِّ جَنـبٍ مصـرعٌ، داءٌ عَيـــــاءٌ، عـــــزَّ كُــــلَّ دواءِ[4]

وطـوى القـرونَ بحيـثُ صُمَّـت عنهـمُ أُذنُ المُصيـخِ، وكَـلَّ طـرفُ الـرائـي

ولئِـن سطـا، والفـاصـلاتُ كثيـرةٌ، فلقـــد سطـــا بقليلـــةِ النُّظَـــراءِ[5]

ونَجيبَـةٍ، جـاءَتْ بـأوحَـدِ أمجَـدٍ، قــد فــاتَ طَــوْلاً أَيْــدِيَ النُّجَبــاءِ[6]

مُتَقَلِّــبٌ، فــي الله، بيــنَ بَشــاشَــةٍ يَنـدى الهَشِيـمُ بهـا، وبيـنَ مَضـاءِ[7]

لَـــدنٌ كَمَطلُـــولِ النَّسيـــمِ، وتـــارَةً خَشِـــنٌ كَصَـــدرِ الصُّعـــدَةِ السَّمــراءِ[8]

---

(١) **السّرّاء**: خلاف الضرّاء المسرّة ورغد العيش ـ **ثنى أعطافه تيها**: بدا مزهواً مختالاً.

(٢) **الردى**: الموت ـ **الثواء**: الإقامة.

(٣) **القرناء**: جمع قرين، النظير والصاحب المماثل.

(٤) **ألوى به الداء**: أهلكه ـ **الداء العياء**: العضال، الذي يستعصي على العلاج.

(٥) **سطا يسطو به وعليه**: وثب عليه وقهره، وسطا الفرسُ: ركب رأسه.

(٦) **الطول**: القدرة، الفضل، الغنى.

(٧) **الهشيم**: النبت اليابس المتكسر، وقوله يندى الهشيم أي يصير نديّاً، يبتل.

(٨) **اللدن**: الطري، الناعم ـ **المطلول من النسيم**: النسيم النّدي ومطلول: اسم مفعول من طلّت=

فــي مقعَــدٍ وَسِــعَ الأنــامَ عَــدالَــةً، وسَمــا، فَــزاحَــمَ مَنكِــبَ الخَضــراءِ

يَستَنـــزِلُ الأَرْوى، هنــاك، سَكِينَــةً، ويَــروعُ قَلــبَ الصَّخــرةِ الصَّمَّــاءِ[1]

عَــدلٌ، يظَــلُّ بظِلِّــهِ ذِئــبُ الغَضــا جــاراً، هنــاكَ، لِظَبيَــةِ الــوَعســاءِ

وكَفــاهُمــا أن يخلُــوَا بــأَراكَــةٍ، عِنــدَ المَقيــلِ، ويَشــربــا مــن مــاءِ

وإلَيــكَ، مِــن حُــرِّ الكَــلامِ، عَقِيلَــةً قَصَــرَتْ خُطــاهــا خَجلَــةُ العَــذراءِ[2]

نَشَــأَتْ، وشُقــرٌ دَارُهــا، فكــأنَّمــا وَرَدَتــكَ زائِــرةً مِــن الــزَّوراءِ[3]

رَقَّــتْ، وقــد عَلِمَــت بمــوضِــعِ حُسنِهــا، فــأتَتــكَ تمشِــي مِشيــةَ الخُيَــلاءِ[4]

= طلا (السماءُ): الأرضَ: قطرت عليها الطلّ وهو المطر الضعيف.

(١) **الأروى**: ضأن الجبل، جمع الأرويَّة، واللفظة للمذكر والمؤنث ـ **يروع**: يفزع ـ **الصخرة الصمّاء**: الصخرة الصلبة.

(٢) **العقيلة** (من النساء): الكريمة، المحصّنة، والعقيلة هنا صفة القصيدة من باب المجاز، أي القصيدة الفريدة. ـ **الخَجْلة**: المرّة من الخجل، الحياء.

(٣) **شقر**: اسم مدينة من مدن الأندلس ـ الزوراء: من أسماء بغداد.

(٤) **الخيلاء**: الزّهو.

قافية الباء

(١٤)
عرفَتْ قدرَه دَوْلَةٌ

قال هذه القصيدة مادحاً الفقيه أبا العلاء بن زهير

شـــأوتُ مَطـــايـــا الصِّبَـــا مَطلبَـــا ، وطُلـــتُ ثَنـــايـــا العُلـــى مَـــرقَبـــا[١]

وأقبلـتُ، صَـدرَ الـدُّجـى، عَـزمـةً، تُـوطِّـىءُ ظَهـرَ السُّـرى مَـركبـا[٢]

فجبـتُ، إلـى سُـدفـةٍ، سُـدفـةَ، وخُضـتُ، إلـى سَبْسَبٍ، سَبسبـا[٣]

وقلـتُ، وقـد شـاقَنـي مُلتقَـى شمِيـمِ العَـرارِ، وبَـردُ الصَّبـا:

خليلـيَّ مـن حِمْيـرٍ حـدِّثـاً أخـاً شَيْبـةٍ عـن ليـالـي الصِّبـا

وبُـلاًّ، بـذِكـرِ الهَـوى، غُلَّـةً بصَـدرِ كـريـمٍ صَبَـا مـا صَبَـا

ولا غـامَ، مـا غـامَ، حتـى انجلـى، فـأضحَـى، ولا انقـادَ حتـى أَبَـى[٤]

---

(١) **شأوت**: من شأى أي سبق ـ **المطايا**: ما يمتطى من الخيل والنوق جمع المطيّة ـ ومطايا الصّبا: استعارة ـ **الثنايا**: جمع ثنية، الطريق، العقبة ـ **وطلت الثنايا**: أي تغلبت على صعابها وفي هذا افتخار بقدرته وفضله.

(٢) **صدر الدّجى**: أوائل الليل ـ **وطّأ الظهر**: جعله وطيئا، أي سهَّلَهُ.

(٣) **جبتُ**: من جاب المكان: طاف به، تجوّل فيه ـ السّدفة: الظلمة ـ **السبسب**: الفلاة القاحلة لا نبت ولا ماء فيها، المفازة.

(٤) **غام**: من الغيم، مثل بذلك للغمّ والأسى ـ **انجلى الغنيم**: انكشف، انقشع وتبدّد ـ **أبى**: من الإباء وهو الكبر والأنفة.

وحَنَّ هديلٌ على بانةٍ، ... تصدَّى خطيباً بها أخطَبا

فأذكَرَنا ليلةً باللِّوى، ... وعَهداً بعَصرِ الصِّبا أطرَبا

وماءً، بوادي الغَضا، سَلسلاً، ... ومُرتَبَعاً، بالحِمَى، مُعشِبا

ليالِيَ، عَهدِي بنا فتيةً، ... وعهدي بأحبابِنا رَبرَبا[١]

وما كانَ أعطرَ تلك الصَّبا؛ ... وأندَى معاطِفَ تلك الرُّبى

وأطيبَ ذاك الجَنى روضةً؛ ... ورشفةَ ذاك اللِّمى مَشرَبا

فحرَّكَ، من ساكنٍ، كامنٌ، ... تَعاطي حديثٍ يَحُلُّ الحُبَى

ولم يَكُ يَعرِفُني أمرداً، ... طريراً، ويُنكِرُني أشيَبا[٢]

فكِدتُ، ودونَ الصِّبا شَيبةٌ، ... أَجُرُّ، هنالك، ما أذهَبا

وقلتُ، وحبُّ الدُّمى ذنبُه: ... ألا غَفَرَ اللهُ ما أذنَبا

وصعَّدتُ، عن حبِّه، زَفْرةً، ... يَكادُ لها الصدرُ أن يَلهَبا

وأغربَ، من لوعةٍ، مَدمَعٌ ... إذا لجَلَجَت لوعةٌ أعربا[٣]

ورَدْعُ أصيلٍ لَوى مَعطِفي، ... ففضَّضت بالدمع ما ذَهَّبا[٤]

وشَعشَعتُ منه، بظَهرِ النَّقا، ... شَراباً أُرَقرِقُه أصهبا

وأَعوَلتُ أَندُبُ عصراً خَلا؛ ... وقصْرُ ابنِ ستّينَ أن يَندُبا[٥]

وشبَّبتُ أطرَبُ لا عن هوًى؛ ... وهل يَطرَبُ المرءُ إن شَبَّبا؟

لكَ الخيرُ، شِخْتُ سِوى مِقْولٍ ... نبيلٍ، يُذهِّبُ ما هذَّبا

---

(١) **الربرب**: القطيع من الظباء أو بقر الوحش، والمراد الكوكبة من الأقران والأحبّة.

(٢) **الأمرد**: الذي لم يطر شاربه ـ **الطرير**: الذي نبت شاربه.

(٣) **أغرب الدمع**: سال وانسكب غزيراً، من أغرب الحوض ملأه ـ **لجلج في الكلام** لجلجة: تردّد فيه ـ **ولجلج شيء في صدره**: تردّد ـ **اللوعة**: حرقة القلب ـ **أعرب كلامه**: حسّنه، أفصح.

(٤) **الردع**: أثر الطيب في الجسد، **والردع**: الزعفران وهو المقصود ـ **فضّض الشيء**: طلاه بالفضّة، **وفضّض بالدمع**: كناية عن البكاء وفي العبارة تمثيل الدمع لنقائه بالفضّة ـ **ذهّب الشيء**: جعله مطلياً بالذّهب.

(٥) **أندب**: أبكي متفجعاً ـ **خلا**: مضى.

فصـــارَ يـــذكِّـــرُنـــي مـــا يســـرُّ، كـــلامٌ، إذا مـــا طَـــرى، طَـــرَّبـــا[١]

كـــلامٌ يَجِـــدُّ بلُـــبّ الفَتـــى ذَهـــابـــاً، إذا شـــاء أَن يَلعبَـــا[٢]

تحمَّـــلَ مـــا شـــاء مـــن رِقَّـــةٍ، فحيَّـــا، عـــن المَشـــرقِ، المَغـــرِبـــا

وكـــادَ بمـــا فيـــه، مـــن بَلَّـــةٍ، يَســـومُ الصحِيفـــةَ أَن تُعشِبـــا

فللّـــه قَـــولـــيَ مَـــا أَهـــذبَـــا؛ ولله لَفظـــيَ مـــا أَعـــذَبـــا

ولله دَرُّ أَخـــي ســـودَدٍ، رســـا هضبـــةً، وسَـــرى كـــوكَبـــا

تصـــوبُ السمـــاءُ، إذا مـــا حبَـــا؛ ويَمثُـــلُ رَضـــوى، إذا مـــا احتبـــى

وتعْشـــو الضيـــوفُ إلـــى نـــارِه، فتَلقـــى، هنـــاك، أَلا مَـــرحَبـــا

وتمضِـــي بـــه، فـــي الـــوغـــى، نَجـــدةٌ مضـــى السيـــف، فـــي كفِّـــهِ أَو نَبـــا

فتـــرضـــى الصـــوارِمُ عنـــه أَخـــاً؛ وتشكُـــرُ منـــه المعـــالـــي أَبـــا

وقـــد لثَـــم النَّقـــعُ أُســـدَ الشَّـــرى، وكـــرَّت بهـــا الخيـــلُ تَعـــدُو تُبـــا[٣]

فلـــم تَـــرَ إلّا نجيعـــاً جـــرى، ورُمحـــاً تَشظَّـــى، وطِـــرفـــاً كَبـــا[٤]

لقـــد عَـــرفَـــت قـــدرَه دولـــةٌ، تُفـــدِّي بـــه الأكَـــرَمَ، الأنجَبـــا

وتَعتـــدُّهُ المُنتقـــى، المُتَّقـــى علـــى الخيـــرِ، والحُـــوَّلَ القُلَّبـــا[٥]

تَقِـــلُّ الـــوِزارةُ فـــي حقِّـــه، وتَنـــزِلُ، عـــن قَـــدرِه، مَنصِبـــا

تطـــولُ السمـــاءُ بـــآبـــائِـــه، وتُحصـــي بهـــم كـــوكبـــاً كـــوكبـــا

وتنقـــادُ غُـــرُّ المعـــالـــي لـــه، فيقتـــادُهـــا مِقنَبـــاً مِقْنَبـــا[٦]

---

(١) **طرى الكلام**: أقبل ـ **طرّب**: حمل على الطرب.

(٢) **اللبّ**: العقل وجدّ بلبّه ذهاباً: استحوذ على عقله، أفقده وعيه.

(٣) **النقع**: الغبار ـ **تعدو**: تركض، **التبا**: من تبا تبوا: إذا غزا وغنم.

(٤) **النجيع**: الدم ـ **تشظّى**: انشقّ ـ الطرف: الكريم الطرفين أي الأب والأم ـ كبا: سقط.

(٥) **المنتقى**: المصطفى ـ **الحوّل**: الخبير بتقلّب الأحوال والقلّب بالمعنى نفسه: العالم بتقلّب الأوضاع.

(٦) **يقتادها**: يقودها ـ **المِقنب**: (بكسر الميم): الجماعة من الخيل المتحفّزة للغارة.

ويَــــلأمُ شتَّــــى العُلـــى والحِلـــى، علـى حيـنَ أَصبَحـن أَيـدي سَبـا[1]
وحســبُ المنـى أَنْ سَـرى مَـوعِـدٌ، كفيـــلٌ بنيـــلِ المُنـــى مَطلَبـــا
تــوالَــت رِقــاعُــك، تَتـرى بـهِ، وشُكــري لهــا مــوكِبـاً مــوكِبـا
وغيـــريَ مَــن غَـرَّه مَـوعِــدٌ، يَشِيــم بــه بــارِقــاً خُلبَّــا[2]
فخُــذهــا إِليَــكَ تهــزُّ الفَتــى، ومــن شِيمــةِ الــراح أَن تُطــربــا
خصَصـــتُ الأخــصَّ بهــا أَثــرةً؛ وحيَّيـــتُ، بـــالأطيـــبِ، الأطيبـــا
وسُمـــتُ البـــراعـــةَ أَن تَنكفـــي، وذلْـــقَ اليَـــراعـــةِ أَن تكتُبـــا
وأَجـــرَيـــتُ مـــن مُـــدَّةٍ أَدهمـــاً؛ ووقَّـــرتُ، مـــن مُهـــرَقٍ، أَشهبَـــا
تـــركـــتُ القلـــوبَ لـــه مَـــربطـــاً، وصَـــدرَ النَّـــديِّ بـــه مَلْعبـــا

(١٥)

شابَتْ نَواصي الغصون

يصف لهوه في ليلة مثلجة

ألا فضَلـــت، ذَيلَهـــا، ليلـــةٌ، تجُــرُّ الــرَّبــابُ بهــا هَيــدَبــا[3]
وقــد بَــرقَــعَ الثَّلــجُ وجــهَ الثَّــرى، وأَلحَــفَ غُصــنَ النَّقــا، فــاحتَبــى[4]
فشـــابَـــت، وراءَ قِنَـــاعِ الظَّـــلامِ، نـــواصـــي الغصـــونِ، وهـــامُ الــرُّبــا[5]
فمَهمـــا تيمَّمـــتُ خَمَّـــارةً، ركِبـــتُ إلـــى أشقـــرٍ أَشهبَـــا[6]

---

(١) **أصبحن أيدي سبا**: أي تفرّقن، وتبدّد شملهنّ.
(٢) **البارق الخلّب**: أي السّحاب الذي يبرق ولكنّه لا يمطر.
(٣) **فضله فضلاً**: غلبه في الفضل ـ **الرباب**: الأبيض من السحب ـ **الهيدب**: السحاب المنخفض الداني من الأرض.
(٤) **برقع الثلج وجه الثرى**: غطاه ببرقع من نسجه ـ **ألحف الغصن**: ألبسه لحافاً، كساه ـ **احتبى (أي الغصن) بالثوب**: اشتمل به، تلفّف به.
(٥) **نواصي الغصون**: أعاليها، والنّاصية أصلاً شعر مقدّم الرأس ـ **الهام**: جمع هامة ـ الرأس.
(٦) **تيمّم**: قصد، ذهب نحو المكان ـ **الأشقر**: الخمر، من باب المجاز ـ **والأشهب**: الثلج ـ **يقول** إنه ذهب إلى حانة الخمر وقد علا الثلج الدروب والمسالك.

وحيَّيْتُ جانبَها طارقاً، فقالت تُجيب: ألا مَرحَبا[1]
وقامَت بأجيَدَ، من كأسِها، لأوقَصَ، مِن دَنِّها، أحدَبا[2]
فجاءَت بحمراءَ وقّادةٍ، تَلهَّبُ في كاسِها كوكَبا[3]
عَثرْتُ بذيلِ الدُّجى دونَها، فأضحَكتُ ثغراً لها أشنبا[4]
وقد مَسحَ الصُّبحُ كُحلَ الظلامِ، وأَطلع فَودُ الدُّجى أشْيَبا[5]

(١٦)

يُطارِدهُ بارقٌ

ألا زاحمَ الليلَ بي أشقرٌ، تَصوَّبَ، تحتَ الدُّجى، كوكبا[6]
فكادَ، وقد طارَ بي شُعلةً، على فَحْمةِ الليلِ أن تَلهَبا
وباتَ يطارِدُه بارقٌ، أحَالَ غُرابَ الدُّجى أشهبَا[7]
فذهَّبَ، ليلَ السُّرى، عارضٌ، يفضِّضُ بالماءِ ما ذَهَّبا[8]
فأعشبَ ما جادَ من تَلعةٍ، وطرَّزَ بالنَّورِ ما أَعشَبا[9]

---

(١) **طارقاً**: زائراً ليلاً ـ **فقالت**: يريد صاحبة الحانة.

(٢) **الأجيد**: الأجيد صفة الإبريق الطويل العنق ـ **الأوقص**: خلاف الأجيد، أي القصير ـ **الدنّ**: إناء الخمر.

(٣) **بحمراء**: أي بخمرة حمراء اللون ـ وقّادة (للمبالغة): شديدة التوقد، متلألئة ـ شبه الخمرة في الكأس بكوكب دريّ متوقّد شديد التلهّب.

(٤) **يصف كيف تعثّر بسبب ظلمة الليل** وطابق بين سواد الدجى والكأس الضاحك كأنه ثغر أبيض الأسنان.

(٥) **الفود**: جانب الرأس ـ **شبّه بياض الفجر** بالشيب في جانب الرأس وظلمة الليل الذاهب بالشعر الأسود الحالك.

(٦) **الأشقر**: الفرس الأشقر ـ **تصوّب كوكب**: انحدر.

(٧) **أحال غراب الدّجى**: حوّله، وأراد بغراب الدجى ظلمة الليل ـ **الأشهب**: من الشهبة وهي البياض رالذي يتخلّله السواد.

(٨) **السّرى**: السير قليلاً ـ **العارض**: السحاب المعترض في السماء والممطر.

(٩) **التلعة**: أعلى الوادي ـ **النّور**: الزهر.

فَردَّى مناكبَ تلكَ الغصونِ، وزرَّرَ أَكفافَ تلكَ الرُّبا[1]

(١٧)

بدرُ تَمٍّ

مَرَّ بنا، وهو بَدرُ تَمٍّ، يسحَبُ من ذَيلِهِ سَحابا

بقامةٍ، تَنْثَني قضِيباً؛ وغُرَّةٍ، تَلتظِي شِهابا[2]

يَقرأُ، والليلُ مُدلهِمّ، لنُورِ إجلائِه، كِتابا[3]

ورُبَّ ليلٍ سهِرتُ فيه، أزجُرُ، من جِنحهِ، نِكابا[4]

حتى إذا الليلُ مالَ سُكراً، وشقَّ سِربالَه وَجابا[5]

وحامَ، من سُدفِه، غُرابٌ، طالَت به سِنُّه، فشابا[6]

ازدَدتُ، من لوعتي، خَبالاً، فحثَّ، من غُلَّتي، شَرابا[7]

وما خَطا قادماً، فوافى، حتى انثنى ناكصاً، فآبا

وبينَ جَفنَيَّ بحرُ شَوقٍ، يعُبُّ، في وَجنتِي، عُبابا

قد شبَّ، في وجهه، شُعاعٌ، وشبَّ عن قلبِه التهابا

وروضةٍ طَلقةٍ حياءٌ، غنَّاءَ مُخضرَّةٍ جَنابا[8]

ينجابُ عن نَورِها كِمامٌ، يحُطُّ، عن وجهِه، نِقابا[9]

---

(١) **ردّى المناكب**: جعلها تلبس رداء ـ **الأكفاف**: حواشي الثوب ـ **أكفاف الربى**: جوانبها، أطرافها.

(٢) **تنثني**: تتمايل ـ **تلتظي**: تتوقد.

(٣) **ادلهم الليل**: أظلم ـ **الإجلاء**: مصدر أجلى الشيء أبانه وكشف صفحته.

(٤) **جنحه**: أي جنح الليل وهو طائفة منه ـ **النكاب**: المصائب، جمع نكبة.

(٥) **السربال**: القميص ـ **جاب**: قطع، اجتاز.

(٦) **السدف**: حلكة الليل.

(٧) **الخبال**: الفساد، الاضطراب ـ **الغلة**: حرقة الجوانح.

(٨) **الروضة الطلقة**: الضاحكة.

(٩) **النقاب**: ما يستر الوجه.

بـــاتَ بهـــا مَبسِـــمُ الأقـــاحـــي يــرشُــفُ، مــن طَلِّهــا، رُضــابــا[١]

ومـــن خُفـــوقِ البـــروقِ فيهـــا أَلْـــويـــةٌ، حُمِّـــرَت خِضـــابـــا[٢]

كـــأنَّهـــا أنمُـــلٌ وِرادٌ، تحصُـــرُ قَطـــرَ الحَيـــا حِســـابـــا[٣]

(١٨)

حَسِبْتُهُ أَلِفا

وأغــرَّ كــادَ، لطــافــةً وطَــلاقــةً، ينســابُ مــاءً بيننــا مَسكــوبــا[٤]

وسْنــانَ، يُــدرِكُ كــلَّ قلــبِ طــالبــاً، ويفــوتُ كــلَّ مُتيَّــمٍ مطلــوبــا[٥]

قد قامَ في صَدرِ النَّدامى، فاستوى، فحسِبتُــه أَلِفــاً بـــه مكتـــوبـــا[٦]

وأَكــبَّ يَشــرَبُهــا، وتشــربُ ذِهنَــه، فــرأيــتُ منــه شــاربــاً مَشــروبــا

مَشمــولــةً، بَينــا تُــرى فــي كفِّــه مــاءً، تُــرى فــي خــدِّه أُلهــوبــا[٧]

(١٩)

طَلَعَتْ شَمْساً

فَتــقَ الشَّبــابُ، بــوَجنتَيهــا، وردةً، فــي فَــرعِ إسْحِلَــةٍ تَميــدُ شَبــابــا[٨]

وضَحَــت سَــوالــفُ جِيدِهــا سُــوســانــةً، وتـــوَرَّدَت اطـــرافُهـــا عُنَّـــابـــا[٩]

---

(١) **الأقاحي**: زهر الأقحوان ـ **الرضاب**: الريق.

(٢) **الألوية**: الأعلام، جمع لواء.

(٣) **الحيا**: الريق.

(٤) **الأغرّ**: الوضاء الجبين ـ **ينساب ماءً**: أي كالماء أي يمرّ بلطف.

(٥) **وسنان**: ناعس الطرف، والطرف الناعس من صفات الحسن ـ **المتيّم**: المحب الذي استعبده الحب، أي جعله أسيراً للمحبوب.

(٦) **شبّه استواء المحبوب وبروزه في المجلس بصورة الألف في الكتابة.**

(٧) **مشمولة**: صفة الخمرة الباردة ـ **الألهوب**: اللهب.

(٨) **فتق وردة**: جعلها تفتح أكمامها ـ **الوجنة**: الخد ـ **الأسحلة**: من الأشجار التي تتخذ منها المساويك **تميد**: تميس، تتمايل.

(٩) **الجيد**: العنق، وسوالف الجيد: جمع سالفة، صفحة الجيد ـ **السوسانة**: شجرة السوسان ذات الرياحين.

بيضـاءُ، فـاضَ الحسـنُ مـاءً فـوقَهـا، وطَفـا بـه الـدُّرُّ النفِيـسُ حَبـابـا

بيـنَ النُّحـورِ قِـلادةً، تحـتَ الظَّـلامِ غَمـامـةً، دونَ الصَّبـاحِ نِقـابـا[1]

نـادمتُهـا، ليـلاً، وقـد طَلَعَـت بـهِ شمسـاً، وقـد رَقَّ الشَّـرابُ سَـرابـا[2]

وتـرنَّمَـتْ، حتـى سمِعـتُ حَمـامـةً، حتـى إذا حسَـرَت، زجـرَتُ غُـرابـا[3]

(٢٠)

تخيّرتُه نجيبا

تَخيَّـرتُـه مـن رَهـطِ أعـوجَ سـابحـاً، أغـرَّ، كـريـمَ الـوالـديـنِ، نجِيبـا[4]

خفيفـاً، ولـم يَحلُـم بسَـوطٍ، كـأنَّمـا يَفــوتُ عــدوّاً، أو يــؤمُّ حَبيبـا[5]

سَرى، وانتمى برقٌ بذِي الأثلِ، ليلةً، فبـاتَ بهـا هـذا لـذاك نَسِيبـا[6]

وحَـنَّ إلـى سَفـرٍ، فطـارَ إلـى السُّرى، يخـوضُ خلِيجـاً، أو يَجـوبُ كثِيبـا[7]

يـؤم بهـا أرضـاً، علـيَّ، كـريمـةً، ومُـرْتَبعـاً فيهـا، إلـيَّ، حبيبـا[8]

ونهـراً، كمـا ابيـضَّ المقبَّـلُ، سَلسـلاً، وجِزعاً، كما اخضرَّ العِذارُ، خصِيبا[9]

ورُبَّ نسيـمٍ مَـرَّ بـي وهـو عـاطـرٌ، رقيـقُ الحـواشـي، لا يُحـسُّ دبِيبـا

---

(١) **النحور**: جمع نحر: الجيد ـ **النّقاب**: الحجاب.

(٢) **رقّ الشّراب**: صفا ـ **السّراب**: ما يظن ماء وسط النهار عند اشتداد الحرّ، وهو ليس إلا من خداع البصر.

(٣) **شبّه صوتها بترنيمة الحمامة، وشعرها بالغراب الأسود ـ وقوله حسرت**: أي كشفت النقاب عن رأسها.

(٤) **التخيّر**: الانتخاب ـ **أعوج**: جواد من خيول العرب الكريمة ـ **السّابح**: أي الجواد السّابح، السّريع ـ **النجيب**: الفرس الكريم الأصل.

(٥) **يفوت العدوّ**: يسبقه في جريه ـ **يؤم الجيب**: يقصده ويتوجّه إليه.

(٦) **بذي الإثل**: أي بموضع ذي الأثل، والأثل ضرب من الشجر المتين.

(٧) **جاب يجوب المكان**: يجتاز، يقطع.

(٨) **يؤم**: يقصد ـ **المرتبع**: المنزل.

(٩) **كما ابيض المقبّل**: يشبه النهر بالثغر بجامع البياض ـ نهراً سلسلاً: عذباً ـ **الجزع**: موضع الاجتياز في الوادي.

وجدتُ بـه، مـن ذلـك المـاءِ، بَلَّـةً، ومـن نَـوْرِ هـاتيـكَ الأبـاطـح طيبـا[1]
فصـافَحـتُ رَيْعـانَ النسيـم تشـوُّقـاً إليهـا، ولازَمـتُ القَضِيـبَ رَطِيبـا
وقـد قلَّـدَ النُّـوَّارُ جِيـداً لـرَبْـوةٍ هنـاك، ونَحـراً، للفَضـاءِ، رحِيبـا[2]
وأفصحـتِ الـورقـاءُ، فـي كـلِّ تَلعـةٍ، نشيـداً، وقـد رقَّ النَّسِيـمُ نسِيبـا[3]
وكـانَ علـى عهـدِ الشَّبـابِ تغنِّيـاً، يشـوقُ أخـاً وَجـدٍ، فعـادَ نحِيبـا[4]
دَعـا لغُـروبِ الـدَّمـعِ، والـدارُ غُـربـةٌ، فلـم أرَ إلا داعيـاً ومُجِيبـا[5]

(٢١)

انقضّ شهابا

وصف فرساً مطهّما فقال:

ومُطَهَّـمٍ شَـرِقِ الأديـمِ، كـأنَّمـا ألِفَـت مَعـاطِفُـه النَّجِيـعَ خِضـابـا[6]
طَـرِبٌ، إذا غنَّـى الحُسـامُ، مُمَـزِّقٌ ثـوبَ العَجـاجـةِ جيئـةً وذَهـابـا[7]
قـدَحَـت يَـدُ الهَيجـاءِ منـه بـارقـاً، متلهِّبـاً، يُـزجـي القَتـامَ سَحـابـا[8]
ورَمـى الحِفـاظُ بـه شيـاطينَ العِـدى، فـانقـضَّ فـي ليـلِ الغُبـارِ شِهـابـا[9]
بسَّـامُ ثغـرِ الحَلـيِ، تحسَـبُ أنـه كـاسٌ، أثـارَ بهـا المِـزاجُ حَبـابـا[10]

---

(١) **النور**: الزهر ـ **الأباطح**: جمع بطحاء: المسيل الواسع وفيه الرمل والحصى الدقاق.

(٢) **النوّار**: الزهر ـ **الجيد**: العنق ـ النحر: الجيد.

(٣) **الورقاء**: الحمامة ـ **التلعة**: المرتفع من الأرض، والجمع تلاع.

(٤) **الوجد**: الحبّ.

(٥) **غروب الدّمع**: مسيله.

(٦) **المطهّم**: الجواد الحسن الخَلْق ـ **الأديم**: الجلد، **وشرق الأديم**: أي أديمه يميل إلى الاحمرار ـ **النجيع**: الدم الخضاب: ما يلوث به.

(٧) **الحسام**: السيف القاطع، **العجاجة**: الغبار.

(٨) **قدح (بالزّند)**: حاول إخراج النار منه، **وقوله**: قدحت بارقاً: كناية عن سرعة الجواد في كرّه وانقضاضه ـ **الهيجاء**: الحرب ـ **يزجي**: يقود ـ **القتام**: غبار المعركة القاتم.

(٩) **الحفاظ**: الذّود عن المحارم.

(١٠) **بسّام ثغر الحلي**:استعارة للون المشرق ـ **المزاج**: أي المزج بالماء، والحباب ما يعلو الكأس من زبد.

(٢٢)

حَسْبي شَجْواً

قال يصف وطأة الدهر ويبكي الأحبّة والخلاّن

أَلاَ عَـرَّسَ الإِخـوانُ فـي سـاحـةِ البِلـى، ومـا رَفعُـوا، غيـرَ القُبـورِ، قِبـابـا[١]

فَـدَمـعٌ، كمـا سَـحَّ الغَمـامُ، ولَـوعَـةٌ، كمـا أَضـرمَـت رِيـحُ الشَّمـالِ شِهـابـا

إِذا استَـوقَفَتْنـي فـي الـدِّيـارِ، عَشِيَّـةً، تلَــذَّذتُ فيهــا جَيئَــةً وَذَهــابــا

أَكُــرُّ بِطَـرفِـي فـي مَعـاهِـدِ فِتيـةٍ، ثَكِلتُهُـمُ بِيـضَ الـوُجُـوهِ شَبـابـا[٢]

فطَـالَ وُقُـوفـي بيـنَ وَجـدٍ وزَفـرةٍ، أُنـادِي رُسُـومـاً، لا تُحِيـرُ جَـوابـا[٣]

أَمحـو جمِيـلَ الصَّبـرِ، طَـوراً، بعَبـرةٍ أَخُـطُّ بهـا، فـي صَفحتَـيَّ، كِتـابـا

وقـد دَرَسَـت أَجسـامُهُـم ودِيـارُهـم، فَلَــمْ أَرَ إِلاَّ أَقبُــراً وَيَبــابــا[٤]

وحَسبِـيَ شَجـواً أَن أَرى الـدَّارَ بَلقَعـاً، خَـلاءً، وأَشـلاءَ الصـدِيـقِ تُـرابـا[٥]

(٢٣)

الشَّيبُ شَيْنٌ

قال يصف المشيب ويطري الشباب وصبواته

أَرِقْـتُ علـى الصِّبـا، لطُلـوعِ نجـمٍ، أُسمِّيــه، مُســامَحــةً، مَشيبــا[٦]

كفــانــي، رُزءَ نَفــسٍ، أنْ تَبـدَّى، وأعظَــمُ منــه رُزءاً أن يَغيبــا[٧]

ولــولا أن يشُــقَّ علــى الغَـوانـي، لَــلاقيــتُ الفتــاةَ بــه خضِيبــا

---

(١) **عرّس تعريساً (في المكان)**: نزل ليلاً - **البِلى**: الفناء - **ساحة البلى**: الموت.

(٢) **ثكلتهم بيض الوجوه**: أي فقدتهم وهم في مقتبل العمر.

(٣) **لا تحير جواباً**: لا تجيب.

(٤) **اليباب**: الخراب.

(٥) **البلقع**: الأرض القفر، والدار البلقع: الخالية من أصحابها.

(٦) **شبه الشيب لبياضه بالنجم، وقوله**: أرقت على الصبا كناية عمّا اعتراه من القلق على تولّي الشباب.

(٧) **الرزء**: المصيبة العظيمة.

فلـم أعـدمْ، هنـاك، بـه شفيعـاً إلـى أمـلٍ، ولـم أبـرَحْ حبيبـا
غـريبـةُ شَيـبِ فَـوْدٍ، إنْ تـراخَـت حَيـاتـي، آل أسـودُه غَـريبـا[1]
شَنِئـتُ بمُجتـلاهـا النَّـورَ، حتـى شَنِئـتُ، بمُجتلـى النَّـورِ، القَضِيبـا[2]
وعِفـتُ، كـراهـةً للشـيءِ، شيئـاً، يكـونُ لـه شبيهـاً، أو نَسِيبـا
وأيَّـةُ شَيبـةٍ إلاّ نَـذيـرٌ؛ وهـل طـرَبٌ، وقـد مثَلَـتْ خطِيبـا
وبُـؤتُ بحملِهـا مـن غيـرِ خَطـبٍ، كـأنـي قـد حمَلـتُ بهـا عَسِيبـا[3]
ومِلـتُ مـع الشَّبـابِ عـن التصـابـي، وكيـفَ بـه، وقـد طَلَعَـت رقِيبـا!
وقلـتُ: الشَّيـبُ للفِتيـانِ شَيـنٌ، كفـى الأحـداثَ، شينـاً، أن تشِيبـا[4]
فـلا تطمَـح، إلـى فـودِي، غُـلامـاً، غـريـراً، أو اغشَنـي كهـلاً أرِيبـا
فـأحسَـنُ مـن حَمـامِ الشَّيـبِ، عنـدي، غُـرابُ شَيبـةٍ ألِـفَ النَّعِيبـا
يَطِيـبُ بنَفسـه عنـدَ الغَـوانـي، فيَغنـى، عـن فتيـتِ المِسـكِ، طِيبـا
وتَـرعَـى منـه عيـنُ الظَّبـيِ شُهبـاً، لهـا، فيُسـالِـفُ الظَّبـيَ الـرَّبيبـا[5]
وبيـنَ العيـنِ والشَّعـرِ اشتبـاكٌ، كـريـمٌ يقتضـي نسَبـاً قـريبـاً

(٢٤)

مِحْراب العِذَار

مـا للعِـذارِ، وكـانَ وَجهُـكَ قِبلَـةً، قدْ خَطَّ فيهِ، منَ الدُّجى، مِحرابا
وإذا الشَّبـابُ، وكـانَ لَيـسَ بخـاشِـعٍ، قـدْ خَـرَّ، فيـه، راكِعـاً، وأنـابـا
ولَقـد عَلِمـتُ، بكـونِ ثَغـرِكَ بـارقـاً، أَنْ سَـوفَ يُـزجـي للعِـذارِ سَحـابـا

---

(١) **الفود**: جانب الرأس، ومثناه الفودان ـ آل: صار وتحوّل.
(٢) **شنئت**: كرهت ـ **النّور**: الزهر الأبيض.
(٣) **باء بالشيء**: عاد ورجع ـ **الخطب**: الأمر الجلل ـ **عسيب**: علم على جبل.
(٤) **الشين**: العيب، العار.
(٥) **سالفه يسالفه في الأمر**: ساواه فيه ـ **الظبي الربيب**: الذي ربّي حتى أدرك.

(٢٥)

. . . فَهي الهِلالُ

عوجاءُ تُعطَفُ ثم تُرسَلُ تارةً، فكأنما هيَ حيّةٌ تنسابُ[١]
وإذا انحنَت، والسَّهمُ منها خارجٌ، فهيَ الهلالُ، انقضَّ منه شِهابُ

(٢٦)

نَلْتَقي ونَثوبُ

يحِلُّ بها أدنى الرّياحِ، فليتَها شَمالٌ، تهادى بيننا، وجَنوبُ[٢]
تهُبُّ بنا طوراً جَنوباً، فنلتقي؛ وتجري شَمالاً تارةً، فتثوبُ[٣]

(٢٧)

تَجِدُّ بيَ الصَّهباءُ

ويومٍ صقيلٍ، للشَّبابِ، ظَلِلتُه، تجِدُّ بيَ الصَّهباءُ فيه، وألْعَبُ[٤]
رطِيبٌ بأنفاسِ الصِّبا ونَدى الصَّبا، فقد رَقَّ حتى كاد يَجري، فيَسكُبُ
توَضَّحَ، في وجهِ الصِّبا منه، مَبسمٌ؛ وأشرق، في ليل من الشَّيبِ، كوكبُ[٥]
تقلَّبتُ فيه بينَ أعطافِ عِيشَةٍ، كما اخضرَّ يَندى أبطحٌ ظَلَّ يُعشِبُ
وقد هزَّ، من عِطفَيْ نديمٍ وخُوطةٍ، أنينُ حَمامٍ، أو غُلامٌ يُطرِّبُ[٦]
وجِزعٌ، بأنداءِ الغَمامِ مُفضَّضٌ، وذَيلٌ عليه، للعشيّ، مُذهَّبُ

---

(١) **تعطف**: تثنى ـ **تنساب (الحية)**: تجري مسرعة.

(٢) **حلّ به**: ألم به ـ **الشمال والجنوب**: أي الريح التي تهب من الشمال والجنوب.

(٣) **تثوب**: تعود، ترجع.

(٤) **أراد باليوم الصقيل**: اليوم المشرق الخفيف الوطأة، والصقيل هنا استعارة من السيف الصقيل أي الأملس الذي جلاّه الصقال ـ **الصهباء**: الخمر ـ وقد طابق بين الجد واللعب.

(٥) **توضح**: افترّ باسماً ـ **الليل**: هنا سواد الشعر، الكوكب هو الشيب.

(٦) **عِطفي**: مثنى عطف، والعطف هو الجانب من الجسم ونحوه ـ **الخوط**: الغصن الناعم، وأراد بالخوطة المرأة الناعمة التي تشاركه في مجلس الشراب.

وقد جالَ، من كاس السُّلافةِ، أشقرٌ، يسابقُه، من جَدولِ الماء، أشهَبُ[1]

بـروضٍ، كـأنَّ الغُصـنَ يَـزهـى، فيَنثني بـه، وكـأنَّ الطَّيـرَ يُسقـى، فيَطـرَبُ[2]

قـد ارتجـزَ الـرَّعـدُ المُـرِنُّ بـأفقِـه، فأملى، وجالت راحةُ البَرقِ تكتُبُ[3]

كـأنَّ لِسـانَ البَـرقِ فيـهِ، عشيَّـةً، لِـواءٌ خضيـبٌ، أو رِداءٌ مُـذَهَّـبُ

(٢٨)

الرّوض وجهٌ أزهر

مجلسُ لهوٍ في أحضان الرياض

سَقيـاً ليـومٍ قـد أَنَخـتُ بسَـرحـةٍ رَيّـا، تُـلاعبُهـا الشَّمـالُ، فتلعَـبُ[4]

سَكـرى، يُغنِّيهـا الحَمـامُ، فتنثَنـي طَـربـاً، ويَسقِيهـا الغَمـامُ، فتَشـرَبُ

يَلهـو، فتُـرفَـعُ، للشبيبـةِ، رايـةٌ فيـه، ويطلُـعُ للبَهـارةِ كـوكـبُ[5]

والـرَّوضُ وَجـهٌ أَزهـرٌ، والظِّـلُّ فـرعٌ أسـودٌ، والمـاءُ ثغـرٌ أشنَـبُ[6]

فـي حيثُ أطـرَبنـا الحَمـامُ عَشِيَّـةً، فشَـدا يُغَنّينـا الحَمـامُ المُطْـرِبُ

واهتَـزَّ عِطـفُ الغُصـنِ مـن طـربٍ بنـا؛ وافتـرّ، عـن ثغـرِ الهِـلالِ، المَغـرِبُ[7]

فكـأنَّـه، والحُسـنُ مُقتَـرِنٌ بـه، طَوقٌ، على بُردِ الغَمامةِ، مُذهَبُ[8]

فـي فِتيـةٍ، تَسـري، فيَنصَـدعُ الـدُّجـى عنها، وتَنزِلُ بالجدِيبِ، فيَخصِبُ[9]

---

(١) **السلافة**: الخمر.

(٢) **يزهى**: من الزهو وهو التباهي والإعجاب بالذات ـ ينثني: يتمايل.

(٣) **ارتجز الرعد**: أرسل صوتاً متتابعاً شبيهاً بالرجز وهو الإنشاد بصوت متتابع.

(٤) **أنخت**: من أناخ بالمكان: نزل به ـ **السّرحة**: فناء الدار وكل شجر طال، ولا شوك فيه.

(٥) **البهارة**: الحسن والجمال.

(٦) **الوجه الأزهر**: الوضّاء المشرق ـ **أشنب**: بارد.

(٧) **افترّ**: تبسّم.

(٨) **الطوق**: العقد من لؤلؤ ونحوه ـ **البرد**: الثوب ـ شبّه الهلال البادي في صفحة الغمام الرقيق بعقد مذهب.

(٩) **انصدع الدّجى**: انجاب ـ **الجديب**: غير الخصيب.

كَرُموا، فلا غَيثُ السَّماحةِ مخلِفٌ، يوماً، ولا بَرقُ اللَّطافةِ خُلَّبُ[1]
من كلِّ أزهرَ للنعيمِ، بوجهِه، ماءٌ، يُرَقرِقُهُ الشَّبابُ، فيَسكُبُ

(٢٩)

يهزُّني شبابٌ

يا رُبَّ وضّاحِ الجبينِ، كأنَّما رَسمُ العِذارِ، بصَفْحتَيه، كِتابُ
تَغرى، بطلعتِه، العيونُ مَهابةً، وتبيتُ تعشَقُ عقلَه، الألبابُ
خُلِعَتْ عليه، من الصَّباحِ غِلالةٌ تَندى، ومن شفَقِ السَّماء، نِقابُ
فكرَعتُ من ماء الصِّبا في مَنهلٍ، قد شُقَّ، عنه من القميصِ سَرابُ
في حيثُ للرِّيحِ الرخاء تنفُّسٌ أَرِجٌ، وللماءِ الفُراتِ عُبابُ
ولرُبَّ غضِّ الجِسمِ مَدَّ بخَوضِه شَبَحاً، كما شقَّ السماءَ شِهابُ
ولقد أَنَختُ بشاطِئَيه يهُزُّني طرباً، شبابٌ، راقني، وشَرابُ
وبكَيتُ دِجلتَه يُضاحِكُني بها، مَرَحاً، حبيبٌ، شاقَني، وحَبابُ

(٣٠)

ركبتُ دِجْلَتَهُ...

يصف نزهة في زورق برفقة الحبيب

وصقِيلِ إفرِندِ الشَّبابِ، بطَرْفِه سَقَمٌ، وللعَضْبِ الحُسامِ ذُبابُ[2]
يمَشِي الهُوَينا نَخوةً، ولَرُبَّما أَطرَته، طَوراً، نَشوةٌ وشبابُ[3]
شَتَّى المحاسنِ، للوَضاءةِ رَيْطةٌ، أبداً عليه، وللحَياءِ نِقابُ[4]

---

(١) **المخلق**: الذي أخلف ولم يصدق، والغيث المخلف: الذي لم يمطر ـ **البرق الخلّب**: الذي يلمع ولا يعقبه مطر.

(٢) **الإفرند**: جوهر السيف ووشيه، استعارة لزهو الشباب وحسنه ـ **السقم في الطرف**: الذبول والنّعاس وهو من محاسن العين ـ **العضب**: السيف القاطع ـ **الذباب**: حدّ السيف.

(٣) **يمشي الهوينا**: أي متمهّلاً ـ **أطرته**: جعلته ينثني ويزهو.

(٤) **الوضاءة**: الحسن ـ الريطة: الملاءة ـ **النقاب**: القناع الساتر للوجه.

وبمَعطِفَيــــه للشبيبـــةِ مَنهَـــلٌ، قـد شـفَّ عنـه مـن القميـص سَـرابُ[1]

عَبَـر الخليـجَ سبــاحــةً، فكـأنمـا أهـوى، فشَـقَّ بـه، السمـاءَ، شِهـابُ[2]

تَطفُـو لغُــرَّتِـهِ، هنـاك، حَبـابـةٌ، ويمـوجُ، مـن رِدفِ أَلـفَّ، عُبـاب[3]

ولئِـن تَـركـتُ من التَّصـابـي مَـركبـاً، ولكـلِّ مَـرحلـةٍ، تُجـابُ، رِكـابُ

لقَـدِ احتَللـتُ بشـاطِئَيـه، يهُـزُّنـي، طـربـاً، شَبـابٌ، راقَنـي، وشَـرابُ

وانسـابَ بـي نهـرٌ، يعُـبُّ، وزورقٌ، فتَحمَّلَتنــي عَقــربٌ وحُبــابُ[4]

وركِبـتُ دِجلَتَـه، يضـاحِكُنـي بهـا، فـرِحـاً، حبيـبٌ، شـاقَنـي، وحبَـابُ[5]

نجلُـو، مـنَ الـدُّنيـا، عـروسـاً، بينَنـا، حسنـاءَ، تُـرشَـفُ، والمُـدامُ رُضـابُ[6]

ثـمَّ ارتَحَلْـتُ، وللسمــاءِ ذُؤابـةٌ شَهبـاءُ، تُخضَـبُ، والظَّـلامُ خِضـابُ[7]

تَلـوي مَعـاطفَـيَ الصَّبـابـةُ والصِّبـا، والليـلُ، دونَ الكـاشِحِيـن، حِجـابُ[8]

حيـثُ استقـلَّ الجِسـرُ فـوقَ زوارقٍ نُسِقَــت، كمـا تَتَـواكـبُ الأحبـابُ

لـم تَستبِـق، وكـأنَّهـا، مُصطفَّـةً، دُهْـمٌ، تُنـازِعُـك السِّبـاقَ، عِـرابُ[9]

مـن كـلِّ غـربيـبِ الأديـم، لَـوَ انّـه قَبـلَ النعِيـبَ لَعِيـفَ منه غُـرابُ[10]

---

(١) **المنهل**: المورد ـ **شفّ**: رقّ فأظهر ما وراءه ـ شبه القميص لشفافيته ورقته بالسّراب.

(٢) **عبر الخليج**: اجتازه.

(٣) **الغرّة**: شعر مقدّم الرأس ـ **الردف**: الكفل ـ الردف الألف: الملتف، يريد الممتلىء ـ عباب البحر: موجه.

(٤) **يعبّ (أي النهر)**: يتلاطم موجه ـ **العقرب**: الزورق ـ **الحباب**: الحيّة شبّه بها انسياب الماء في صفحة النهر.

(٥) **الحباب**: الفقاقيع التي تعلو الماء، وتلاحظ المجانسة بين الحبيب والحباب.

(٦) **المدام**: الخمر ـ **الرضاب**: الريق.

(٧) أراد بذؤابة السماء الشهباء: أضواء الشفق بعد الغروب ـ **تخضب**: تصبغ ـ وصف كيف هجم ظلام الليل على ضوء الشفق وراح يصبغه بسواده.

(٨) **الصبابة**: رقة الهوى ـ **الصِّبا** (بكسر الصاد): الشباب ـ **والصَّبا** (بفتح الصاد): الريح الناعمة ـ **الكاشحون والكاشحين**: جمع كاشح، أي المبغض.

(٩) **دهم**: حالكة السواد ـ في هذا البيت شبه الشاعر المراكب في الماء بالجياد الدهم السوداء.

(١٠) **الغربيب**: الأسود ـ **الأديم**: الجلد ـ **النعيب**: صوت الغراب.

(٣١)

لهبٌ يلاعبُ الرّيحَ

قال يصف موقداً توزّع فيه ناظره بين رَماد أزرق وجمر أحمر ملتهب.

لاعَبَ، تلك الرِّيحَ، ذاكَ اللَّهَبُ، فعادَ، عينَ الجِدِّ، ذاك اللَّعِبُ[1]

وباتَ في مَسرى الصَّبا يتبعُهُ، فَهْوَ لها مُضطَرِمٌ، مضطَرِبُ

ساهرتُه أحسِبُه منتشياً، يهُزُّ عِطْفَيه، هناك، الطَّرَبُ[2]

لو جاءَه منتقِدٌ لمَا دَرَى أَلَهَبٌ متَّقِدٌ أم ذَهَبُ[3]

تَلثُمُ منه الرِّيحُ خدّاً خَجِلاً، حيثُ الشَّرارُ أَعينٌ ترتَقِبُ[4]

في موقِدٍ، قد رَقرقَ الصبحُ به ماءً عليه من نجومٍ حَبَبُ[5]

منقسِمٌ بينَ رَمادٍ أزرقٍ، وبينَ جَمرٍ خَلفَه، يَلتهِبُ

كأنما خَرَّت سماءٌ فوقَهُ، وانكدرَت، ليلاً، عليه شُهُبُ[6]

(٣٢)

الغَمَام الحاصِبُ

يا رُبَّ قَطرٍ جامدٍ حَلَّى به، نحرَ الثَّرى، برَدٌ تحدَّرَ صائِبُ[7]

حصَبَ، الأباطحَ منه، ماءٌ جامدٌ، غشَّى، البلادَ به، عذابٌ ذائِبُ[8]

---

(١) الجِد (بكسر الجيم): خلاف اللهو واللعب.

(٢) المنتشي: ذو النشوة، والنشوة: السكر.

(٣) اللهب المتقد: المتوقد، المشتعل.

(٤) تلثم: تقبّل.

(٥) الحبب: ما يعلو الماء ونحوه من فقاقيع.

(٦) طرّت: سقطت ـ انكدرت الشهب: تناثرت.

(٧) القطر: المطر ـ حلّى: زيّن ـ النحر: الجيد.

(٨) حصب المكان أو الشخص: رماه بالحصى، والحصى هنا هو قطع البَرَد ـ الأباطح: جمع أبطح مسيل الماء الواسع ـ غشى به: غطى.

فـالأرضُ تَضحَـكُ عـن قـلائـدِ أنجـمٍ، نُثِـرَتْ بهـا، والجـوُّ جَهْـمٌ قـاطِـبُ[1]
فكـــأنمـــا زَنَـــتِ البسيطـــةُ تحتَـــهُ، فـأكـبَّ يَـرجُمُهـا الغَمـامُ الحـاصِـبُ[2]

(٣٣)
حَديثٌ يَطيبُ

وخِيـريَّـــةٍ، بيـــنَ النَّسيـــمِ وبينَهـــا، حـديـثٌ إذَا جَـنَّ الظَّـلامُ، يَطِيـبُ[3]
لهـا نفَسٌ يَسري، معَ الليلِ، عـاطرٌ، كـأنَّ لـه سِـرّاً، هنـاكَ، يَـرِيـبُ[4]
يـدِبُّ مـعَ الإمسـاءِ، حتـى كـأنمـا لـه، خَلـفَ أستـارِ الظـلامِ، حبيـبُ[5]
ويخفَـى مـعَ الإصبـاحِ، حتـى كـأنمـا يظَـــلُّ عليـــه، للصَّبـــاحِ، رقِيـــبُ

(٣٤)
المِنْبَرِ والخَطِيبُ

ألا رُبَّ رأسٍ لا تـــــزاوُرَ بينَـــــه، وبيـــنَ أخيـــهِ، والمَـــزارُ قـــريـــبُ[6]
أنـافَ بـه صَلْـدُ الصَّفـا، فهـو مِنبَـرٌ؛ وقـام علـى أعـلاه، فهـو خطِيـبُ[7]

---

(١) **القلائد**: جمع قلادة، الطوق يزيّن به العنق، والقلائد هنا تشبيه لحبّات البرد التي غطت الأرض **الجوّ الجهم**: العابس المقّطب.
(٢) **البسيطة**: الأرض.
(٣) **الخيرية**: زهر المنثور الأصفر ـ **جنّ الظلام**: امتد.
(٤) **يريب**: يحمل على الريبة، أي الشك.
(٥) **يدبّ (هنا)**: يقبل، يأتي.
(٦) **الرأس (هنا)**: رأس الجبل ـ **وقوله**: لا تزاور بينه وبين أخيه، إشارة إلى رأسين متجاورين ولكنهما غير متصلين.
(٧) **أناف**: ارتفع ـ **الصفا**: الصخر، وصلد الصفا: الصخر الصلب ـ **شبّه في هذا البيت** الصخرة العالية بالمنبر، ورأس الجبل فوقها بالخطيب.

(٣٥)
قَهْوَةٌ وحَبيبُ

وأغيَـدَ، فـي صَـدرِ النـديّ لحُسنِـهِ حُلـيّ، وفـي صـدرِ القصيـدِ نسِيـبُ[١]
مـن الهِيـفِ، أمَّـا رِدفُـه فمُنعَّـمٌ خصِيـبٌ، وأمـا خصـرُه فجـدِيـبُ[٢]
يـرُفُّ بَـروضِ الحُسـنِ، مـن نـور وجهِه وقـامتِـه، نُـوّارةٌ وقضِيـبُ[٣]
جَـلاهـا، وقـد غنّـى الحَمـامُ، عشيَّـةً عجـوزاً عليهـا، للحَبـابِ، مشِيـبُ[٤]
وجـاءَ بهـا حمـراءَ، أمَّـا زُجـاجُهـا فمـاءٌ، وأمـا مِلـؤهُ فلهِيـبُ
علـى لُجَّـةٍ تـرتـجُّ، أمّـا حَبـابُهـا فنَـورٌ، وأمـا مَـوجُهـا فكثِيـبُ[٥]
تجـافَـت بهـا عنّـا الحـوادثُ، بُـرهَـةً، وقـد سـاعَـدَتنـا قَهـوةٌ وحبِيـبُ[٦]
وغـازَلَنـا جَفـنٌ، هنـاك، كنـرجِـسٍ، ومُبتَسَـمٌ، لـلأقحـوانِ، شنِيـبُ[٧]
فلِلّـهِ ذيـلٌ، للتصـابـي، سَحبتُـهُ، وعيشٌ، بـأطـرافِ الشبـابِ، رطيـبُ[٨]

(٣٦)
هَلْ ساءَهُ

هـل سـاءَه أنْ آلَ آسـاً وردُه، وتعطَّلَت، من فيهِ، كأسٌ تُشربُ[٩]

---

(١) **وأغيد**: أي رب أغيد، والغيد: طول الجِيد ـ **الحليّ**: ما يتزيّن به من المجوهرات الثمينة ـ **النسيب في صدر القصيد**: مطالع الغزل.

(٢) **الهيف**: جمع الأهيف: النحيل الخصر ـ **الردف**: العجز يصف محاسن المحبوب فينعته بطول الجيد، وضمور الخصر وامتلاء الردف.

(٣) **النّوارة**: الزّهرة ـ **القضيب**: الغصن وهو تمثيل للقامة.

(٤) **جلا الشيء**: أظهره وكشف عنه، والضمير في جلاها عائد للخمرة ـ **عجوزاً**: أي خمرة معتقة ـ الحباب: ما يعلو الخمرة من فقاقيع.

(٥) **اللّجة (هنا)**: الماء الجاري ـ ترتج: تهتزّ بقوة. **الكثيب**: المرتفع الرّملي.

(٦) يصف كيف تغلب على حوادث الزمان برفقة الحبيب والمدام.

(٧) **الجفن**: العين ـ **المبتسم الشنيب**: الثغر ذو الأسنان البيضاء والشنيب أيضاً: ريق الثغر البارد.

(٨) **العيش الرطيب**: العيش الهادىء المنعّم.

(٩) **آل الشيءُ**: تحّول وتبدّل من حال إلى حال ـ **الآس**: شجر الآس المعروف بـ «الحنبلاس» وهو=

فكـــأَنَّ صَفحتَـــه، ونَـــدَّ عِـــذاره، مــاءٌ يَثــورُ، بصَفْحَتَيــهِ، طِحلِــبُ[1]

(٣٧)

حبّذا عيدٌ

قال في نعجة وكبش أملح يداعب صديقاً له:

أَلَا حَبّـذَا عِيـدٌ تَـلاقَـت بـهِ المُنـى، فَجـدَّدَ، مـن عَهـدِ الشَّبـابِ، مَشيـبُ

وأَعرَضَ، في حُسنِ المَليحةِ، أَملَحٌ، يُـلاعِـبُ، رَبّـاتِ الحِجـالِ، رَبيـبُ[2]

تَهـادت تَثنّـى، وهْـي تُـذعَـرُ، فـالتَـوى قَضيـبٌ بِهـا، وارتَـجَّ منـهُ كَثِيـبُ

وسَـوداءَ، أَمّـا نِسبَـةً، فَهْـيَ نَعجَـةٌ، تَـرُوقُ، وأَمّـا نَصبَـةً، فنَجِيـبُ[3]

أَقَـامَ بِهـا، مـا بَيـنَ ظِـلٍّ ومَـوردٍ، مَـرادٌ، بِبَطـنِ الـوادِيَيـنِ، خَصِيـبُ

أَتَتْـكَ، وأَفيـاءُ الشَّبـابِ تُظِلُّهـا؛ وهَـل زارَ، إِلّا فـي الظَّـلامِ، حَبيـبُ؟

فطُفتَ بهـا، تَمشـي الهُـوَينـا، وإِنّمـا، تَمَشّـى إِلَيهـا، وهـيَ تَجهَـلُ، ذِيـبُ

(٣٨)

أَظْلَمَ قَرْنُ الشمس

قال هذه القصيدة في رثاء الوزير أبي ربيعة ووصف نُوب الأيام وحوادث الزمان

شَـرابُ الأَمـانـي، لـو عَلِمـتَ، سَـرابُ، وعُتْبَـى اللَّيـالـي، لـو فَهِمـتَ، عِتـابُ[4]

إِذا ارتَجَعَـتْ أَيـدِي اللَّيَـالـي هِبـاتِهـا، فَغـايـةُ هـاتِيـكَ الهِبـاتِ ذَهـابُ

= هنا كناية عن عذار الحبيب.

(١) شبه عطر عذار الحبيب برائحة البخور، وكنّى عن خضرته بالآس ـ **الطحلب**: الخضرة التي تعلو صفحة الماء الراكد.

(٢) **ربّات الحجال**: النساء، **والحجال**: الستر يضرب للعروس في جوف البيت.

(٣) **النعجة**: كناية عن المرأة، **النصبة**: النبتة المغروسة، وأراد بالنصبة الأصل ـ **النجيب**: كل نفيس في نوعه.

(٤) **العتبى**: الرضى.

وهــلْ مُهجَــةُ الإنســانِ إلاَّ طَــرِيــدَةٌ، تحُــومُ عَليهــا، لِلحِمــامِ، عُقــابُ[١]

يخُــبُّ بهــا، فــي كــلِّ يَــوم ولَيلَــةٍ، مَطــايــا إلــى دارِ البِلــى، ورِكــابُ[٢]

وكَيفَ يَغِيض الـدَّمعُ أو يَبرُدُ الحشا، وقــد بــادَ أَقــرانٌ، وفــاتَ شَبــابُ

فما نابَ، عن خِلِّ الصِّبا، خِلُّ شَيبَةٍ، ولا عاضَ، مِن شَرخ الشَّبابِ خِضابُ

أَلا ظَعَنَــا، مــن صــاحِــبٍ وشبيبــةٍ، فهَــل لهُمــا مــن ظــاعِنَيــنِ إيــابُ؟

دَعا بِهِما صَرفُ اللَّيالي إلى البِلى، فكــلُّ الــذي فــوقَ التُّــراب تُــرابُ

فهــا أَنــا أَبكــي كــلَّ مَعهَــدِ راحَــةٍ، تَضــاحَــكَ أَحبــابٌ بــه وصِحــابُ

أُقَلِّــبُ طَــرفــي لا أَرى غَيــرَ لَيْلَــةٍ، وقـد حُـطَّ عـن وَجـهِ الصَّبـاحِ نِقـابُ[٣]

كــأنِّـي، وقـد طـارَ الصَّبـاحُ حمـامـةٌ، يَمُــدُّ جَنــاحَيــهِ عَلــيَّ غُــرابُ

على حِيـنَ، لا غيـرَ اعتبارِي خطابةٌ، فتُــوعَــى، ولا غَيــرَ العَــوِيــلِ جَــوابُ

وقـد جـاشَ بحرٌ، بيـنَ جَنبَيَّ، مائِجٌ، لــه زَخــرةٌ، فــي وَجنَتِــي، وعُبــابُ

فيـا لَهُـمُ مـن رَكـبِ صَحـبٍ تتابَعُـوا، فُــرادى، وهُــمْ مُلْــدُ الغُصــونِ شَبــابُ[٤]

دعــا بِهِــمُ داعــي الــرَّدى، فكــأنَّمــا تَبــارَت بهِــم خَيــلٌ، هنــاكَ، عِــرابُ[٥]

فها هُمْ، وسِلمُ الدَّهرِ حَربٌ، كأنَّما جَثــا بينَهُــم طَعــنٌ لهُــم وضِــرابُ

هُجُــودٌ، ولا غيــرَ التُّــرابِ حَشِيَّــةٌ، لِجَنــبٍ، ولا غَيــرَ القُبــورِ قِبــابُ[٦]

فَحتـى مَتـى تَبـرِي اللَّيـالـي سِهـامَهـا؛ وحَتــى مَتــى أُرمــى بِهــا فــأُصــابُ؟

وحَتــى مَتــى أَلقــى الــرَّزايــا مُمِضَّــةً، كما كَرَعَت، بَينَ الضُّلوعِ، حِرابُ[٧]

---

(١) **المهجة**: الروح ـ الحمام (بكسر الحاء): الموت ـ **العقاب**: من الطيور الجارحة.

(٢) **يخبّ**: من الخبب وهو ضرب من العدو ـ **مطايا**: جمع مطية الدابة التي تمتطى وأراد بالمطايا المنايا ـ **دار البلى**: عالم الموت.

(٣) **الطرف**: العين ـ **النقاب**: ما تستر به المرأة وجهها.

(٤) **الغصون الملد**: جمع الأملد، وهو الغصن الناعم الغضّ شبّه به شباب العمر.

(٥) **الخيل العراب**: الخيل الكريمة الخالية من الهجنة.

(٦) **هجود**: ينام، وقد شبه الموت بالنوم ـ **الحشيّة**: الفراش المحشو.

(٧) **الرزايا**: المصائب ـ ممضّة: موجعه ـ **كرعته الحراب**: رمته فأصابت كُراعه، والكراع (من=

فـإِمَّـا كَمـا تَعـدُو الضَّـراغِـمُ عَنـوةً؛ وإِمَّــا كمــا تَمْشِــي الضَّــراءَ ذِئـابُ

فَفِــي كــلِّ يَــومٍ فتكَــةٌ لِمُلِمَّــةٍ، يُمَـزَّقُ جَيـبٌ، تَحتَهـا، وإِهـابُ[1]

ورَبــعِ خَــلاءٍ مِــن خَليــلٍ، وإِنَّمــا تَجـافـى حُسـامٌ مِنهُمـا وقِـرابُ

يُـذكِّـرُنيـهِ، كـلَّ حيـنٍ، جِـوارُه، فيُحـزِنُنِـي رُزءٌ بِـهِ ومُصـابُ

فَلَسـتُ بنـاسٍ صـاحبـاً مـن رَبيعَـةٍ، إذا نَسِيَـت رَسـمَ الـوَفـاءِ صِحـابُ

أَجَلتُ طِباعِي فيهِ، فـالأنسُ وَحشَـةٌ، طِـوالَ اللَّيـالـي، والنَّعيـمُ عَـذابُ

وهَيهـاتَ لا أَغْنـى خَليـلٌ غِنـاءَهُ؛ وهَل عَـدَلَ العَـذْبَ الفُراتَ سَرابُ؟[2]

ومِمَّـا شَجـانـي أَن قَضَـى حَتْـفَ أَنفِـهِ، وَمـا انْـدَقَّ رُمـحٌ، دُونَـه، وذُبـابُ[3]

وأَنَّـا تَجـارَينـا ثـلاثيـنَ حِقبَـةً، فَفـاتَ سِبـاقـاً، والحِمـامُ قِصـابُ[4]

وكَيـفَ تَهـاجَـرْنـا كُهُـولاً، وإنَّمـا لَـوى الـدَّهـرُ فَـرعَينـا، ونحـنُ شَبابُ

كأَنْ لـم نَبِت في مَنزِلِ القَصْفِ ليلةً، نُجيـبُ بِهـا داعِـي الصِّبـا، ونُجـابُ[5]

إذا قـامَ مِنَّـا قـائِـمٌ، هَـزَّ عِطفَـه شَبــابٌ، أَرَقنــاهُ بــه، وشَــرابُ

جَمَحنـا بمَيـدانِ الصِّبـا، ثُـمَّ إنَّنـا كَــرَرْنــا، فَكــانَـت فِتنَــةٌ ومَتـابُ

وَلَمَّـا تَـراءَت لِلمشِيـبِ بُـرَيقَـةٌ، وأَقشَـعَ مـن ظِـلِّ الشَّبـابِ سَحـابُ

نَهَضنـا بـأعبـاءِ اللَّيـالـي جَـزالَـةً، وأَرسَـت بِنـا فـي النـائِبـاتِ هِضـابُ

فيـا عَجَبـاً لِلـدَّهـرِ كيـفَ سَطـا بـهِ، وقـد كـانَ يُـرجـى، تـارَةً، ويُهـابُ

وكيف استلانَت صَولةُ الموتِ عُودَه، فلــم يَنــبُ عنــه للمنيَّــةِ نــابُ؟

= الإنسان): ما دون الركبة من مقدّم الساق.

(١) **الإهاب**: الجلد.

(٢) **عدله**: ساواه، ماثله ـ **الفرات**: الماء العذب.

(٣) **الذباب**: حدّ السيف.

(٤) **الحمام**: الموت ـ **وقوله**: الحمام قصاب معناه أن الموت هو الذي يفرّق ويفصل بين الصحاب ويقطع أواصرهم.

(٥) **القصف**: اللهو ـ **ومنازل القصف**: مجالس الأنس والشراب.

ولا عجباً أنَّا ذَلَلْنا لحادثٍ، تـذِلُّ لـه الآسادُ، وهـي غِضابُ
وأنَّا خَضَعنا للمقاديرِ عَنوةً، كما خضَعَت، تحتَ السيوفِ، رِقابُ
ولو أنَّ غيرَ اللهِ كان أصابَه، لجاشَت نفوسٌ، لا تُفادُ، صِعابُ[1]
فيا ظاعناً قد حُطَّ، من ساحةِ البِلى، بمنزِلِ بَينٍ، ليسَ عنه إيابُ[2]
كفى حَزَناً أن لم يَرِدني، على النَّوى، رسولٌ، ولم ينفُذْ، إليك، كِتابُ
وأنِّي، إذا يمَّمْتُ قبرَكَ زائراً، وقفتُ ودوني، للتُّرابِ، حِجابُ
فأظلَمَ قَرنُ الشمس، وهي مُنيرةٌ، وضاقَت بلادُ اللهِ، وهي رِحابُ
ورَقْرَقتُ، بينَ الحزنِ والصبر، عَبرةً، لها جَيئةٌ، في مُقلتي، وذَهابُ
ولو أنَّ حَيّاً كان حاورَ ميِّتاً، لطالَ كلامٌ، بينَنا، وخِطابُ
وأَعربَ عمَّا عنده من جَليَّةٍ، فأقلَعَ عن شمسٍ، هناك، ضَبابُ
عليكَ سلامُ اللهِ من صاحبٍ قضى، فأجهشَ رَبعٌ، بعده، وجَنابُ[3]
تولَّى حميدَ الذِّكر، لم يأتِ وصمةً، فتبقى، ولم تَدنَسْ عليه ثِيابُ[4]
أغرُّ طليقُ الصَّفحَتين، كأنَّما وراءَ تُرابِ القبرِ منه شِهابُ
ألا إنَّ جِسماً يستحيلُ لتُربةٍ، وإنَّ حياةً تنتهي، لَخَرابُ
فلا سَعيَ إلاَّ أن يكونَ لآجلٍ ولا ذُخرَ إلاّ أن يكونَ ثوابُ

(٣٩)

أنتَ طبيبُ

أأدعو، فلا تَلوي، وأنتَ قريبُ؟ وأَشكو، فلا تُشْكي، وأنت طبيبُ؟[5]

---

(١) جاشت النّفوس: هاجت واضطربت.
(٢) الظاعن: الراحل، المسافر ـ الإياب: العودة.
(٣) اجهش الربع بالبكاء: تهيّأ له.
(٤) لم يأت وصمة: لم يرتكب إثماً يسيء إلى سمعته.
(٥) لا تلوى: لا تقف أو تتمهّل.

وما كنتُ أخشى أن أَرانيَ ضاحياً، وأَيكُك مطلولُ الفُروعِ رَطِيبُ[1]

وهل يستجيزُ المجدُ أن أشْتكي الصَّدى، وأنتَ رِشاءٌ مُحْصَدٌ وقَلِيبُ؟[2]

وكيفَ بمطلوبي، إذاشطَّتِ النَّوى، وقد صَمَّ من قُربٍ، فليسَ يُجيبُ؟

فهل شِيبَ، من تلك المُصافاةِ، مَشرعٌ، وهِيل، على ذاك الإخاءِ، كَثِيبُ؟[3]

سلامٌ على عهدِ الوفاءِ مودِّعاً، سلامُ فِراقٍ ما أقامَ عَسِيبُ[4]

سلامٌ له، فوقَ المحاجرِ، بَلَّةٌ، وطوراً بأحناءِ الضلوعِ لهِيبُ[5]

وقد كان يَسري، والتنائفُ بيننا، فتَندَى به ريحٌ، وينفَحُ طِيبُ[6]

وتفترُّ عن بِشرٍ، هنالك، زَهرةٌ؛ ويهفُو له من مَعطِفَيَّ قضِيبُ

(٤٠)

نارُ القِرى

يخيّم الشاعر وسط الطبيعة وعندما جنّه الليل، أوقد نار القرى وأمعن في وصفها وقد بسطت فوقها سماءً من دخان

ومَعِينُ ماءِ البِشرِ أَبرقَ هشَّةً، فكرَعتُ من صَفَحاتِه في مَشربِ[7]

متهلِّلٌ يَندى، حياءً، وجهُه، فتَراه بين مفضَّضٍ ومذهَّبِ[8]

---

(١) **الأيك**: الشجر الكثير الملتف.

(٢) **الصدى (هنا)**: الظمأ، والعطش الشديد ـ **الرشاء**: حبل الدلو، **الرشاء المحصد**: الحبل المفتول، المستحكم الصنعة ـ القليب: الدلو ـ يقول لائماً: كيف أظمأ وأنت كالدلو وبإمكانك أن ترويني فتذهب غلتي؟.

(٣) **شيب**: لم يعد صالحاً ـ **المصافاة**: الودّ والإخاء الصادق ـ **المشرع**: مورد الماء ـ **هيل**: المجهول من أهال (التراب): جعله ينهال.

(٤) **عسيب**: جبل.

(٥) **المحاجر**: العيون ـ **بلّة**: اسم المرّة من بلّ، والمراد الدمعة ـ أحناء الضلوع: حناياها.

(٦) **التنائف**: جمع تنوفة، الفلاة، القفر.

(٧) **المعين من الماء**: الماء الجاري المرئي بالعين ـ **البشر**: بشاشة الوجه من بشَر يبشِر، وأبشر.. به: سُرّ، **بشرني بوجه حسن**: أي لقيني طلق الوجه ـ **الهشة**: الابتسامة ـ **كرع كرعاً وكروعاً في الماء**: مدّ عنقه وتناول الماء بفيه من موضعه.

(٨) مفضّض: مموه أو مرصّع بالفضّة، ومذهّب: مرصع بالذّهب.

أضنـى الحُســامَ حَسـادةً، ففِـرِنْـدُه دمـعٌ تـرَقـرقَ، فـوقَـه، لـم يَسكُـبِ[1]

خيّمـــتُ منــه بيــن طــودٍ بــاذخٍ نــالَ السِّمـاكَ، وبيـن وادٍ مُعشِـبِ[2]

تهفــو بــه نــارُ القِـرى، فكـأنّهـا، مهمـا عَشـا ضيفٌ، لسـانُ المُعـرِبِ[3]

حمـراءُ، نـازعـتِ الـريـاحَ رِداءَهـا، وَهْنـاً، وزاحمـتِ السمـاءَ بمَنكِـبِ[4]

ضـرَبـتْ سمـاءً مـن دخـانٍ فـوقَهـا، لـم يُـدْرَ فيهـا شعلـةٌ مـن كـوكـبِ

وتنفَّسَـتْ عـن كـلِّ نَفحـةِ جَمـرةٍ، بـاتَـت لهـا ريـحُ الجَنـوبِ بمَـرقَـبِ

قـد أُلهِبَـتْ، فتـذهَّبَـت، فكـأنَّهـا، لسكـونِ شـرِّ شـرارِهـا، لـم تَلهَـبِ[5]

تـذكـو وراءَ رَمـادِهـا، فكـأنَّهـا شقـراءُ، تمـرحُ فـي عَجـاجٍ أكهـبِ[6]

والليـلُ قـد ولّـى يُقلِّـصُ بُـردَه، كـدّاً، ويسحَـبُ ذيلـه فـي المغـربِ[7]

وكـأنمـا نجـمُ الثـريّـا، سَحـرةً، كـفٌ تُمسِّـحُ عـن مَعـاطـفِ أشهَـبِ[8]

(٤١)

الأنس النّدي

ونَـــديّ أُنـــسٍ هـــزّنـــي هَـــزَّ الشَّـــرابِ مـــن الشَّبـــابِ[9]

---

(١) **الفرند**: جوهر السيف ووشيه.

(٢) **الطود**: الجبل ـ **الباذخ**: العالي، الشاهق ـ **السماك**: نجم.

(٣) **القرى**: الضيافة، ونار القرى: النار التي يهتدي بها المسافر ليلاً وصولاً إلى أماكن الضيافة ـ **عشا الضيف إلى النار**: قصدها ليلاً.

(٤) **وهنا**: أثناء الليل.

(٥) **ألهبت النار**: أضرم لهبها ـ **تذهّبت**: صارت بلون الذهب من شدّة التوقد.

(٦) **ذكت النار**: سعّرت واشتد لهبها ـ **تمرح**: تختال مزهوة ـ **العجاج**: الغبار ـ **الأكهب**: اللون الأغبر المشرب سواداً.

(٧) **قلّص البرد**: شمّره ورفعه، **والبرد**: الثّوب.

(٨) **الثريا**: مجموعة نجوم ـ **سحرة**: أي في السحر ـ **معاطف**: أعناق، جمع معطف ـ **الأشهب**: الفرس الأشهب أي البيضاء التي يداخل بياضها سواد.

(٩) **نديّ أنس**: النّادي أو مجلس أنس ـ **هزّني**: حرّكني بقوة، أهاج مشاعري.

والليـــــلُ وضَّـــاحُ الجَبيـــنِ، قصيـــــرُ أذيـــالِ الثِّيــابِ[1]
فقَنَصـــتُ منـــه حَمـــامـــةً بيضـــاءَ، تَسنـــحُ مـــن غُـــرابِ[2]
والنَّـــورُ مبتسِـــمٌ، وخـــدُّ الـــوردِ محطـــوطُ النِّقـــابِ[3]
ينـــدَى بـــأخـــلاقِ الصِّحـــاب، هنـــاك، لا بِنَـــدى السَّحـــابِ[4]
وكِـــلاهُمـــا نَثـــرٌ، كمـــا نَثَـــروا القـــوافـــيَ بـــالخِطـــابِ[5]
فكـــأَنَّ كـــأسَ سُـــلافـــةٍ ضَحِكـــت، إليهـــم، عـــن حَبـــابِ[6]

(٤٢)

دَعْ عنْكَ

دع عنكَ مِن لومِ قومٍ لستَ تَخْبُرُهُمْ، إلّا تكَشَّـفَ ستـرُ الغَيـبِ عـن عَيْـبِ[7]
عُوجٌ، على الدَّهرِ، هُوجٌ، غيرَ أَنَّهمُ سُـودٌ مـنَ الجهـلِ، بِيضـانٌ مـن الشَّيـبِ

(٤٣)

بادَ فانقضى

بعَيشِك هل تَدري، أَهُوجُ الجَنائِبِ، تَخُبُّ برَحلي، أم ظُهورُ النَّجائبِ؟[8]
فما لُحتُ في أُولى المشارقِ كوكباً، فأشرَقتُ، حتى جِئتُ أُخرى المغاربِ
وحيـداً تَهـادانـي الفَيـافـي، فـأجتلـي وجـوهَ المَنـايـا، فـي قِنـاعِ الغَيـاهِـبِ[9]

---

(١) **الليل الوضاح الجبين**: الليل المقمر ـ **ليلٌ قصير الأذيال**: كناية عن تقلّص رقعة ظلامه المنعكس على الأرض.
(٢) **قنص**: تصيّد ـ **تسنح من غراب**: أي تقبل هرباً من غراب، وفي البيت تورية.
(٣) **النور المبتسم**: الزهر المفترّة أكمامه ـ **النّقاب** (أصلًا): الغطاء، **ونقاب الورد**: كمائمه وقوله: محطوط النّقاب: أي متفتح الأكمام.
(٤) **يندى**: يجود ـ **ندى السحاب**: طلّه، المطر.
(٥) **القوافي**: كناية عن أبيات الشعر.
(٦) **السلافة**: الخمرة ـ **الحباب**: ما يعلو من الفقاقيع.
(٧) **تخبرهم**: تختبرهم، تمتحنهم.
(٨) **الجنائب**: رياح الجنوب ـ **الهوج**: الهوجاء ـ **النجائب**: النّوق الكريمة، جمع نجيبة.
(٩) **تهاداني الفيافي**: تتهاداني، والفيافي: جمع فيفاء، الفلاة المقفرة ـ **إجتلى الوجوه**: نظر إليها ـ

ولا جـارَ إلَّا مـن حُسـامٍ مُصمَّـمٍ؛ ... ولادارَ إلَّا فـي قُتُـودِ الـرَّكـائِـبِ[(١)]

ولا أُنسَ إلَّا أن أُضاحِـكَ، ساعـةً، ... ثُغـورَ الأمـاني فـي وجـوهِ المطالـبِ

وليلٍ، إذا ما قلتُ قد بادَ، فانقضى، ... تكشَّفَ عـن وعـدٍ من الظَّنِّ كاذبِ[(٢)]

سحَبتُ الـدَّياجي فيـهِ سودَ ذوائبٍ، ... لأعتنِـقَ الآمـالَ بِيـضَ تـرائِـبِ

فمزَّقتُ جَيبَ الليل عن شخصِ أَطلسٍ، ... تَطلَّـعَ وَضّـاحَ المَضاحِـك قـاطِـبِ[(٣)]

رأيـتُ بـه قِطْعـاً مـن الفجـرِ أغبَشـاً، ... تـأمَّـلَ عـن نجـمٍ، تَـوقَّـدَ، ثـاقـبِ

وأرعـنَ طَمّـاحِ الـذؤابـة، بـاذخٍ، ... يطـاوِلُ أَعنـانَ السمـاء بغـاربِ[(٤)]

يسُـدّ مَهـبَّ الـريـحِ عـن كـلِّ وُجهَـةٍ، ... ويَـزحَـمُ، ليـلاً، شُهبَـهُ بـالمَنَـاكِـبِ

وقـورٍ، علـى ظَهـرِ الفـلاةِ، كـأنـه، ... طِـوالَ اللَّيـالـي، مُفكـرٌ فـي العَـواقـبِ

يلـوثُ عليـه الغَيـمُ سـودَ عَمـائـمٍ، ... لها، من وَميضِ البَرقِ، حُمرُ ذَوائبِ[(٥)]

أَصَخـتُ إليـه، وهـو أَخـرسُ صامتٌ، ... فحـدَّثَنـي ليـلُ السُّـرى بـالعَجـائـبِ

وقـالَ: أَلا كـم كنـتُ ملجـأ قـاتـلٍ، ... ومَـوطِـنَ أَوّاهٍ، تَبتَّـلَ، تـائِـبِ[(٦)]

وكـم مَـرَّ بـي مـن مُـدلِـجٍ ومُـؤوِّبٍ، ... وقـالَ بظِلِّـي مـن مَطِـيٍّ وراكـبِ[(٧)]

ولاطَمَ، من نُكبِ الرياحِ، معاطفي، ... وزاحَمَ، من خُضرِ البحارِ، غَوارِبِي[(٨)]

فمـا كـانَ إلّا أَنْ طَـوَتهُـم يـدُ الـرَّدى، ... وطـارَت بهـم ريـحُ النَّـوى والنَّـوائِـبِ

= الغياهب: جمع غيهب: الظلمة الشديدة.

(١) **الحسام المصمّم**: السيف الماضي القاطع ـ **القتود**: جمع قتد خشبة الرحل.

(٢) **باد الليل**: ذهب، وولّى.

(٣) **الأطلس**: الذئب الأغبر المائل إلى السواد ـ **المضاحك**: جمع مضحك، الثغر ـ **القاطب**: العابس المتجهم.

(٤) **الأرعن**: الجبل ذو الرعان، الطويل ـ **الذؤابة بعامّة**: الشعر المضفور، **والذؤابة من كل شيء** أعلاه، وهنا قمة الجبل ـ **أعنان السماء**: السحب ـ **الغارب**: الظهر.

(٥) **يلوث**: يعقد، يربط ـ **العمائم**: جمع عمامة غطاء الرأس.

(٦) **الأواه**: الكثير التأوّه ـ تبتل: تنسك وتعبّد.

(٧) **المدلج**: السائر ليلاً ـ **المؤوب**: العائد.

(٨) **الغوارب**: جمع غارب، **الظهر**.

فما خَفْقُ أيكي غيرَ رَجفةِ أَضلُعٍ؛ ولا نَوْحُ وُرقِي غيرَ صَرخةِ نادِبِ[1]

وما غَيَّضَ السُّلوان دمعي، وإنما نَزَفتُ دُموعي في فِراقِ الصَّواحِبِ

فحتَّى متى أَبقى، ويظْعَنُ صاحِبٌ، أُودِّعُ منه راحِلاً غيرَ آيِبِ؟

وحتَّى متى أَرعى الكواكِبَ ساهراً، فمن طالعٍ، أُخرى الليالي، وغارِبِ؟[2]

فرُحماك يا مَولايَ، دِعْوةَ ضارعٍ، يمُدُّ إلى نُعماك راحةَ راغبِ

فأسمَعَني، من وَعِظه، كلَّ عِبرةٍ، يترجِمُها عنه لسانُ التجاربِ[3]

فسَلّى بما أَبكى، وسرّى بما شَجا، وكان، على عَهدِ السُّرى، خيرَ صاحِبِ

وقُلتُ، وقد نكَّبتُ عنه لِطيَّةٍ: سَلامٌ، فإنَّا مِن مُقيمٍ وذاهبِ[4]

(٤٤)

يا ملكَ الملوك

من مدائحه التي أثنى بها على أبي إسحاق ابن أمير المؤمنين

بمثلِ عُلاكَ، من مليكٍ حسيبٍ، عدَلتُ إلى المديحِ عن النسيبِ[5]

وساعَدَني ثَناءٌ فيك رَطْبٌ، كما سرَتِ التحيَّةُ من حَبيبِ

وهزَّت من مَعاطِفيَ القَوافي، كما هفَتِ النُّعامى بالقضيبِ[6]

أمَا ورُواءِ دولتِه، يميناً تألَّاها نجيبٌ في نَجيبِ[7]

لقد ضحِكَ الصبَّاحُ بمُجتَلاه، وراءَ الليلِ، عن ثَغرٍ شنيبِ[8]

---

(١) **الورق**: الحمائم، جمع ورقاء ـ **النادب**: الباكي المتفجع.

(٢) **الكوكب الغارب**: الآفل.

(٣) **العِبرة** (بالكسر): الموعظة، والعَبْرة (بالفتح): الدّمعة.

(٤) **الطيّة**: السفر.

(٥) **الملك الحسيب**: ذو الحسب، والحسب: المحتد الشريف ـ النسيب: الغزل.

(٦) **هزّت**: حرّكت ـ **المعاطف**: حنايا النفس ـ **القوافي**: الشعر من باب المجاز المرسل ـ **هفت**: تطاير لخفته، انخفض وهفت **أيضاً**: تساقط ـ **النّعامى**: ريح الجنوب.

(٧) **الرُّواء**: حسن المنظر ـ **تألّى اليمين**: حلفها ـ **النجيب**: الكريم الأصل.

(٨) الثغر النشيب: الطيّب.

وظـاهـرَنـي، بمُغتـرَبـي، حُسـامٌ، أَنِسـت بـه، ونِعـمَ أَخـو الغـرِيـبِ
أَشِيـمُ بـه سنَـا بـرقٍ يَمـانٍ، يُخفِّـرنـي إلـى المَـرعـى الخصِيـبِ
إلـى جَـذلانَ، وضّـاحِ المُحيّـا، سليـمِ القلـبِ والصـدرِ الـرَّحيـبِ
إلـى يقظـانَ، وقّـادِ العَـوالـي، مُـريـشِ السَّعْـيِ بـالـرأيِ المُصيـبِ[1]
يسـاورُ، منـه، طـوراً، ليـثَ غـابٍ، ويمسَـحُ، تـارةً، عِطْفَـيْ أَدِيـبِ
إذا استمطـرتَ منـه غَمـامَ رُحْمـى، أَوِ استنصـرتَ فـي يـومٍ عصيـبِ[2]
مَـلأتَ يـديـك يُسـراهـا بيسـرٍ، ويُمنـاهـا بمُختَـرَطٍ خشيـبِ[3]
فـإن تنـزِلْ، فـلا بسـوى تميـمٍ؛ وإن تحمِـل، فـلا بسـوى قضيـبِ[4]
فـإنَّ الغيـثَ فـي بِيـضِ الأيـادي؛ وإنَّ الغَـوثَ فـي النَّصـل الخضيـبِ[5]
إمـامٌ فـي الـذُّؤابـة مِـن قُـرَيـشٍ؛ وحَسـبُ المجـدِ من عُـودٍ صليـبِ[6]
تَشيـمُ بصَفحَتَيـهِ بُـروقَ بِشـرٍ، تُعيـدُ بَشـاشـةَ الـرَّوضِ الجـديـبِ
تَمُـجُّ الـريَّ أنفـاسُ المَجـانـي بـه، ومَغـارسُ العُـودِ السليـبِ[7]
ويجمُـلُ فـي حُبـاه طَـودُ حِلـمٍ، تعُـدُّ، خـلالَـه، رمـلَ الكثيـبِ[8]
تَطلَّـعَ، للعيـونِ وكـلِّ قلـبٍ، شُعـاعٌ يُستطـارُ مـن الـوجيـبِ

---

(١) **العوالي**: الرماح ـ **مريش**: اسم فاعل من أراش (السهم): ألزق عليه الريش، **والرّائش**: السهم ذو الرّيش، وقوله مريش السّعي من باب الاستعارة **أي أنّه يجد في المسعى ويرمي فيصيب** مرماه.

(٢) **استمطر منه الرحمى**: سأله إياها ـ **اليوم العصيب**: الشديد.

(٣) **المخترط**: أي السيف المخترط، **الخشيب**: السيف المسلوك.

(٤) **التميم هنا**: التام الشمائل.

(٥) **الغيث**: المطر ـ **الغوث**: العون ـ **النّصل**: حديدة السهم، **والنّصل الخضيب**: المخضّب بالدم.

(٦) **الذؤابة**: الأعلى من كلّ شيء ـ **العود الصليب**: أي الخالص النّسب.

(٧) **مجّ الشيء**: رمى به ـ **العود السليب**: المقشور.

(٨) **يجمل**: يبدو جميلاً ـ **الحبى**: جمع حبوة، العمامة أو الثوب ـ **الطود**: الجبل ـ **الحلم**: الرزانة الوقار.

بمُعضِلـةٍ تَشيـبُ لهـا النَّـواصـي، فمـا تَلقـى، هنـالـك، غيـرَ شِيـبِ
فقلـتُ، وقـد زجَـرتُ الطَّيـرَ: مهـلاً، فغِـربـانُ العـدوِّ إلـى نعيـبِ
كـأنَّـك بـالظهـورِ يشُـدُّ رَكضـاً، وبـالبُشـرى تَخُـبُّ علـى نجيـبِ[1]
وقـد غنَّـى الحُسـامُ يَصِـلُّ قَـرعـاً، وأفضـى بـالعـدوِّ إلـى النحيـبِ
فـأضحَـكَ، مـن نَجـاةِ الثغـرِ، ثَغـراً؛ ونَفَّـس، مـن حِمـاه، عـن كئيـبِ
فقَـرَّ، وكـان أخفـقَ مـن جَنـاحٍ؛ ونـامَ، وكـانَ أَرعـى مـن رقيـبِ
وهـل جَمَـعَ العِـدى إلاّ هشيـمٌ؛ وهـل بِيـضُ السيـوفِ سـوى لهيـبِ؟
فقـل للخيـلِ، والأبطـالُ شُـوسٌ: أَلا كُـرِّي، وقـل للشمـسِ: غيبـي[2]
وبـرِّد حـرَّ أَحشـاءِ المـوالـي؛ وخَضخِـض لُجَّـةَ العَلَـقِ الصَّبيـبِ[3]
وبـدِّد شمـلَ آمـالِ الأعـادي؛ وطَـأ تيجـانَ أَربـابِ الصليـبِ
وسُمْهُـم، إن يغُضُّـوا أَو يعَضُّـوا، بعَقـبِ الحَـربِ، أُنملـةَ الحـريـبِ[4]
فـإنَّـك، والـرِّبـاطُ إلـى اغتبـاطٍ، كفيـلُ السَّعْـدِ بـالفَتـحِ القـريـبِ[5]
وإنّـي، والنسِيـمُ بهـا لـذيـذٌ، لَمشتمِـلٌ علـى نَفَـسٍ مُـذيـبِ
لحـادثـةٍ تُصـدِّعُ مـن صَفـاتـي، مكـدِّرةٍ صَفـاءً مـن قليـبِ[6]
فهـا أَنـا أَلحـظُ الأيـامَ شـزراً، وأَرميهـا بطَـرفِ المُستـريـبِ
وأَشكـو، لـو شكـوتُ، إلـى مُصيـخٍ، ليـالـيَ لا تـوقِّـرُ مـن مَشيـبِ
تَمشّـى، تـارةً، مشـيَ السَّبَنْتـي، وآونـةً، تَـدِبُّ دبيـبَ ذيـبِ[7]

---

(١) **تخبّ**: تجري، تعدو، من الخبب وهو ضرب من العدو.
(٢) **الأبطال الشوس**: الطّوال.
(٣) **خضخض**: الأمر من خضخض: أي حرّك ـ **العلق**: الدم ـ الصبيب: المسفوح.
(٤) **الأنملة**: الأصبع، أو رأس الإصبع ـ **الحريب**: الذي سلب ماله.
(٥) **الرباط**: أراد مدينة الرباط المغربيّة.
(٦) **صدّع الشيء**: شقّه ـ الصفاة: العقل ـ **القليب**: البئر.
(٧) **السّبنتى**: الشجاع ذو الجرأة، والسّبنتى: النّمر ـ **ذيب**: مخفف ذئب.

وكنتُ، متى استربْتُ من الليالي، فزعتُ إلى ثبيرٍ أو عَسِيبِ[1]
إلى جبلٍ، أصُدُّ به العَوادي، وأقتادُ المُنى قَودَ الجنيبِ[2]
أظَلُّ به أُنادي من بعيدٍ، وألتمِسُ المَطالبَ من قريبِ
فيا مَلِكَ المُلوكِ، ولي لِسَانٌ يُشيرُ به البَنانُ إلى خَطيبِ
يفُضُّ بكلِّ قافيةٍ خِتاماً، ويُفعِمُ كلَّ نادٍ ريحَ طِيبِ
دعاءٌ، لو دعوتُ به جَماداً، لَهَزَّ مَعاطفَ الغُصنِ الرَّطيبِ
ومِثلي هَزَّ مثلَك، ثم أَصغَى، على ثِقَةٍ، يُصيخُ إلى مُجيبِ
وردَّدَ فيك نَظرتَه، رجاءً، كما التفتَ العليلُ إلى الطبيبِ

(٤٥)

إنَّه لَمبرّزٌ

يا لِينَ عِطفي، واخضِرَارَ جَنابي، لِرَفيفِ آدابٍ، وماءِ شَبابِ
راقا ورَقَّا، فالْتَقى بِهِما، مَعاً، ثَغْرُ الحبَابِ، وأَوجُهُ الأحبابِ
فَسَجَعتُ ثَمَّ حمامَةً، ومِنَ المُنى أنّي استعَرتُ لَها جَناحَ غُرابِ
وسَكِرتُ سُكْرَيْ قهوةٍ وشبيبَةٍ؛ وسَحبتُ مِن ذَيْلَيْ هَوًى وتَصابي[3]
وأَمَّا وطِرفي، إنَّه لَمُبَرِّزٌ، في حَلْبَةِ الشُّعَراءِ والكُتَّابِ
مُتَخايِلٌ، في صَدرِ كلِّ جَرِيدَةٍ، بقَصيدَةٍ وكَتيبَةٍ لِكِتابِ[4]

(٤٦)

أجَدْتَ وجُدْتَ

كتب هذه الأبيات إلى أبي إسحاق بن ميمون

بَرَعتَ فَرُعتَ، فمَن ذا حَبيبٌ، له الوَيلُ، أَم مَن أَبو الطَّيِّبِ

---

(١) استراب: داخله الريب، شكّ ـ فزع إلى المكان: لجأ ـ ثبير وعسيب: جبلان.
(٢) أصدّ: أدفع ـ العوادي: الشدّائد، وعوادي الدهر: عوائقه.
(٣) سحب من ذيله: تبختر، مشى زهواً.
(٤) المتخايل: المزهو ـ الجريدة: الكوكبة من الفرسان.

ولَـوْ جـارَيـاكَ إلـى غـايـةٍ، لَفُـزتَ، وكـانـا مـن الخُيَّـبِ[1]
أَجَـدتَ وَجُـدتَ، فَمِـن رَوْضَـةٍ تَضُـوعُ، ومِـن وابِـلٍ صَيِّـبِ[2]
وحَسبـيَ عليـاكَ مِـن دَوحَـةٍ، وبِـرُّكَ مِـن ثَمَـرٍ طَيِّـبِ
وعِنـدي، فهَـلْ لـكَ مِـن رَغبَـةٍ، لـكَ البِكـرُ فـي خُلُـقِ الثَّيِّـبِ؟[3]

(٤٧)

أثْمَرَتْ بالذّهب

يصف حديقة الطير فيها يخطب والأغصان تطرب، وتزدهي فيها نارنجة خضراء محملة بثمار من الذهب.

ألا أَفصَـحَ الطَّيـرُ، حتـى خطَـبْ، وخـفَّ لـه الغصـنُ، حتـى اضطَّـرَبْ
فمِـلْ طـربـاً بيـنَ ظِـلٍّ، هَفـا، رطيـبٍ، ومـاءٍ، هنـاك، انثعَـبْ[4]
وجُـلْ فـي الحـديقـةِ، اختِ المُنَـى، ودِن بـالمُـدامـةِ، أمِّ الطَّـربْ[5]
وحـاملـةٍ، مـن بنـاتِ القَنـا، أمـاليـدَ تَحمِـلُ خُضـرَ العَـذَب[6]
تنـوبُ، مـورقـةً، عـن عِـذارٍ؛ وتضحَـكُ، زاهـرةً، عـن شَنَـب[7]
وتنـدَى بهـا، فـي مهَـبِّ الصَّبـا، زَبَـرْجَـدَةٌ أثمـرَت بـالـذَّهـب[8]
تَفـاوَحُ أنفـاسُهـا تـارةً؛ وطَـوراً تغـازِلُهـا مـن كثَـب[9]

---

(١) **الخيّب**: الذين تصيبهم الخيبة، أي الفشل.

(٢) **الوابل الصيّب**: المطر الشديد الانهمار.

(٣) **الثيّب**: المتزوجة التاركة زوجها، المرأة غير البكر.

(٤) **هفا (الظلّ)**: خفق ـ **انثعب الماء**: سال.

(٥) **جُلْ**: الأمر من جال، **جال في المكان**: طاف ودار ـ **المدامة**: الخمر.

(٦) **حاملة**: أي شجرة حاملة ـ **بنات القنا**: كناية عن الأغصان ـ **والقنا**: جمع القناة، العود الطويل ـ **الأماليد**: الأغصان الناعمة والليّنة، جمع أملود ـ **العَذَب** (بفتح الأول والثاني): الأفنان.

(٧) **العذار**: الشعر الذي يلي شحمة الأذن ـ، **الشّنب**: الأسنان البيضاء، **والشّنب أيضاً**: الريق.

(٨) **الزبرجدة**: من الحجارة الثمينة، والزبرجد أخضر اللون ـ **وقوله**: **أثمرت بالذهب** يقصد ثمار شجرة النّارنج الذهبية اللون.

(٩) **تفاوح أنفاسها**: تنتشر ـ **طوراً**: تارة ـ **من كثب**: أي من مكان قريب.

فتبسِمُ، في حالةٍ، عن رِضاً؛ وتنظُرُ، آونةً، عن غضَب

(٤٨)
دعاني النُهى

ألا دَعاني اليومَ داعي النُّهى، وقَوَّمَتْ قِدحيَ أَيدي الخُطُوبْ[١]
وكنتُ خفَّاقَ جَناح الصِّبا، جَرَّارَ أذيالِ التصابي، سَحُوبْ[٢]
فربَّ ليلٍ أقمرٍ بِتُّهُ، مُهتزَّ أعطافِ الأماني، طَرُوبْ
هَصَرتُ فيه من غصونِ الصِّبا؛ وبِتُّ أجني من ثِمارِ الذُّنُوبْ
سِيّانِ سِيّانِ صباحُ المُنى، إذا انطوى عنك، وليلُ الكُرُوبْ[٣]

(٤٩)
اسحَبْ ذُيولَ اللهو

يدعو الشاعر إلى نهب اللذات قبل أن يولي قطار العمر.

أيُّ زمانٍ جادَ إلاَّ نَهَبْ، أم أيُّ خَطْبٍ جارَ إلاَّ ذَهَبْ؟[٤]
كُلاًّ طوى الدهرُ، فلا ما وَهَى بجانبٍ دامَ، ولا ما وَهَبْ[٥]
فما لعقلٍ وافرٍ والمُنى؛ وما لنفس حُرَّةٍ والذَّهَبْ
فَصِلْ، إذا قارعتَ قِرناً، وصِلْ خِدْناً، ولا تُقْلِعْ، إذا السيفُ هَبّ[٦]

---

(١) **النّهى**: العقل ـ **القدح**: السهم ـ **الخطوب**: الدّواهي، والأمور الجليلة جمع خطب.
(٢) **التصابي**: الميل إلى اللهو.
(٣) **سيّان**: مثنى سيّ، والسيّ: المثل ـ **الكروب**: جمع كرب، الحزن والغم الشديد.
(٤) **الخطب**: الشأن، والخطب الأمر المكروه ـ **جار**: من الجور، وهو الظلم والاستبداد.
(٥) **وهى (الشيء)**: خار وضعف ـ **وهب**: منح وأعطى. تلاحظ المجانسة غير التّامة بين: وهي، ووهب.
(٦) **صل**: الأمر من صال: وثب للسطو، وصال: **قهر** ـ **قارع**: صارع ـ **القِرن (بكسر القاف)**: النّد، المثيل ـ **الخدن**: الحبيب، الصاحب.

وابتَــع بكيــسٍ كــاسَ مَشمــولــةٍ، واسحَب ذيولَ اللَّهو، واخلَع، وهبْ[1]

واستضحــكِ المجلِــسَ عــن قهــوةٍ، قــد نبَّهَــت للصُّبــحِ هُــدأً، فهَــبّ[2]

نــاريّــةِ اللَّــذعــةِ، نُــوريَّــةٍ، فــي صُفــرةٍ فــاقعــةٍ، أو صَهَــبْ[3]

وهُــزَّ، مــن عِطفَيــك عــن نَشــوةٍ، غُصنــاً، إذا مــا نفَّــسَ الصُّبــحُ هَــبّ

بــأبيــضٍ، كــالمــاءِ، مستــودَعٍ، مــا شئتَــه مــن أحمــرٍ، كــاللَّهَــبْ[4]

لــو ذابَ هــذا لجَــرى فِضَّــةً، أو جَمَــدتْ تلــك لكــانــت ذهَــبْ[5]

(٥٠)

أَحِنُّ... معَ الغُروبِ

لا، والــذي تُجلــى الكــروبُ بـــه، وتَنفــرِجُ الخُطــوبْ

لا بِــثُّ، إلاَّ بيــن دَمــعٍ يَنهمــي، وَحَشــاً يَــذوبْ[6]

حَــرّانَ، أَنتشــقُ النسيــمَ، ونِعــمَ مســلاةُ الكــروبْ[7]

لا تلتقــي الأجفــانُ فيــك، ولا المضــاجــعُ والجُنــوبْ

أبــداً أحِــنُّ إليــك شــوقــاً، كــالغــريــبِ مــعَ الغُــروبْ

وأقــولُ للــرِّيــحِ الجَنــوبِ، مــعَ الأصيــلِ، صِلــي الهُبــوبْ

فهــلِ استطبــتَ بــيَ الشَّمــالَ، كمــا استطبــتُ بــكَ الجَنــوبْ؟

---

(١) **كاس**: مخفّف كأس ـ **الشمولة**: الخمرة التي برّدتها ريح الشمال ـ **هب**: الأمر من وهب، أعطى دون مقابل.

(٢) **القهوة**: الخمرة ـ **الهدء**: الجزء من الليل، يقال: هدأة الليل: أي وقت النوم.

(٣) **نارية اللذعة**: أي مذاقها حاد كالنّار ـ **نوريّة**: نسبة إلى النور أي مشعّة كالضياء ـ **الصهب**: اللون الأشقر.

(٤) **بأبيض**: أي بكأس أبيض ـ **من أحمر**: أي شراب أحمر ـ **كاللهب**: شبه الخمرة بالهب بجامع الحدّة واللون.

(٥) **ذاب هذا**: أي الكأس ـ **تلك**: الخمرة.

(٦) **انهمى الدمع**: سال وجرى غزيراً ـ **الحران**: الشديد العطش.

(٧) **الكروب**: جمع كرب، الحزن ـ **الخطوب**: جمع خطب، الأمر المكروه.

(٥١)

ثَمَّ الحسابُ

أَلا قَصرُ كلِّ بَقاءٍ ذَهابْ، وعُمرانُ كلِّ حياةٍ خَرابْ[١]

وكلّ يُدانُ بما كانَ دانَ، فثَمَّ الجَزاءُ، وثَمَّ الحِسابْ

فلا تُجرِ كفَّك، من مُهرَقٍ، بما لا يَسرُّ، هناك، الكِتابْ[٢]

فإنَّك يوماً مُجازى بهِ، وإنَّ يَداً كتَبَتْه تُرابْ

ولا خِطَّةٌ غيرَ إحدى اثنتَينِ: إمَّا نعيمٌ، وإمَّا عَذابْ

فرُحماك! يا مَن عليه الحِسابُ؛ وزُلفاك! يا من إليهِ المآبْ[٣]

---

(١) الذّهاب: فناء الشيء، ذهابه إلى غير عودة.

(٢) المهرق: اسم مفعول من أهرق، أهرق الماء: صبّه، والدم: سفكه.

(٣) الزّلفى: المنزلة ـ المآب: الرجوع، العودة.



قافية التاء

(٥٢)
كيف آنَسُ بالمُنى

أَلا صُمَّتِ الأجداثُ عنّي فلم تُجِب، ولم يُغْنِني أَنّي رَفَعتُ لها صوتي[1]

فيا عجباً لي! كيفَ آنَسُ بالمُنى، وغايةُ ما أَدْرَكتُ منها إلى الفَوتِ؟

وهل من سرورٍ، أَو أَمانٍ لعاقلٍ، ومَفضى عُبورِ العابرين إلى المَوتِ؟[2]

---

(١) صمّت الأجداث: لم تسمع ـ الأجداث: جمع جدث: القبر.

(٢) مفضى: اسم المكان من أفضى إلى: وصل إلى.



قافية الثاء

(٥٣)
نَشْوَةٌ

وعَشِـيٍّ أُنْـسٍ أَضجَعَتنـي نَشْـوةٌ ... فيـه، تُمهِّـدُ مضجَعـي وتُـدمِّـثُ[١]

خلعَـتْ علـيَّ بـه الاراكـةُ ظِلَّهـا، ... والغُصـنُ يُصغـي، والحَمـامُ يُحدِّثُ[٢]

والشمـسُ تَجنَـحُ للغـروبِ، مـريضةً، ... والـرَّعـدُ يَـرقـى، والغَمـامـةُ تَنفُـثُ

(٥٤)
أرى به عزّاً

قال ابن خفاجة هذه الأبيات وقد عاده صديقه الفقيه ابن عائشة:

إنَّ الليـالـي، لا دَهَتـكَ، لَعـائِثَـهْ، ... فـوقَيـتُ فيـك يـدَ الـزَّمـانِ العـابِثَـهْ[٣]

وسلِمـتُ مـن خِـلٍّ يعـودُ علـى النَّوى، ... كـرَمـاً، فتَنفـرِجُ الخُطـوبُ الكـارِثَـهْ[٤]

فـأرى بـه، للقلـبِ، قلبـاً ثـانيـاً، ... عِـزّاً، وللعينيـنِ عينـاً ثـالثَـهْ

---

(١) أضجعتني: جعلتني أضّجع أي أرقد ـ تدمّث المضجع: تجعله ليناً.

(٢) الأراكة: جمع الأراك، شجر يستاك به.

(٣) العائثة: اسم فاعل مؤنث من عاث عوثاً فلاناً عن كذا: صرفه عنه حتى تحيّر ـ العابثة: اللاهية.

(٤) الخلّ: الصديق ـ النّوى: البعد.





(٥٥)
لَنا نَهْجُ

لعَمريَ! لو أَوضَعتُ في مَنهَج التُّقى، لكانَ لنا، في كلِّ صالحةٍ، نَهْجُ[1]

فما يستقيمُ الأمرُ، والمَلْكُ جائرٌ، وهل يستقيمُ الظِّلُّ ، والعُودُ مُعوَجُّ؟

(١) أوضع: أسرع في سيره ـ المنهج: الطريق الواضح.





قافية الحاء

(٥٦)
إذا أَعْوَلتُ

قال هذه المرثية متحسراً لفقد ابن أخته محمد وقد مات في اغمات:

أَرقتُ أَكُفَّ الدَّمع، طَوراً، وأَسفحُ، ... وأَنْضَحُ خدِّي، تارَةً، ثُمَّ أَمْسَحُ[١]

ودونَك طَمَّاحٌ، من الماءِ، مائِجٌ، ... يعُبُّ، ومُغْبَرٌّ، منَ التُّربِ، أَفيَحُ[٢]

وإنّي، إذا ما اللَّيلُ جاءَ بِفَحمةٍ، ... لأوري زِنادَ الهَمِّ فِيها، فأقدَحُ[٣]

وأُتبِعُ طِيبَ الذِّكرِ أَنَّةَ مُوجَعٍ، ... فينفَحُ هذا حيثُ هاتِيكَ تَلفَحُ

وأَلقَى بياضَ الصُّبحِ يَسوَدُّ وَحشةً، ... فأحسِبُني أُمسِي على حينَ أُصبِحُ

ويُوحِشُني ناعٍ، منَ اللَّيلِ، ناعِبٌ، ... فأزجُرُ منه بارِحاً لَيس يَبرَحُ

وأَستَقبِلُ الدُّنيا بِذِكرى مُحمدٍ، ... فيَقبُحُ في عَينيَّ ما كانَ يَملُحُ[٤]

وأُشفِقُ مِن مَوتِ الصِّبا، ثُمَّ إنَّني ... لآمُلُ أَنَّ اللهَ يَعفُو، ويَصفَحُ

---

(١) أرقت الدمع: سكبته ـ نضح خدّه: بلّه.

(٢) دونك طمّاح من الماء: أي يحجزك عن غايتك ـ أراد بالطّماح.. البحر ـ المائج: الهائج والمضطرب ـ الأفيح: الواسع.

(٣) أورى الزناد: أخرج ناره ـ أقدح (بالزّند): حاول إخراج النار منه.

(٤) يملح الشيء في عينه: يحلو.

غُلامٌ، كما استَخشَنتَ جانِبَ هَضبَةٍ، ولانَ على طَشٍّ، منَ المُزنِ، أبطَحُ[١]
أَقُولُ، وقد وافى كِتابُ نَعِيِّهِ، يُجمجِمُ في أَلفاظِهِ، فيُصرِّحُ
أَرامٍ بأغماتٍ يُسَدِّدُ سَهمَهُ، فيَرمي، وقَلبٌ بالجَزيرَةِ يُجرَحُ؟[٢]
فيا لَغَريبٍ، فاجأتْهُ مَنيَّةٌ، أَتَتهُ على عَهدِ الشَّبابِ تُلَحلِحُ[٣]
كأنَّ لهيباً، بينَ جنبَيَّ، واقِداً، بهِ، ورَكايا، بينَ جَفنَيَّ، تُمتَحُ[٤]
جَلَستُ أَسُومُ الدَّهرَ فيهِ مَلامَةً، وكُنتُ، كما قد كُنتُ، أُثني وأَمْدَحُ[٥]
تَراني، إذا أَعْولتُ حُزناً، حَمامَةً تُرِنُّ، وطَوراً، أَيكَةً تَتَرنَّحُ[٦]
غَريقاً ببَحرِ الدَّمعِ والهَمِّ والدُّجى، ولو كان بَحراً واحداً كُنتُ أَسبَحُ
أُحمِّلُ أنفاسَ الشَّمالِ تَحيَّةً، يَنُوءُ بها من ماءِ جَفنِي، فيَرزَحُ[٧]
فلي نَظرَةٌ، نحوَ السَّماءِ، ولَوعَةٌ، تَلَدَّدُ بي، نحوَ الجَنوبِ، فأجنَحُ[٨]
فرادَعتُ عنها النفسَ، والنفسُ صَبَّةٌ؛ وراوَغتُ حُسنَ الصبرِ، والصبرُ أَرجحُ[٩]
فَنَمَّ، بأسرارِ الصَّبابةِ، مَدمَعي؛ وكلُّ إناءٍ، بالذي فيهِ، يَرشَحُ
وأَيأَستُ قلباً، كانَ يَخفِقُ، تارَةً، وتَنزُو بهِ الآمالُ، طَوراً، فيطمَحُ
فما أَتَلَقَّى الرَّكْبَ، أَرجُو تَحيَّةً تُوافي لهُ، أَو رُقعَةً تُتَصفَّحُ
ففِي ناظِري، للَّيلِ، مَربَطُ أَدهَمٍ، وفي وَجنَتي، للدَّمعِ، أَشْهَبُ يَجمحُ
إذا كان قَصرُ الأنسِ، بالإلفِ، وحشَةً، فما أَشْتَهِي أنِّي أُسَرُّ، فأفرَحُ[١٠]

---

(١) **الطش**: الخفيف أو الضعيف من المطر.
(٢) **أغمات**: بلدة في المغرب.
(٣) **أتته تلحلح**: أي لازمته ولم تبرحه.
(٤) **الركايا**: الآبار، جمع ركيّة ـ **متحت الركيّة**: استخرج ماؤها.
(٥) **سام يسوم**: غالى بالثمن.
(٦) **أعول**: رفع صوته باكياً ـ **الأيكة**: الشجر الكثير الملتف ـ **ترنّح**: تتمايل من الوهن أو الضعف.
(٧) **ينوء بها**: من ناء بالحمل: نهض به مثقلاً ـ **رزح**: سقط ولم يستطع النهوض.
(٨) **اللوعة**: حرقة الحزن ـ **تلدّد**: تلفّت يميناً وشمالاً، واللفظة من لديدَي العنق وهما صفحتاه.
(٩) **رادع نفسه**: حملها على أن تكف ـ **راوغ**: خاتل ـ **أرجح**: أكثر رجحاناً أي أغلب.
(١٠) **أراد بقصر الأنس**: ما يرمي إليه، أي الغاية التي يطمح إليها.

فيـا عـارِضـاً، يَستَقْبِـلُ اللَّيـلَ واكِفـاً، ويَسرِي، فيَطوي الأطْولَين، ويَمسحُ[1]
تحمَّـلْ إلـى قبـرِ الغَـريـبِ مَـزادةً، من الدَّمع، تَندى حيثُ سرتَ، وتنضحُ
وأَحفـى سَـلامٍ، يَعبُـرُ البَحـرَ دُونَـه، فيَنـدى، وأَزهـارَ البِطـاحِ، فتَنْفَحُ[2]
وعَـرِّج، على مَثوى الحبيبِ، بِنظرةٍ، تَـراه بِهـا عَينِـي، هنـاكَ، وتَلمَـحُ

(٥٧)

الظلُّ والماء القَراح

ومُـرتَبَـعٍ، حطَطـتُ الـرَّحـلَ منـهُ بحيـثُ الظِّـلُّ، والمـاءُ القَـراحُ[3]
يحـرِّمُ، حُسْـنَ مَنظـرِه، مَليـكٌ، يحـرِّمُ، مُلكَـه، القَـدْرُ المُتـاحُ
فجِـرْيَـةُ مـاءِ جَـدولِـه بُكـاءٌ عليـه، وشَـدْوُ طـائـرِه نِيـاحُ[4]

(٥٨)

برأسِه ليلٌ بهيمٌ

يصف كلباً أسود الرأس مطوقاً بالبياض سريعاً ينقض على الصيد

وأخطـلَ، لـو تَعـاطـى سَبْـقَ بَـرقٍ، لطـارَ مـن الفِجـاءِ بـه جَنـاحُ[5]
يسـوفُ الأرضَ، يسـألُ عـن بنِيهـا، فتُخبِـرُ، أَنفَـه عنـه، الـرِّيـاحُ[6]
أَقَـبَّ، إذا طَـرَدتَ بـه قَنيصـاً، تنكَّـبَ، قـوسَـه، الأجَـلُ المُتـاحُ[7]

---

(١) **العارض**: السحاب الممطر ـ **الواكف**: اسم فاعل من وكف المطر: انهلّ.
(٢) **أحفى سلام**: أكثره حفاوة، أي تكريماً ـ **البطاح**: جمع **البطحاء**: المسيل الواسع فيه رمل وحصى.
(٣) **المرتبع**: المنزل في الربيع ـ **الماء القراح**: الخالص.
(٤) **النّياح**: النّواح، مصدر ناح ينوح على الميت: بكى بصياح وعويل.
(٥) **الأخطل**: السريع في جريه ـ **الفجاء**: جمع فجوة المتسع من الأرض.
(٦) **يسوف الأرض**: يتنسّم رائحتها، يشمّها.
(٧) **الأقب**: الضامر ـ يصف ضموره وسرعة انقضاضه على الصيد **ويشبهه** بسهام الموت.

أطـــلَّ، بــــرأسِـــه، ليـــلٌ بهيـــمٌ، فشَـــدَّ، علـــى مخـــانقِـــه، صَبـــاحُ[1]

(٥٩)
دَمْعي مَطَرٌ تَوالَى

تَهـــاداني لـــذكـــركـــمُ ارتيـــاحُ، فبِـــتُّ، وكـــلُّ جـــانحـــةٍ جَنـــاحُ[2]

ودمعـــي، جِـــريـــةً، مطـــرٌ تَـــوالـــى؛ وجِسمـــي، هِـــزةً، غُصـــنٌ يَـــراحُ[3]

أَإخـــوانـــي، ولا إخـــوانَ صِـــدقٍ، أُصـــافـــي بعـــدَكـــم، إلاَّ الصِّفـــاحُ[4]

لحُســـنِ الصَّبـــرِ دونكـــمُ حِـــرانٌ، وللعبَـــراتِ بعـــدكُـــمُ جِمـــاحُ[5]

فـــدَيتُكـــمُ بنفســـي مـــن كِـــرامٍ، يهُـــزُّ بهـــم، مَعـــاطفَـــهُ، السَّمـــاحُ[6]

أرى بهـــمِ النجـــومَ، ولا ظَـــلامٌ، وأَوضـــاحَ النهـــارِ، ولا صَبـــاحُ

تخـــايَـــلُ، نخـــوةً، بهـــمِ المـــذاكـــي، وتَعســـلُ، هِـــزَّةً، لهـــمُ الـــرِّمـــاحُ[7]

لهـــم هِمَـــمٌ، كمـــا شمَخَـــت جبـــالٌ، وأخـــلاقٌ، كمـــا دَمَثَـــت بِطـــاحُ

وجـــاريـــةٍ ركِبْـــتُ بهـــا ظَـــلامـــاً، يطِيـــرُ، مـــن الـــرِّيـــاحِ بهـــا، جَنـــاحُ[8]

إذا المـــاءُ اطمـــأنَّ ، فـــرقَّ خَصـــراً، عَـــلا، مِـــن مَـــوجِـــه، رِدفٌ رَداحُ[9]

وقـــد فَغَـــرَ الحِمـــامُ، هنـــاك، فـــاهُ، وأتلَـــعَ، جِيـــدَه، الأجَـــلُ المُتـــاحُ[10]

---

(١) **المخانق**: جمع مخنق، موضع الخنق من العنق.

(٢) **تهاداني الارتياح لذكركم**: جعلني أتمايل فرحاً ـ الجانحة وجمعها جوانح: أضلاع الصدر.

(٣) **يراح الغصن**: تهزه الريح.

(٤) **صافاه يصافيه**: محضه الودّ ـ **الصِّفاح** (بكسر الصاد): السيوف.

(٥) **الحران**: عدم الانقياد ـ **الجماح**: مصدر جمح جمحا وجماحاً وجموحاً الفرس تغلّب على راكبه وذهب به لا ينثني، استعصى فهو جامح بلفظ واحد للمذكر والمؤنث.

(٦) **السماح**: السماحة، الملاينة.

(٧) **تخايل**: تتخايل، تزهو ـ **المذاكي**: الخيول الأصيلة ـ تعسل الرماح: تهتزّ.

(٨) **أراد بالجارية**: السفينة.

(٩) **الردف من السفينة**: مؤخرها، جانبها ـ الرداح: الضخم.

(١٠) **فغر** : فتح ـ **الحمام**: الموت ـ **أتلع جيده**: رفعه.

فمـــا أدري، أَمـــوجٌ أم قُلـــوبٌ؛ وأنفـــاسٌ، تُصَعَّـــدُ، أم رِيـــاحُ

(٦٠)
بين كَلْب وأرنب

وأطلـسَ، مـلءُ جـانِحَتَيـه خَـوفٌ، لأشْـوسَ، مـلءُ شَـدقَيـه سِـلاحُ[١]
يجـاهِـرُنـا، يطيـرُ حَـذارَ طـاوٍ، لـهُ رَكـضٌ يغَـصُّ بـهِ البَـراحُ[٢]
وأعجَـبُ أنْ تقَلَّـصَ ذَيـلُ ليـلٍ أحـمَّ، وقـد أجـدَّ بـه الـرَّواحُ[٣]
يجولُ بحيثُ يكشِرُ عن نِصالٍ مُؤَلَّلةٍ، وتَحمِلُـــــه رِمـــــاحُ[٤]
وطـوراً يَـرتقـي حُـدْبَ الـرَّوابـي؛ وآوِنـــةً تسِيـــلُ بـــه البِطـــاحُ[٥]
جـرَى شَـدّاً، وللصُّبـحِ التمـاعٌ، بحيـثُ جَـرى وللبَـرقِ التمـاحُ[٦]
فخَلْخَلَـهُ، وسَـوَّرَهُ، وَميـضٌ جَـرى معـه، وطـوَّقَـه صَبـاحُ[٧]

(٦١)
تخايلَت بهِم الجِيادُ

يصف فرسان المسلمين مادحاً بسالتهم ومروءتهم

رَكَضـوا الجِيـادَ إلـى الجِـلادِ صَبـاحـاً؛ واستَشعـرُوا النَّصـرَ العـزيـزَ سِـلاحـا[٨]

---

(١) **الأطلس**: أراد الأرنب المائل لونه الأغبر إلى السواد ـ ملء جانحتيه: أي ملء جنبيه ـ **الأشوس**: أراد الكلب الأشوس وهو الذي ينظر شزراً من شدّة الحنق.
(٢) **جاهر**: أظهر علناً ـ **الطاوي**: الجائع ـ **البراح**: الفضاء الرحب.
(٣) **الليل الأحم**: الأسود، الشديد الحلكة.
(٤) **أراد بالنصال المؤلّلة**: أنيابه المحدّدة.
(٥) **الروابي الحدب**: المحدودبة، المحنية ـ **البطاح**: المنبسط من الأرض.
(٦) **الالتماح**: البريق، اللمعان.
(٧) **خلخله** : ألبسه الخلخال ـ **سوّره**: ألبسه السّوار ـ **طوّقه**: جعل في رأسه الطوق.
(٨) **ركضوا الجياد**: جعلوها تعدو ـ **الجلاد**: الحرب ـ استشعروا: اتخذوا شعاراً ـ **العزيز**: الصعب المنال.

واستقبلُوا أُفُقَ الشَّمالِ بجَحفَلٍ ... نشَرَ القَتامَ، على الشَّمالِ، جَناحا[1]

قد ماسَ، في أَرجائِه، شجَرُ القنا؛ ... وجرى به ماءُ الحديدِ، فساحا[2]

مطَرَ الأعاجِمَ منه عارضُ سَطوةٍ، ... بَرَقَ الحديدُ بجانِبَيه، فَلاحا

حتى إذا قُضِمَ المُهنَّدُ، نَبوةً، ... واندقَّ صَدرُ السَّمهريِّ، فطاحا[3]

زَحمَت مَناكبُه الأعادي زَحمةً، ... بَسَطَتْهُمُ فوقَ البِطاحِ بِطاحا[4]

قَتلى، بحيثُ ارفضَّ دمعُ المُزنِ، لا ... رُحمى، فأسعدَه الحَمامُ، فناحا[5]

قد تُرِّبَت منهم صَحائفُ أَوجُهٍ، ... جعَلَت تمزِّقُها السيوفُ جِراحا[6]

فلو اطَّلَعتَ لمَا اطَّلَعتَ على سِوى ... سهمٍ، تَثلَّمَ في قتيلٍ طاحا[7]

فحمَت، حريمَ المُسلمينَ، مَصارعٌ، ... تركَت حريمَ المُشركينَ مُباحا[8]

مُسوَدَّ ساحاتِ المنازلِ وَحشةً، ... مملوءَ أفنيةِ الدِّيارِ نِياحا

تأتي صقورٌ منهمُ مُنقضَّةٌ، ... قَدَراً، على مُهَجِ العدوِّ، مُتاحا[9]

مَلأوا ضُلوعَ الليلَ زُرْقَ أَسِنَّةٍ، ... سالَتْ على أعطافِه أوضاحا[10]

وتخايَلتْ بِهِمُ الجِيادُ، كأنَّما ... شرِبَتْ مَعاطِفَ كلِّ طِرفٍ راحا[11]

---

(١) **الجحفل**: الجيش ـ **القتام**: السواد.

(٢) **ماس**: تمايل ـ **شجر القنا**: أي الرماح ـ **ماء الحديد**: أراد السيوف.

(٣) **قضم المهند**: بُتر، والمهنّد: السيف ـ **النبوة**: أي نبوة السيف وهي الضربة غير القاطعة ـ **السمهري**: الرمح.

(٤) **مناكب الجحفل**: نواحيه.

(٥) **ارفضّ دمع المزن**: تناثر، ودمع المزن: مطر السحاب ـ **رحمى**: رحمة ـ **أسعده**: أمدّه بالعون.

(٦) **تربت**: عفرت بالتراب.

(٧) **تثلّم**: تآكلت جوانبه.

(٨) **المصارع**: المهالك: جمع مصرع.

(٩) **الصقور**: الفرسان ـ **المهج**: جمع مهجة الروح.

(١٠) **الأوضاح**: جمع الوضح: الضوء.

(١١) **تخايلت**: تمايلت مزهوة ـ **الراح**: الخمر.

مـن كـلِّ منصـورِ اللِّـواءِ، إذا سَـرى، ... مَثُلَـت لـه عُقبـى السُّرى، فـارتـاحـا[1]
فـانصـاعَ، يضحَـكُ وجهُـه عـن غُـرَّةٍ، ... سـالـت، ويَلعـبُ فـي العِنـانِ مِـراحـا[2]
يَسْـري بـأبلـجَ، مـا ادلهمَّـت رَوعـةٌ، ... إلّا تـــلألأ وجهُـــه مِصبـــاحـــا
وأقـامَ فـوقهـمُ العَجـاجَـةَ كِلَّـةً؛ ... وأدارَ بينَهـــمُ الـــرَّدى أقـــداحـــا[3]
أيْسـارُ حـربٍ، كلَّمـا اشتَجـرَ القَنـا، ... لـم يُعمِلـوا، إلّا الـرِّمـاحَ، قِـداحـا[4]
طـالـوا العَـوالـيَ بَسطـةً، فكـأنَّمـا، ... ركَـزَت يـدُ الهَيجـا بِهـم أرمـاحـا[5]
مـن كـلِّ هَضبـةِ سُـؤدَدٍ، هَـزَّ النَّـدى ... أعطـافَـه، طـربـاً، فسـالَ سَمـاحـا
أدمـى اللِّقـاءُ، مِـنَ القَنـا، ظفـراً لـه ... ذَربـاً، ومـدَّ مِـنَ اللِّـواءِ جَنـاحـا[6]
فانجابَ ليلُ الخَطب عن أُفقِ الهُدى، ... وتطلَّـــعَ الفَتـــحُ المُبيـــنُ صَبـــاحـــا

(٦٢)

كما سَرى بَرْقٌ

تلقّى شعراً من صديق فأجاب قائلاً:

أَطِـرسُـك أم ثَغْـرٌ، تبسَّـمَ، واضِـحُ؛ ... ولفظُـك أم رَوضٌ، تنفَّـسَ، نـافـحُ؟[7]
لـوَانـيَ لَـيَّ الخَيـزُرانـةِ هِـزَّةً؛ ... وتَهفـو بـأعطـافِ الكِـرامِ المـدائِـحُ
كـلامٌ، يـرِفُّ النُّـورُ فـي جَنَبـاتِـه، ... وتَنـدى بـه، تحـتَ الهَجيـر، الجَـوانـحُ
تُنَصَّـلُ، يـومَ الـرَّوع، سُمـرُ القنـا بـه، ... وتُطبَـعُ منـه، للجِـلادِ، الصَّفـائـحُ[8]

---

(١) **العقبى**: العاقبة، النهاية ـ **السّرى**: السير ليلاً.
(٢) **المراح**: الاختيال والفرح من مرح يمرح الرجل إذا نشط وجاوز القدر فرحاً واختيالاً.
(٣) **العجاجة**: الغبار ـ **الكلّة**: الستارة الخاصة برد البعوض ونحوه ـ **الأقداح**: الكؤوس، جمع قدح.
(٤) **الأيسار**: لاعبو الميسر، المقامرون ـ **القداح**: جمع قدح سهم الميسر.
(٥) **العوالي**: الرماح ـ **البسط**: الارتفاع والشموخ ـ **الهيجا**: الهيجاء، الحرب.
(٦) **القنا**: الرماح ـ **الظفر**: النصر ـ **الذرب**: الحادّ.
(٧) **الطرس**: الصحيفة والجمع طروس.
(٨) **تنصّل السهام أو الرماح**: يجعل لها نصل ـ **الرّوع**: الفزع، ويوم الرّوع: الحرب ـ **الجلاد**: =

يَشِفُّ سَـوادُ النِّقسِ عنـه، كمـا سَـرى وراءَ الـدُّجـى بَـرقٌ، تَطلَّـعَ، لامـحُ[1]

وإنِّــي لظمــآنٌ إليـــه، عَــلاقــةً، وهـا أنـا، فـي بحـر البَـلاغـةِ، سـابـحُ

يَعثـتُ بـه ينـدى، كمـا جـادَ عـارضٌ، ويُطـربُنـي، طَـوراً، كمـا حَـنَّ صـادحُ[2]

تلـوحُ بـه، فـي دَهْمـةِ الحِبـرِ، غُـرَّةٌ، ويَركُضُ، في شوطِ الفصاحة، سائحُ

فـإنْ أنـا لـم أشكـرْكَ، والـدارُ غُـربـةٌ، فـلا جـادَنـي غـادٍ، مـن المُـزنِ، رائـحُ

ولا استشـرَفَـت يـومـاً إلـيَّ بـه الـرُّبـى جَـلالاً، ولا هشَّـت إلـيَّ الأبـاطـحُ[3]

(٦٣)

نفضتْ ذوائبَها الرّياحُ

يصف شجرة مورقة الأفنان، هزّت الرياح ذوائبها

يـا رُبَّ مـائسـةِ المَعـاطـفِ تـزدَهـي، مِـن كـلِّ غُصـنٍ خـافـقٍ، بـوِشـاحِ[4]

مُهتـزَّةٍ، يـرتَـجُّ، مـن أعطـافِهـا، مـا شِئـتَ مـن كفَـلٍ، يمـوجُ، رَداحِ[5]

نَفضَـت، ذوائبَهـا، الـرِّيـاحُ عَشيَّـةً، فتملَّكَتهـا هِـزَّةُ المُـرتـاحِ[6]

حـطَّ الـربيـعُ قِنـاعَهـا عـن مَفـرِقٍ شَمِـطٍ، كمـا تَـرتـدُّ كـاسُ الـرّاحِ[7]

لفَّـاءُ، حـاكَ لهـا الغَمـامُ مُـلاءةً، لبِسَـت بهـا، حُسنـاً، قميـصَ صَبـاحِ[8]

= المبارزة والقتال ـ **الصفائح**: السيوف.

(١) **النّقس**: الحبر.

(٢) **العارض**: السحاب الممطر ـ **الصادح**: اسم فاعل من صدح: رفع صوته بالغناء.

(٣) **هشت إليّ**: تبسّمت، ارتاحت.

(٤) **مائسة**: اسم فاعل مؤنث، من ماس يميس: مال زهواً ـ المعاطف: الأعطاف ـ **تزدهي**: تحمل على الزهو والكبر ـ **الوشاح**: قلادة من نسيج أو جلد مرصّع بالحجارة الثمينة تزيّن بها المرأة صدرها، وتجعل بين الكتف والخصر ـ **يلاحظ كيف استعار الشاعر القلادة لتمثيل فتنة الزهر في الأغصان**.

(٥) **يرتجّ**: يهتز ـ **الكفل**: مؤخر الجسم ـ **الرداح**: الممتد والواسع والرداح أصلاً الشجرة الكبيرة.

(٦) **الذوائب**: جمع ذؤابة ضفائر الشعر، وهنا كناية عن الأغصان المتدلية.

(٧) **الشمط**: المنتشر الأوراق.

(٨) **اللفاء**: الكبيرة، الفخمة.

نَضَحَ النَّدى نُوَّارَها، فكأنَّما مسحَت، معاطِفَها، يمينُ سَماحِ[1]
ولوى الخليجُ، هناك، صفحةَ مُعرِضٍ، لثَمت، سوالفَها ثغورُ أَقاحِ[2]

(٦٤)

عِزٌّ تَهادَى

عاد منصب القضاء إلى صديقه الفقيه قاضي القضاة أبي أمية فهنأه قائلاً:

بُشرى، كما أسفَرَ وجهُ الصَّباحْ، واستشرَفَ الرائدُ برقاً ألاحْ[3]
وارتجزَ الرَّعدُ يمُجُّ النَّدى رَيَّا، ويَحدو بمَطايا الرِّياحْ[4]
فدنَّرَ الزَّهرُ مُتونَ الرُّبى؛ ودَرْهَمَ القَطرُ بُطونَ البِطاحْ[5]
هبَّت رَواحاً، وَهْيَ نَفَّاحةٌ، فطابَ، رِيحاً، نَشرُ ذاك الرَّواحْ
أفصحَ غِرِّيدٌ بها مُطرِبٌ، نفَّشَ، مِن طِرسٍ، قُدامى جَناحْ[6]
فهل تَرى أَسمعَ غُصنَ النَّقا، فهزَّ من عِطفَيه، هَزَّ ارتياحْ؟[7]
أم هَل سَرى يُنعِشُ مَيتَ الرُّبى، فمَجَّ، ريقَ الطَّلِّ، ثَغرُ الأقاحْ؟
عِزٌّ تهادى بالقَنا هِزَّةً، واختالَ بالجُردِ المَذاكِي مِراحْ[8]
فطاولَ، النَّجمَ، منارُ الهُدى، وأَحرزَ الدينُ مُعلَّى القِداحْ

(١) **نضح**: بل، رش ـ **النّدى**: الطلّ ـ **النوار**: الزهر.
(٢) **لثمت**: قبلت، عانقت ـ **السوالف**: **أراد سوالف الخليج أي شطآنه** ـ **الأقاح**: جمع الأقحوان، وهو ضرب من الزهور البرية الصفراء.
(٣) **استشرف**: انتصب، واستشرف الشيء: رفع بصره لينظر إليه. . ـ **الرائد**: رسول القوم المتقدّم.
(٤) **ارتجز الرعْد**: أرسل صوته ـ **يمج**: ينثر ـ الريّا: الرائحة ـ **يحدو**: من الحداء وهو الغناء للمطايا لحثّها على السير.
(٥) **دنّر**: فعل اشتقه من الدنانير، والمقصود أن الأزهار رصعت أعالي الرّبى بما يشبه الدنانير من الريحان والزهور ـ **درهم**: من الدراهم، بمعنى دنّر ـ **القطر**: المطر.
(٦) **الطرس**: الصحيفة **وقوله**: نفّش جناح: أي نشر جناحا.
(٧) **النّقا**: الكثيب من الرمل.
(٨) **اختال**: تبختر ـ **الجرد**: الخيل القصيرة الشعر.

والتــــأمَ الشِّعـــبُ، ومـــا إن عَــدا رأيُ أَميــرِ المُــؤمنيـــنَ الصَّــلاحْ
خيـــر إمـــامٍ، دامَ فـــي عَسكَـــرَيْ جَـدٌّ وجِـدٌّ، مـلءُ صَـدرِ البَـراحْ[1]
يَعطِـــسُ عـــن أَنـــفِ حمـــيٍّ لــه، أَضـرعَ، خَـدَّيْ كـلِّ حـيٍّ، كفـاحْ
أَرعــدَ فــي تُـدمِيــرَ زَجـراً لهــا، فَمـا لِعَنـزَيـن، هنـاك، انتطـاحْ[2]
وغـضَّ، مـن أَصـواتِهـا، صـوتُـه؛ إنَّ زَئيـــرَ اللَّيـــثِ غيـــرُ النُّبـــاحْ
وشَـــدَّ أَزرَ ابـــنِ عِصـــامٍ بمـــا حبَّـرَ مِـن أَلفـاظِ بِـرٍّ، فِصـاحْ[3]
فـي رُقعـةٍ، تحمِـلُ، مـن رِفعـةٍ، لألاءَ أَوضـاحِ الـوجـوهِ الصِّبـاحْ
مَيمـــونـــةٍ، لــو لمَسَـتْ جَلْمَـداً صَلْـداً، لسـالَ المـاءُ عنـه، فَسـاحْ
فـالمجـدُ ممطـورُ جَنـابِ المُنـى؛ والمُلــكُ خَفَّــاقُ جَنـاحِ النَّجـاحْ
يُسفــرُ عــن بِيــضِ وجــوهِ الظُّبـي بـأسـاً، ويَـرنـو عـن عيـونِ الـرِّمـاحْ
أَبيـــضُ، وضَّـــاحُ جبيـــنِ العُلـــى، جــذلانُ، مَبســوطُ يميــنِ السَّمـاحْ
فقـــل لمــــن ســاجَلَـــه، ضِلَّـــةً، مــا سُــدفـةُ اللَّيـلِ وضـوءُ الصَّبـاحْ
كيـــفَ يُكـــافيـــه، وهـــل تستـــوي خُشـــونـــةُ الجِـدِّ ولِيـنُ المُـزاحْ؟
تميَّـــزَت، مـــن شِيمـــةٍ، شِيمـــةٌ؛ إنَّ الأجـاجَ الصِّـرفَ غيـرُ القَـراحْ[4]
جـالـدتُـه مـن حـاسـرٍ دارِعـاً، كفـاه حمـلُ الـرأيِ حمـلَ السِّـلاحْ
وأَيـــنَ مِــن بَحـرٍ طمـا، أَخضـرٍ، ما سالَ من أَوشالِ بِيضِ الصِّفاحْ؟[5]
حمَــت، ومــن يقعُــد بــهِ جَـدُّه، فكـلُّ زَنـدٍ، فـي يَـدَيـه، شَحـاحْ
فــلا تَنَـمْ عينُــك مــن حـاسِـدٍ، غـضَّ حِـرانـاً مـن عِنـانِ الجِمـاحْ
أَمضَّـــه جُـــرحٌ دخيـــلٌ بـــه؛ إنَّ الــرَّزايــا مــن أَمـضِّ الجِـراحْ

(١) **الجَدّ** (بفتح الجيم): الحظّ ـ **الجِدّ**: (بكسر الجيم): الدأب أو العمل الدؤوب.
(٢) **تدمير**: منطقة في الأندلس، وهي مقرّ قاضي القضاة.
(٣) **ابن عصام**: الممدوح الذي يهنئه بعودة القضاء إليه.
(٤) **الشيمة**: الخلق والطبيعة، العادة ـ **الأجاج**: الماء المالح ـ **القراح**: الماء العذب الخالص.
(٥) **طما البحر**: علا موجه ـ **الأوشال**: جمع وشل، الماء القليل.

فــرقــرَقَ العَبــرةَ فــي خجلَــةٍ، وربَّمــا يُمــزَجُ بــالمــاءِ راحْ
مــا غــصَّ بــالــدَّمعــةِ إلاّ هَفــا، فــانظـر تَجِـدْ ثَـمَّ السِّـوارَ الـوِشـاحْ[1]

(١) هفا يهفو: أسرع، وهفا الطائر: خفق بجناحيه، والمراد هنا (فؤاده): أي خفق شوقاً ـ السوار الوشاح: من باب التمثيل، وقد عنى بهما الرفعة والمجد.





قافية الدال

(٦٥)

موتُك للأسى مِيلادُ

هذه القصيدة من مراثيه قالها في رثاء الوزير أبي محمد بن ربيعة:

رَفعَتْ عليك، عويلَها، الأمجادُ، وجَفَتْ، كريمَ جَنابِك، العُوّادُ[١]

وتكنَّفَت شَكواكَ عن خَطبٍ دهى، هَدَّت له، أركانَها، الأطوادُ

سَلَّت عَتادَ الصَّبرِ فيه، صَبابةٌ، ما لي بها، غيرَ الدُّموعِ، عَتادُ

للهِ أيُّ خليلِ صِدقٍ مُخلِصٍ، أهوى به رُكنٌ، ومالَ عِمادُ!

خَطَمَ القَضاءُ به قَريعاً مُصعَباً، فانقادَ يَصحَبُ، والحِمامُ قِيادُ[٢]

جارَيتُه طَلَقَ الحياةِ إلى الرَّدى، فحَوى به، قصَبَ السِّباقِ، جَوادُ[٣]

كنّا اصطَحَبنا، والتشاكُلُ نِسبةٌ، حتّى كأنّا عاتِقٌ ونِجادُ[٤]

ثُمَّ افترَقْنا، لا لعَودةِ صُحبةٍ، حتّى كأنّا شُعلةٌ وزِنادُ

يا أيُّها النائي، ولستَ بمُسمِعٍ سَكْنَ القبورِ، وبينَنا أسدادُ[٥]

---

(١) جفت العوّاد جنابه: أعرضت عنه - العوّاد: جمع عائد، وهو الذي يزور المريض أثناء علّته.

(٢) خطم: أخرس قهراً - القريع: السيد العالي الشأن - المصعب: الصعب - الحمام: الموت.

(٣) طلق الحياة: شوطها، مسيرتها.

(٤) التشاكل: التماثل - العاتق: ما بين المنكب والعنق - النجاد: حمائل السيف لأنه يعلو العاتق.

(٥) النّائي: البعيد، إشارة إلى تركه دنيا الناس - الأسداد: السدود والحواجز.

ما تفعَلُ النَّفسُ النفيسةُ، عندما ... تتهاجَرُ الأرواحُ والأجسادُ؟

كُشفَ الغِطاءُ إليك عن سرِّ الرَّدى، ... فأجِب بما تَندى به الأكبادُ

فوَراءَ سِترِ الليلِ مُضطرِمُ الحَشا، ... لا يستقِرُّ به، هناك، مِهادُ

لم يدرِ، إلَّا يومَ موتِك، ما الأسى، ... فكأنَّ مَوتَك للأسى مِيلادُ

وكفاه مجداً أن يقولَ، وللدُّجى ... فجرٌ له، من دَمعِه، أَمدادُ

حتَّامَ أَندُبُ صاحباً وشبيبةً، ... فتَفيضَ عينٌ، أو يَحِنَّ فؤادُ؟

أقصِر، فلا ذاك الخليلُ بآيبٍ، ... يوماً، ولا ذاك الشَّبابُ يُعادُ

فقُصارُ مُجتمِعِ الأصاحبِ فِرقةٌ؛ ... ومَحارُ أنوارِ الشَّبابِ رَمادُ[1]

فيمَ السُّلوُّ، وقد تحمَّلَ صاحبٌ، ... شطَّت به، دارٌ، وطالَ بُعادُ؟

أَتبَعتُه قلباً له، مِن لوعةٍ، ... زادٌ، ومن عينٍ تَفيضُ، مَزادُ

فذٌّ، تبسَّمَ عنه صَدرُ المُنتدى، ... طرباً به، واهتزَّتِ الأندادُ[2]

وأَخٌ لوُدٍّ، لا أخٌ لوِلادةٍ، ... وأَمَسُّ من نسَبِ الوِلاد وَدادُ

مَلَكَته غَشيَةُ نومةٍ لا تنجلي، ... ولكلِّ عينٍ نَومةٌ وسُهادُ

ودَّعتُه توديعَ مكتئِبٍ ولا، ... غيرَ المَعاد، للُقيةٍ، مِيعادُ

ونفَضتُ منه يدي بعِلقِ مَضَنَّةٍ، ... فُتَّت به الأكبادُ والأعضادُ[3]

وتركتُه، والمجدُ يُرغِمُ أنفَه، ... متوسِّداً، حيثُ التُّرابُ وِسادُ

في موطِنٍ نزَلَته جُرهُمُ قبلَه، ... وتحوَّلَت إرَمٌ إليه، وعادُ[4]

أُممٌ، يَغَصُّ بها الفَضاءُ، طَوتهمُ ... كفُّ الرَّدى طَيَّ الرِّداءِ، فبادُوا

سادوا وقادوا، ثُمَّ أجلى جَمعُهم، ... عن وَحدةٍ، فكأنَّهم ما قادُوا

---

(١) **المحار**: المرجع.

(٢) **الفذّ**: الفرد، والفذّ أول سهام الميسر ـ **الأنداد**: جمع نِدّ: وهو المِثل.

(٣) **العلق**: الشيء النفيس ـ **الأعضاد**: جمع عضد، وهو من المرفق إلى الذراع والعضد هنا النّصير والعون.

(٤) جرهم وإرم وعاد من قبائل العرب البائدة، وهي من الجاهلية الأولى.

عفَتِ البُناةُ، على اللَّيالي، والبُنى، وتَلاحقَ الأمجادُ والأوغادُ[1]
ولربَّما ذَبُّوا، وذادوا عن حِمى مِلكٍ هَوى، فكأنَّهم ما ذادُوا[2]
فأصِخ طويلاً! هل تَعِي من منطِقٍ؛ وانظُر مَلِيّاً، هل ترى ما شادُوا؟
زُمَرٌ يُعَدُّ بها الحَصى من كَثرةٍ، ولربَّما فنِيَت بها الأعداد
ألوى بهِم، ولكُلِّ رَكبٍ سائقٌ، زمَنٌ حَدا بركابِهم، يَقتادُ
ورمى رَبيعَةَ بالخُمول، وإنَّما كانُوا بعَبد الله فيهم سادُوا
بأغَرَّ وضّاحِ الجَبينِ، كأنَّه، تَحتَ الدُّجُنَّةِ، كَوكَبٌ وَقّادُ
مُتَبسِّمٌ في هِزَّةٍ، فكأنَّه غُصنٌ تَفتَّقَ نَوْرُه، ميَّادُ[3]
وطِيءَ السماكَ، به التواضعُ، رِفعَةً، فكأنَّما إتهامُه إنجادُ
أَلْقى الحِمامُ بِرَحلِه، في منزِلٍ، نَزَلت به الآباءُ والأجدادُ
يَعلُو به نَفَسٌ، وتَدمَعُ مُقلَةٌ، فيُراحُ، طَوْراً، تُربُه، ويُجادُ[4]
فَوقَفتُ أَندُبُ مِنهُ شِلواً داثِراً، ما إن يُحِسُّ، وهل يُحِسُّ جَمادُ؟
تَمحُو صحِيفَةَ صَفحَتَيْه يدُ البِلى، عَبثاً، وتَطوِي، ذكرَه، الآبادُ
فَخلا، برُغمِ المَجدِ، منه منزِلٌ مَلأت، مَدامِعَها، به الأمجادُ
لوَتِ الضُّلوعَ، به، الأصادقَ، لوعةٌ، ولَرُبَّما رقَّت بهِ الحُسَّادُ
مُتَقَلِّدٌ بالدَّمعِ حَلياً كُلَّما عَطِلَت به، من حَليِها، الأجيادُ
يَبْيَضُّ مُلتَحِماً، ويُظلِمُ وَحشةً، فكأنَّما ذاكَ البَياضُ حِدادُ
فبَكاك، من قَبرٍ كَريمٍ، عارِضٌ زَجِلٌ، له مِن رَنَّةٍ إرعادُ[5]

---

(١) **عفت**: من عفا الأثر: زال وامحى ـ **البناة**: جمع الباني ـ **البنى**: جمع بنية، كل ما يبنيه المرء ـ **الأوغاد**: خلاف الأمجاد، الأراذل، والأشرار.

(٢) **ذبّوا وذادوا معناهما واحد**: دافعوا ـ **هوى الملك**: سقط.

(٣) **تفتّق النور**: تفتحت كمائمه ـ **النّور**: الزهر. **الغصن الميّاد**: المتمايل، الذي تهتز أعطافه.

(٤) **المقلة**: العين.

(٥) **العارض**: السحاب الممطر ـ **زجل**: له صوت.

نُحِـرَ العَـزاءُ عليـهِ، لـم تُنحَـر بـهِ إبـلٌ، ولـم تُعقَـر عَليـهِ جِيـادُ[1]

وسقـاكَ وابـلُ رَحمَـةٍ، يَغشـى بهـا جَنبـاتِـكَ الـوُرّادُ والـرُّوّادُ

تَهفُـو البُـرُوقُ بجـانِبَيـهِ، كـأنَّمـا عُقِـرَت بهـا خَيـلٌ، عليـكَ وِرادُ[2]

فبطِيـب تُـربِـكَ، أيُّ بيتِ قصِيـدةٌ، لـو أنَّ ذاكَ البَيـتَ كـانَ يُعـادُ

لا تلتقـي عيـنٌ عليـه ونَـومـةٌ ليـلاً، ولا جَنـبٌ بـه ومِهـادُ

والليـلُ فُسطـاطٌ، هنـاك، مُطنَّبٌ، ضُـربَـت لـه، مـن أنجُمٍ، أوتـادُ[3]

وكفـى مَعـاداً للتَّـلاقـي فـي الكَـرى، لـو كـان يَسمَـحُ بـالخَيـالِ رُقـادُ

(٦٦)

في النّادي

وصـدرِ نـادٍ نَظَمنـا بـه القـوافـيَ عِقـدا

فـي منـزلٍ قـد سحبنـا، بظلّـه، العِـزَّ بُـردا[4]

قـد طنَّـبَ المجـدُ بيتـاً، فيـه، وعـرَّسَ وَفـدا

تـذكـو بـه الشُّهـبُ جمـراً، ويَعبَـقُ الليـلُ نَـدّا[5]

وقـد تـأرَّجَ نَـوْرٌ غَـضّ، يخـالـطُ وَردا[6]

كمـا تبسَّـمَ ثَغـرٌ عَـذبٌ، يقبِّـلُ خـدّا

---

(١) **تعقر**: تذبح ـ يشير في هذا البيت إلى التقليد الجاهلي وهو ذبح الذبائح تعظيماً للميت وتفجعاً عليه.

(٢) **الوراد**: جمع ورد، الجواد الأشقر.

(٣) **الفسطاط**: الخيمة الكبيرة ـ **مطنّب**: مشدود بالطنب وهو حبل يشدّ به سرادق البيت أو المضرب.

(٤) **البرد**: الثوب.

(٥) **النّد**: عود البخور.

(٦) **تأرج النّور**: فاح أريجه، أي رائحته.

(٦٧)
أَجُوبُ جُيُوبَ البيدِ

يصف سراه في ليلة ظلماء، بات فيها على صهوة فرسه معانقاً سيفه..

أَبـى البَـرقُ إلاّ أن يَحِـنَّ فُـؤادُ، ... وَيكحَـلَ، أجفـانَ المحـبِّ، سُهـادُ[1]

فبِتُّ ولي، من قانىءِ الدَّمع، قهوةٌ ... تُـدارُ، ومـن إحـدى يَـديَّ وِسـادُ[2]

تنـوحُ لـيَ الـوَرقـاءُ، وهـيَ خَلِيّـةٌ، ... ويَنهَـلُّ دَمـعُ المُـزنِ، وهـو جَمـادُ[3]

وقـد كـانَ فـي خَـدّيَّ للشُّهـبِ مَلعَـبٌ، ... فقـد صـارَ فيـهِ للـوِرادِ طِـرادُ[4]

وليـلٍ، كمـا مَـدَّ الغُـرابُ جَنـاحَـه، ... وسـال علـى وَجـهِ السِّجـلِّ مِـدادُ[5]

بـه مـن وميضِ البَرقِ، والليـلُ فَحْمةٌ، ... شَـرارٌ تَـرامَـى، والغَمـامُ زِنـادُ

سَـرَيْـتُ بـهِ أُحيِيـه، ولا حيَّـةُ السُّـرى ... تمـوتُ، ولا مَيـتُ الصَّبـاحِ يُعـادُ[6]

يقلِّـبُ منّـي العَـزمُ إنسـانَ مُقْلـةٍ، ... لهـا الأفـقُ جَفـنٌ، والظَّـلامُ سـوادُ[7]

بخَـرقٍ لقلـبِ البَـرقِ خفقـةُ روعـةٍ ... بـه، ولجَفـنِ النَّجـمِ فيـه سُهـادُ[8]

سحيـقٍ، ولا غيـرَ الـريـاحِ ركـائـبٌ، ... هنـاك، ولا غيـرَ الغَمـامِ مَـزادُ[9]

كـأنّـي، وأحشـاءُ البـلادِ تَجُنُّنـي، ... سَـريـرةُ حُـبٍّ، والظَّـلامُ فـؤادُ[10]

---

(١) السهاد: الأرق.
(٢) الدمع القانىء: الأحمر.
(٣) الورقاء: الحمامة ـ المزن: السحاب الممطر.
(٤) الوراد: الزعفران ـ الطراد: السباق ـ السجل: الكتاب
(٥) المداد: الحبر.
(٦) السرى: السير في الليل ـ يعاد: يزار.
(٧) المقلة: العين وإنسانها: البؤبؤ.
(٨) الخرق: المكان القفر ـ الروعة: الخوف.
(٩) السحيق: النّائي ـ المزاد: جمع مزادة، وهي إناء من جلد لحفظ الماء.
(١٠) تجنّني: تسترني.

أجوبُ جُيوبَ البيد، والصبحُ صارمٌ، لـه اللَّيـلُ غِمـدٌ، والمَجَـرُّ نِجـادُ[1]
وفـي مُصطَلـى الآفـاقِ جَمرُ كـواكـبٍ، عَـلاهـا، مـنَ الفجـرِ المُطـلِّ، رَمـادُ
ولمَّا تفرّى، من دُجى الليل، طِحلبٌ، وأعـرضَ، مـن مـاءِ الصَّبـاحِ، ثِمـادُ[2]
حنَنـتُ، وقـد نـاحَ الحَمـامُ صبـابـةً، وشُـقَّ، مـن الليـلِ البَهيـمِ، حِـدادُ
علـى حِيـنَ شَطَّـت، بـالحبائـب، نيّةٌ، وحـالـت فَيـافٍ، بَيننـا، وبِـلادُ[3]
عشِيَّـةَ، ولا مِثـلَ الجَـوادِ ذخيـرةٌ؛ ولا مِثـلَ رَقـراقِ الحـديـدِ عَتـادُ[4]
إذا زارَ خَطْـبٌ خفَّـرتنـي ثَـلاثـةٌ: سنـانٌ، وعضـبٌ صـارمٌ، وجـوادُ[5]
فبِـتُّ ولا غَيـرَ الحُسـامِ مُضـاجِـعٌ؛ ولا غَيـرَ ظَهـرِ الأعـوَجـيّ مِهـادُ[6]
معـانـقَ خِـلٍّ لا يُخِـلُّ، وإنمـا مَكـانُ ذِراعَيـهِ علـيَّ نِجـادُ[7]

(٦٨)

يجدّ بي هواهُ

يصف خال المحبوب في صحن الخدّ. . .

رأيـتُ بخـالِـه، فـي صَحـن خـدِّه، فـؤادَ مُحبِّـه فـي نـارِ صَـدِّهْ[8]
فخِفـتُ، وقَصْـرُ نفسـي لثْـمُ فِيـه، فـأعطـانيـه مِيثـاقـاً بـوُدِّهْ[9]
ومـرَّ يجُـدُّ بـي فيـه هَـواه، وقـد لَعِـبَ الصَّبا بقضِيـبِ قـدِّهْ[10]

---

(١) شبه الصباح: بالسيف القاطع للمعان ضوئه ـ النجاد: حمالة السيف.
(٢) تفرّى: انبثق ـ الثماد: الماء القليل.
(٣) شطت: نأت ـ فياف: جمع فيفاء، المفازة.
(٤) الذخيرة: العدّة المهيّأة أو المحفوظة لوقت الحاجة ـ رقراق الحديد: جوهر السيف.
(٥) خفر: حفظ وحرس ـ السنان: الرمح ـ العضب: السيف القاطع ـ الجواد: الحصان.
(٦) الأعوجيّ: الجواد الأصيل ـ المهاد: السرير.
(٧) الخلّ: الصاحب ـ لا يخلّ: أي لا يغدر لأنه وفي ـ النجاد: حمالة السيف.
(٨) الصدّ: الجفاء، القطيعة والهجر.
(٩) لثم: تقبيل ـ فيه: فمه، ثغره ـ يقول: أعطاه ثغره يقبله عربوناً للمحبّة.
(١٠) القدّ: القامة، وقوله: قضيب قدّه من باب تمثيل القامة المديدة بالغصن.

(٦٩)

نار النّدى

ومَـوقِـدِ نـارٍ طـابَ، حتـى كـأنَّمـا يشبُّ النّدى فيه، لساري الدُّجى، نَدًّا[١]

فـأطلـعَ، مـن داجِـي دُخـانٍ، بنَفْسجـاً جَنِيّـاً، ومِـن قـانـي شُـواظٍ لـه وَردا[٢]

وضـاحـكَ غُـرّاً مـن وجـوهٍ وضِيئـةٍ، فلـم أدرِ أيّ كـان أذكـاهُمـا وَقْـدا

إذا بسَطَـت كـفُّ الهِيـاجِ، إلـى العِـدى، أَناملَ سُمْرِ الخَطِّ، كانوا لها زَنْدا[٣]

فظلَّـت، وكـلّ فـي مَضـاءِ حُسـامِـه، فـؤاداً، وفـي إشـرافِ خَطِّيـه، قَـدَّاً

أرى خيـرَ نـارٍ، حَـولَهـا خيـرُ فِتيـةٍ، أَنافَت لهم جِيداً، وحَفُّوا بها عِقدا[٤]

إذا الـرِّيـحُ هَبَّـتِ، مِـن سَـوادِ دُخـانِهـا، عِذاراً، ومن مُحمَرِّ جاحِمِها، خدًّا[٥]

أثـارَت قَتـامـاً يَمـلأ العيـنَ أَكهَبـاً، وجالت جواداً، في عِنانِ الصَّبا، وَردا[٦]

رأَيـتُ جُفـونَ الـريـحِ، والليـلُ إثمِـدٌ، تُقلِّب، من حُمر الجُذى، أَعيناً رُمدا[٧]

وبـالجمـرِ، مـن أَكنـافِهـا، مَسَّ رِعـدةٍ، تَئِنُّ، وحامي الجَمرِ عن حَرِّه، بَردا[٨]

(٧٠)

كأنَّه كوكبُ

وأسْمــــرٍ، يَلحَــــظُ عَــــن أزرقٍ، كــأنَّــه كــوكــبُ رَجــمٍ وقــدْ[٩]

---

(١) **النّدى**: الكرم ـ **الندّ**: عرق البخور.

(٢) **الشواظ القاني**: اللهب الأحمر، الجمر.

(٣) **سمر الخطّ**: الرماح ـ **الزّند**: ما تورى به النار.

(٤) **أنافت الجيد**: رفعته، **والجيد**: العنق.

(٥) **العذار**: جانب الوجه.

(٦) **القتام**: السواد الحالك ـ **الأكهب**: ذو اللون الأغبر.

(٧) **الاثمد**: الكحل، **وقوله**: الليل إثمد تشبيه مثّل به ظلمة الليل بسواد الكحل ـ **الجذى**: جمع جذوة، النار المشتعلة.

(٨) **الأكناف**: الجوانب، جمع كنف ـ يصف ما تحدث النار من رعدة في الجمر المتوقد الذي يرسل صوتاً كالأنين وكأن جمره الحار يرسل برداً.

(٩) **الأسمر**: الرمح ـ **الأزرق**: رأس الرمح، سنانه ـ شبّه رأس الرمح لامعاً برجوم الكواكب=

يعتمـــدُ العيـــنَ اعتمـــادَ الكـــرى؛ ويَنتحـــي القلـــبَ انتحـــاء الكَمَـــدْ[1]
حيـثُ الـوَغـى بحـرٌ، وبِيـضُ الظُّبـى مَوج، وخُرصـانُ العـوالـي زبَـدْ[2]
يضحَـكُ مـن بِيـضِ حَبـابٍ طَفـا فيـه، ومِـن دِرعِ غَـديـرٍ جَمَـدْ[3]

(٧١)

مِدادُ العِذار

وافَـى لنـا، ولَـه صَحيفَـةُ صفحـةٍ، جَعَـلَ العِـذارُ بهـا يسِيـلُ مـدادا[4]
متَجَهِّمـاً ثَكِـلَ الشَّبـابَ، كـأنَّمـا نَشَـرَ العِـذارُ علـى الشَّبـابِ حِـدادا[5]

(٧٢)

وجهٌ أنار قمراً

وأغـرَّ ضـاحَـكَ وجهُـهُ مِصباحَـه، فـأنـارَ ذا قمـراً، وذلـك فَـرقَـدا[6]
مـا إن خَبـا تِلقـاءَ نُـورِ جَبينِـه، حتـى ذَكـا بـذكـائِـه، فتَـوقَّـدا[7]

(٧٣)

أوفَتْ على نَهْرٍ

يصف سرحةً مشرفة على نهر.

وسَـرحَـةٍ خـاضَ مِنهـا ظلُّهـا نهـراً، اوفَـت عليـه، فلـم تَنقُـص ولـم تَـزِدِ[8]

= المتوقدة الساقطة من السماء.

(١) **الكرى**: النوم ـ **يتنحي**: يتجه إلى ناحية ـ **الكمد**: الحزن الشديد.

(٢) **الظُبى**: السيوف ـ **الخرصان**: الرماح.

(٣) **الحباب**: ما يطفو على وجه الماء من فقاقيع الزبد ـ **طفا فيه**: عام.

(٤) **الصفحة**: كناية عن الخد ـ **العذار**: جانب الوجه. **المداد**: الحبر.

(٥) **متجهّماً**: عابساً ـ **الحداد**: ثياب المآتم السود.

(٦) **الأغرّ**: الأبيض أو ذو الغرّة البيضاء ـ **الفرقد**: الكوكب ـ افتن في وصف وجه المحبوب فتمثله قمراً وشبّه المصباح بالكوكب.

(٧) **خبا النور**: انطفأ ـ **ذكا يذكو**: اشتدّ توقّده.

(٨) **السرحة**: الشجرة العظيمة ـ **أوفت على النهر**: أشرفت عليه.

كما تـدانَيـتَ، مـن ثَغـرٍ، لمُـرتشَـفٍ ثـم انثنَيـتَ، فلـم تصـدُر ولـم تَـرِدِ[1]

كـأنَّ افنـانهـا، طيبـاً، حِمـى مَلِـكٍ أغضى وأَعطى، فلم يوعِد ولم يَعِدِ[2]

(٧٤)

كدْتُ أشربُ خَدّه

يصف مفاتنَ السّاقي الذي تمايس منه القدّة واحمّر بلهب السكر خدّه

وأَهيـــــفٍ قـــــامَ يَسقـــــي، والسُّكـــــرُ يَعطِـــــفُ قَـــــدَّه[3]

وقـــد تَـــرنَّـــحَ غُصنـــاً، واحمـــرَّتِ الكـــأْسُ وَردَه[4]

وأَلهَـــبَ السُّكـــرُ خـــدّاً، أورى بـــه الـــوَجـــدُ زَنـــدَه[5]

فكـــادَ يشـــربُ نَفســـي، وكـــدْتُ أشـــرَبُ خَـــدَّه

(٧٥)

صِلْني بِرُمّانة

صِلنـي، لـكَ الخَيـرُ، بـرُمّـانـةٍ، لـم تَنتَقِـل عـن كَـرَمِ العهـدِ

لا عِنَبـاً، أَمتـصُّ عُنقُـودَه، ثَـدْيـاً، كـأنـي، بعـدُ، فـي المهـدِ

وهَـل يـرى، بينَهمـا، نِسبـةً، مَـن عَـدَلَ الخِصيـةَ بـالنهـدِ؟

(٧٦)

أُغازِلُ مِنْه الغُصْن

يصف مجلساً من مجالس السمر توزع فيه بين الحديث والغزل

وليـلِ تَعـاطَينـا المُـدامَ، وبينَنـا حديثٌ، كما هَبَّ النسيمُ على الـوردِ

---

(١) **تداني**: اقترب ـ **انثنى**: تراجع.

(٢) **الأفنان**: الأغصان ـ **يوعد**: يتوعدّ، يتهدّد.

(٣) **الأهيف**: الضامر الخصر.

(٤) **ترنّح**: تمايل من نشوة السكر ـ **الورد**: أراد به خده الأحمر.

(٥) **أورى**: أضرم، أشعل ناراً ـ **الوجد**: الحبّ.

نُعـاوِدُه، والكـاسُ يَعبَـقُ نَفحـةً، وأَطيَـبُ منـه مـا نُعِيـدُ ومـا نُبـدي

ونَقلي أَقاحُ الثغرِ، أو سُوسَن الطُّلى، ونَـرجِسـةُ الأجفـانِ، أو وَردةُ الخـدِّ[(١)]

إلى أن سرَت في جسمه الكاس والكرى وما لا بعِطفَيه، فمالَ على عَضْدي[(٢)]

فـأقبَلَـتُ اسْتَهـدي، لمـا بيـن أضلُعـي مـن الحرِّ، مـا بيـنَ الضُّلـوعِ مـن البَـردِ

وعـاينتُـه قـد سُـلَّ مـن وشـي بُـردِهِ، فعـايَنـتُ منـه السَّيـفَ سُـلَّ مـن الغِمـدِ

ليَـانُ مَجَـسٍّ، واستقـامـةُ قـامـة، وهَـزَّةُ أعطـافٍ، ورونـقُ إفـرِنـدِ

أُغـازلُ منـه الغُصـنَ فـي مَغـرس النَّقـا، وألْثُـمُ وجـه الشمـس فـي مَطلـعِ السَّعـدِ

فـإن لـم يَكُنْهـا أو تكُنْـهُ، فـإنَّـه أخُوها، كما قُدَّ الشِّراكُ منَ الجِلدِ[(٣)]

تُسـافِـرُ كِلتـا راحَتـيّ بجِسمـه، فطـوراً إلـى خَصـرٍ، وطَـوراً إلـى نَهـدِ

فتَهبِـطُ، مـن كَشْحَيـه، كفِّـي تَهـامـةً، وتَصعَدُ، من نَهدَيه أُخرى، إلى نَجدِ[(٤)]

(٧٧)

بكى جَفْني

اقـضِ علـى خِلِّـك، أو سـاعـدِ، عِشـتَ بجَـدٍّ، فـي العُلـى، صـاعـدِ[(٥)]

فقَـد بكـى جَفنـي دمـاً سـائـلاً، حتـى لقَـد سـاعَـده سـاعِـدي[(٦)]

(٧٨)

مِنْ كَفِّه

حيَّـا بهـا، ونسِيمُهـا كنسِيمِـه، فشـرِبتُهـا، مـن كفِّـهِ، فـي وُدِّه

---

(١) النّقل: كل ما يتنقل به على الشراب من فاكهة أو فستق ونحوه والجمع نقول ونقولات.

(٢) سرت في جسمه: دبّت ـ الكرى: النوم أو النّعاس مال على عضدي: أي نام على ساعدي.

(٣) قدّ: قطع ـ الشراك: سير النّعل.

(٤) الكشحان: مثنى الكشح، الخصر ـ تهامة: واد منخفض، وكل مكان منخفض ـ نجد: هضبة عالية مرتفعة وهي كناية عن كل مكان مرتفع.

(٥) الجَدّ: (بفتح الجيم): الحظ، والجدّ الصاعد: الآخذ بالأزدياد.

(٦) ساعده ساعدي: جاش بين الساعد وهو الذراع وفعل ساعد والمعنى أنه راح يمسح دموعه فكأنه زاد في انصباب دمعه.

مُنساغَةً، فكأنّها من رِيقهِ؛ محمرَّةً، فكأنَّها مِن خَدِّه[1]

(٧٩)

أَهْوَتْ تَخُرُّ

ألا طَمَّ بَحرُ أَتِيٍّ طَما، وأجرى كفَّي سَماءٍ تَجودْ[2]

فأهوَت تخُرُّ، هناك، البُنى، كما تَتَلقَّى المُلوكُ الوفودْ[3]

وباتَت كأنَّ، عليها، صَلاةً، فَبَعْضٌ ركوعٌ، وبعضٌ سُجودْ

(٨٠)

عَلى نَهْجِ

ومخطوطِ السَّوادِ، كأنَّ دمعاً جَرى، ودماً، هناك، على حِدادِ[4]

إذا التَبَسَتْ وجوهُ الحكمِ، يوماً، قضى، فمضى على نَهجِ السَّدادِ[5]

فأيُّ بياضِ نُعمى، ليس يُعزى لمشتمِلٍ بِسربالِ السَّوادِ[6]

تَلوَّى، فالتمحتُ به ضميراً دخِيلَ السِّرِّ، ممذوقَ الوِدادِ[7]

يُجيبُ، وما سألتُ له مجيباً، فيا عجَباً لإفصاحِ الجَمادِ!..[8]

---

(١) **المنساغة**: صفة الخمرة التي استسيغت فسهل رشفها ـ شبه طيب الخمرة بريق المحبوب، وحمرتها من لون خدّه، وعلّل سهولة تناولها بهذا الضرب من التمثيل.

(٢) **الأتيّ**: السيل.

(٣) **تخرّ**: تنحنى ـ شبه سقوط البنى بفعل السيل بانحناء الوفود أمام الملوك ـ المحك: حجر يحكّ به للاختبار والانتقاد.

(٤) ورى بهذا البيت عن تداخل سواد لونه بحمرته.

(٥) **نهج السدّاد**: طريق الصواب.

(٦) **يعزى**: ينسب ـ السربال: اللباس.

(٧) **ممذوق الوداد**: غير خالص الود.

(٨) **الإفصاح**: البيان.

(٨١)

قُلْ لذاتِ الخَالِ

قال مخاطباً ذات الخال

ألا قُـل، لـذاتِ الخـالِ. عنّـيَ، إنّـي   لأرغـبُ عـن خـالٍ تطلَّـعَ فـي خـدِّ[١]

وزهَّـدنـي، فـي ذلـك الخـالِ، نسبـةٌ،   أَراهـا بخـالِ الخَـدِّ مـن جُعَـلِ الـوَردِ[٢]

(٨٢)

مكانَتي أبعدُ

قال ابن خفاجة معتدّاً بمناقبه وقيمه ومضاء عزيمته

أنّـي تُطـاوِلُنـي، ودونـي بَسطَتـا   جـدٌّ يسـاعـدنـي، وجَـدٌّ يُسعِـد؟[٣]

هـا قـد حلَلـتُ، وللتقَلقُـلِ غـايـةٌ،   في حيثُ يُشرقُ، ثـمَّ يُشرفُ مَقْعَدُ[٤]

طُلـتُ السَّمـاءَ، فهـل سَمِعـتَ بحيلـةٍ   تـرقَـى بهـا نحـوَ السمـاءِ، وتَصعَـدُ؟

إلـزَمْ ثَـراكَ، وغُـضَّ طَـرفَـك ذلَّـةً،   فمَكـانَتـي أَنـأى عليـك، وأَبعَـدُ

ولئـن طَـربـتُ، وقْـد عَـرَتنـيَ وَعكـةٌ،   فـالليّـثُ يَبـرُدُ، والمهنَّـدُ يُـرعَـدُ

(٨٣)

أين الوجع؟

أخبره شاعر صديق أنه استماح بخيلاً بعض عطائه فأناله القليل واعتذر إليه من رمحة فرس أصابته، فقال:

مـإن درى ذاك الـذَّميـمُ، وقـد شكـا   مـن نَيـلِ مُمْتَـدِحٍ، ورَمـحِ جَـوادِ[٥]

هـل يشتكِـي وجعَـاً بـه فـي سُـرَّةٍ،   بـالسيـن، أم فـي صُـرَّةٍ، بـالصَّـادِ[٦]

---

(١) رغب عن الشيء: زهد فيه، لم يرده، كرهه.

(٢) الجعل: دويبة من ضروب الخنافس، كريهة الرائحة.

(٣) تطاولني: تحاول السموّ إلى منزلتي، تتحدّاني ـ الجَدّ: الحظ.

(٤) حللت حيث: نزلت وأقمت.

(٥) الذّميم: المذموم، غير المحمود ـ الرّمح: من رمحته الدّابة أي ركلته ورفسته.

(٦) السرّة: وسط البطن ـ الصرّة: أي صرّة المال ـ يسخر الشاعر من حجّة البخيل واعتذاره لأنه أعطى القليل.

(٨٤)

كِلاهما سَديدُ

وصف أخوين مختلفي الخَلْق أصيلي المنبت فقال:

طرُقُ الرِّجالِ، إلى المعالي، جَمَّةٌ، شَتَّى، فَدانٍ قاصدٌ، وبَعِيدُ[١]

وابناك إن لم يَمْثُلا في خِلْقةٍ، فكلاهما في ما يروم سَديدُ

كرَماً، فهذا، في مَفارقِ عصرهِ، تاجٌ، وذاك، بصَفْحَتيهِ، فريدُ

كالرُّمحِ، والقَلَمِ القصيرِ لنسبةٍ، وكلاهما في ما ينوبُ حَميدُ[٢]

(٨٥)

هَضْبَة عِصْمَة

هذه القصيدة من مدائحه قالها مطرياً صديقه الفقيه أبا أمية.

لا ماءَ، إلاَّ فوقَ نَصلٍ يُجرَّدُ، ولا ظِلَّ، إلاَّ تحتَ رُمحٍ يُسدَّدُ[٣]

ولا غيمَ، إلاَّ قَسطلٌ، ثار، أَقتَمٌ، ولا برقَ، إلاَّ أشقرٌ، جالَ، أَجرَدُ[٤]

ولا سَيرَ، إلاَّ فوقَ ظَهرِ تَنوفَةٍ، يُراعُ سَرابُ القاعِ فيها، فيُرعَدُ[٥]

وخَرقٍ سحيقٍ، يملأُ الصَّدرَ وَحشةً، يرَجعِ صهيلَ الطِّرفِ فيه، ويُوقِدُ

طِلاباً لأمرٍ يَركَعُ الرمحُ عِنَده، طَويلاً، ويَهوي المَشرَفيُّ، فيَسجُدُ

وحَوماً على ماءٍ تَدانى به المُنى، وينأى به المَسرى، فيَدنو ويَبعُدُ

طويتُ به، تحت الضُّلوع، سريرةً، سيُفصِحُ عنها السيفُ، وهو مُجرَّدُ

---

(١) جمّة: كثيرة ـ الداني: القريب.
(٢) ما ينوب: ما يعود إليه من الأصالة والمنبت الكريم.
(٣) في قوله: ألا ماء، أراد بالماء جوهر السيف.
(٤) القسطل: الغبار الساطع في الحرب.
(٥) التنوفة: البريّة الخالية من الإنسان والماء.

وقد فلَّه طولُ الجِلادِ، كأنَّما … يُضاحِكُ منه، مَفرِقَ الفَرقِ، أدرَدُ[1]

وطولُ اعتناقِ المجدِ كلَّ ثَنيَّةٍ، … تُمَدُّ إلى لَمسِ السماءِ بها يَدُ

عليها وِشاحٌ للعقيقةِ مُذهَبٌ، … يَجولُ، وبُردٌ للغَمامةِ أربَدُ[2]

وأخضرَ عَجّاجٍ تُدرِّجُه الصِّبا، … فتُتهِمُ فيه العينُ، طَوراً، وتُنجِدُ[3]

كأنَّ فؤاداً، بينَ جَنبيه، راجفاً، … يقومُ به نأيُ الحبيبِ، ويقعُدُ

سأركبُ منه ظهرَ أدهمَ رَيِّضٍ، … مَروعٍ، بسَوطِ الرِّيحِ، يَرتدُّ يُزبِدُ[4]

وأمضي، فإمَّا بيتُ نفسٍ كريمةٍ … يُهَدُّ، وإمَّا بيتُ عِزٍّ يُشَيَّدُ

وإن غضَّ يوماً دونه، طَرفُ حاسدٍ، … فإنَّهما شمسٌ تُنيرُ، وأرمَدُ

فلا يَغترِرْ بالحِلمِ قومٌ، فربَّما … تصدَّعَ، عن سقطٍ من النار، جَلمَدُ[5]

ولا يَكفُروا نُعمى الغَمامِ، فربَّما … تَدلَّت عليهم صَعقةٌ تَتوقَّدُ

فقَصرُ أَناةِ الحِلمِ عَضَّةُ سَطوةٍ، … تُقيمُ صَغا تلك القَنا، وتُسوِّدُ[6]

وإن عصَفَت يوماً بهم ريحُ زَجرةٍ، … ولفَّهُم خَطبٌ، تَقعقَعَ، مُرعِدُ

فإنَّ، لإبراهيمَ، فَيأةَ رأفةٍ، … تَعودُ بعَطفِ الحِلمِ، والعَودُ أحمدُ[7]

وما ابنُ عِصامٍ غيرَ هَضبةِ عِصمةٍ … تُجيرُ، وسُقيا رَحمةٍ تَتجدَّدُ

يسيرُ به، في الحقِّ، رأيٌ مُسدَّدٌ … على منهَجِ التَّقوى، وعَزمٌ مُؤيَّدُ[8]

---

(١) **الجلاد**: القتال ـ **الأدرد**: الذي لا أسنان له، والمقصود السيف الذي تثلّم من مقارعة الأعداء في الحرب.

(٢) **العقيقة**: النهر، ومسيل الماء ـ **البرد**: الثوب ـ **الأربد**: ذو الرّبدة، والرّبدة: الغبرة.

(٣) **الأخضر العجاج**: البحر والمقصود هنا نهر العقيقة الذي ذكره ـ **الصّبا**: الريح وقوله تدرجه **الصّبا**: تشكل فيه ريح الصبا درجاً ـ **تتهم العين**: تنظر إلى أسفله، وتنجد: تنظر إلى أعاليه.

(٤) **سأركب**.. الخ يقول إنه وهو يعلو هذا النهر كأنه يمتطي ظهر فرس أسود اللون في اخضرار ووصف هذا الفرس بالرّيض وأنه سهل الانقياد.

(٥) **سقط النّار**: ما يتساقط من شررها ـ **الجلمد**: الصخر.

(٦) **الصغا**: الميل ـ القنا: الرمح.

(٧) **الفيأة**: الأوبة، الرجعة.

(٨) الرأي المسدّد: القويم، السديد ـ **المنهج**: الطريق.

فما تُرعَدُ الأسيافُ، إلا مَهابةً / لمُؤتمرٍ في اللهِ، يَنهى ويَنْهَدُ[1]

ولا تُكسَفُ الأفكارُ، إلا حَسادةً / لمُضطَلِعٍ بالمجدِ، يَسعى، فيَسعَدُ

ويُذكي، وراءَ اللَّيلِ، عيناً حديدةً، / يَنامُ بها الدِّينُ احتراساً، ويسهَدُ

ويَحلُمُ، ولا عن ذِلَّةٍ، ولَربَّما / سطا أَسدٌ منه، وأَطرقَ أَسودُ[2]

أَمَا وسِراطٍ بين عينيه للهُدى / لقد شادَ أَركانَ الهُدى منه سيِّدُ

وأَلَّفَ، أَشتاتَ الفَضائلِ، أَروعٌ، / وقامَ، بأعباءِ المَكارم، أَيِّدُ

ودارَ به، في مُقلةِ المَجدِ، ناظرٌ، / وأَشرَقَ، في حَلْيِ المَساعي، مُقَلَّدُ

وسارَ مسيرَ النَّجمِ هَدياً ورفعةً، / فغارَ به رَأيٌ، وأَنجدَ سُوددُ[3]

فطابقَ منه، منظراً راقَ، مَخبرٌ، / وظاهرَ فيه، مَولداً طابَ، مَحتدُ

وحسبكَ مِن لفظٍ وخطٍّ، قِلادةٌ، / تُفَضَّلُ لِلْعَليا، وَوشيٌ مُعمَّدُ[4]

فللّهِ طِرسٌ، كلَّما أَسوَدَّ أسطراً / تألَّقَ لفظاً، فهوَ أَبيضُ أَسودُ

ونَدبٌ لبيبٌ يمشُقُ الطعنَ كاتباً، / ويَكفِيه أُنبوبٌ، منَ الرمحِ، أَملَدُ

يُسوِّدُ أَطرافَ اليَراعِ، وإنَّما / يُحمِّرُ سُمرَ الخَطِّ، حينَ يُسوِّدُ

تبرَّعَ، لم يلجأ إلى الوعدِ صَمتُهُ، / وعاقَبَ، لم يُقعِده ضعفٌ، فيُوعِدُ[5]

له شِيمةٌ تَندى فتَشفِي منَ الصَّدى، / وتَنقَعُ أَحشاءَ الهجيرِ، فيَبرُدُ

تمُدُّ عليك، الظِّلَّ، سَرحةُ أَبطحٍ / بها، ويغنِّيكَ الحَمامُ المُغرِّدُ

فمِن نورِ رأيٍ، لو تَراءَى لناظرٍ / لَلاحَ بهِ، تحتَ الدُّجُنَّةِ، فَرقَدُ

ومن حُرِّ نُبلٍ، قد أَفاضتهُ همَّةٌ، / فساحَ به، في سَفحِ ثَهلانَ، موردُ[6]

---

(١) **ينهد**: يقوم وينهض.

(٢) **الأسود**: الذكر من الأفاعي.

(٣) **سودد**: مخفّف سؤدد بالترخيم، والسؤدد: المجد.

(٤) **المعمدّ**: المشيد على العمد.

(٥) **يوعد**: يتهدّد.

(٦) **ثهلان**: جبل معروف في أرض العرب.

وقـولٍ لـه، فـي مقعَـدِ الحِلـمِ، حِكمـةٌ ... يَحُـلُّ بهـا، فـي اللهِ طـوراً، ويَعقُـدُ
وحكـمٍ لـه، دون الـدِّيـانـةِ، سَـورةٌ، ... تُقيـمُ علـى جَمـرِ العِقـابِ، وتَقعُـدُ
وما السَّيفُ، لولا الخوفُ، إلا حديدةٌ، ... ولا الـرمـحُ إلا خُـوطَـةٌ تتـأوَّدُ
فيا عارِضاً يَطوي السُّرى طَيَّ رَهبَةٍ، ... فَيسـلُّ سيـفَ البـرقِ، طـوراً، ويُغمِـدُ
ويَسحبُ أَذيـالَ الـرَّبـابِ على الرُّبى، ... فيلقَـطُ مـن دُرِّ النَّـدى مـا يُبـدَّدُ[1]
تحمّـلْ إلـى قـاضـي القُضـاةِ تَحِيَّـةً، ... تَبيـتُ بمَلقـى رَحلـه تَتـردَّدُ
تَضُوعُ، كما فاحَت معَ الفَجرِ روضةٌ، ... وطابَ، بريحِ المَندَلِ الرَّطبِ مَوقِدُ[2]
وتُهـوِي إلـى لَثْـمِ البِسـاطِ، وإنمـا ... تُصلِّـي إلـى رُكـنِ المَعـالـي، فتسجُـدُ

(١) الربّاب: السحاب الأبيض ـ يبدَّد: المجهول من بدّد (الشيء): فرّقه، جعله يتلاشى.
(٢) تضوع: تعبق رائحتها ـ المندل: العود الطيّب الرائحة.



قافية الرّاء

(٨٦)
دعَوْتُ كبارا

قالها ممتدحاً صاحب قرطبة أبا الحسن بن الربيع مشيداً بمآثره.

ماذا عليكَ، وقد نأيتَ دِيارا، ... لو طافَ بي ذاك الخَيالُ فزارا؟

ونظمتُ من قُبَلٍ، بصَفحةِ جِيدِه، ... عِقداً، وقد لَبِسَ العِناقَ شِعارا

فِيمَ التعلُّلُ في هواكَ، وقد طوى، ... منّي الضَّنى وبك النَّوى، أسرارا؟

ولربَّما مَنَّ النسيمُ بنفحةٍ، ... تَندَى، على كبِدٍ، تذوبُ أُوارا[1]

وسألتُ فيك الليلَ عنِ سنَةِ الكَرى، ... حتى أجابَني الصَّباحُ سِرارا

وسَحبتُ أردانَ الظَّلامِ على السُّرى ... طُولاً، ومزَّقتُ الذُّيولَ عِثارا

ووطِئتُ، دونَ الظَّبيِ، غابةَ ضيغَمٍ، ... غيرانَ، أنجدَ، في الوعيدِ، وغارا[2]

أذكى الدُّجى، عن نظرةٍ، ناراً، كما ... هزَّ الفَلا، عن زأرةٍ، أقطارا

فصَممتُ عنه، وقد سمِعتُ حمامةً، ... فاغرَورقَت عيني لها استِعبارا

هزَّت كهزّي نَصلَ سيفي لَوعةً، ... فرَفَقْتُ حاشيةً، ورقَّ غِرارا[3]

---

(١) الأوار: الحرّ، العطش.

(٢) الضيغم: الأسد.

(٣) الغرار: حدّ السيف.

ومــلأتْ جَفنِــي عبــرةً، ولــربَّمــا أبكيتُـــه، فجـــرى دمـــاً مَـــوَّارا

وصَبَـــا إليهـــا أسمـــرٌ أعـــديتُــه، فلَـــوى معـــاطفَــه لهـــا تَخطـــارا[1]

وإذا رقَـــى ورقـــاءَ، تحسِـــبُ مُقلـــةً زرقـــاءَ، لـــم تُطبِـــق لهـــا أشفـــارا

ومشـــى يتيــهُ بهـــا، اختيـــالاً، أجـردٌ، فـي شُقـرةٍ، لـو سـالَ سـالَ نُضـارا[2]

تسترقـصُ الأعطـافَ، مـن طربٍ بـه، شِيَـةٌ تـدورُ، علـى العيـونِ، عُقـارا

لـو كنـتَ شـاهدَهُ، وقـد مـلأ الفَضـا ركضـاً، وسـدَّ علـى الكَمـيِّ قِفـارا[3]

لرأيتَ، في ما قد رأيتَ، وقد بدا، نـــاراً تكـــونُ، إذا جـــرى، إعصـــارا

أَستعطـــفُ الأسمـــاءَ إطـــراءً لـــه، فـــي صـــورةٍ تستعطِـــفُ الأبصـــارا

وغَمـــامـــةٍ نَشـــرتْ جَنـــاحَ حَمـــامـــةٍ؛ والبـــرقُ قـــد نسَـــجَ الظَّـــلامَ نهـــارا

متألّقٌ، صدع الدُّجى، وسقَى الثَّرى، فـــابيـــضَّ ذا نُـــوراً وذا أنـــوارا

فـي أجـرعٍ خلَـفَ الـربيـعُ بـه ابنَـه، كـرَمـاً، فـأخصـبَ رَبـوةً، وقَـرارا[4]

هفـتِ الصَّبـا منـه بمسـرى دِيمـةٍ، هَطـلاءَ، قـرَّ بهـا العَجـاجُ وَقـارا

وكفَـتْ، فسـالَـت فِضَّـةً، ولـربَّمـا طَبَعَـــتْ بكـــلِّ قَـــرارةٍ دِينـــارا

نثَلـت بـه زُرْقُ النِّطـافِ سَـوابغـاً زُرقـــاً، وجـــرَّدتِ الشِّعـــابُ شِفـــارا

فكـأنَّمـا فُلَّـتْ، هنـاك، كتيبـةٌ، فـرمَـت بـه عنهـا السِّـلاحَ فِـرارا

أرضٌ هبَطـتُ بهـا سمـاءً طَلقـةً، وخبَطـتُ، مـن سَـدَفٍ بهـا، أنـوارا[5]

عـاطيتُ ذِكَـر أبـي الحُسين بهـا السُّرى ريحـــانـــةً، يشتمُّهـــا مِعطـــارا

وسُـلافـةً خفَّـت بنـا طـربـاً لهـا، واستـــرقصَـــتْ مـــن فِتيـــةٍ ومَهـــارى

عبِثـت بهـا سِنَـةُ الكَـرى، فتمـايَـدَت، فـــي مُلتقـــى أسحـــارِهـــا، أشجـــارا

---

(١) **التخطار**: التبختر، بباعث الاعجاب والزهو.

(٢) **يتيه**: يزهو ـ **النضار**: الذهب.

(٣) **الكميّ**: الشجاع، لابس السلاح.

(٤) **ابن الربيع**: كناية عن المطر ـ **الربوة**: الأكمة الخضراء.

(٥) **السدف**: الظلمة.

ولـربَّمـا سـالـت أبـاطِحُهـا بِهـا، فــي مُنتحــى أنهــارِهــا، أنهــارا
أأبـا الحسيـنِ، ومـا دعـوتُ مُصغَّـراً بـأبـي الحسيـن، وقـد دعَـوتُ كُبـارا
أعـزِز علـيَّ، وقـد حَللـتَ عَـلاقـةً، بيـن الجَـوانـح، أن شَحْطـتَ جِـوارا[1]
وشـرقـتُ فيـك بعَبـرةٍ مشبـوبـةٍ، كـالبـرقِ يقـدَحُ، فـي الغَمـامـة، نـارا
وعُـلاكَ، لـو سمـحَ الـزمـانُ بليلـةٍ منــه، لظَــلَّ بصَفْحَتَيْــه عِــذارا
تَثنــي معــاطفَهــا اهتــزازَ بشــاشــةٍ تَتـرى، وخـفَّ بهـا السـرورُ وَقـارا[2]
فـاستهجَنَـت حمـلَ الثُّـريّـا تُـومـةً، واستصغَـرت لُبـسَ الهِـلال سِـوارا[3]
وعسى الـزمـانُ، وإن عَسـا فـي حـالـةٍ، يحنــو، فيــدنُــو بــالــوزيــرِ مَـزارا
فمـن المُنـى، وهـو الغـزالـةُ سنّـةً، لــو أَننــي كنــتُ الهِـلالَ سِـرارا[4]
طُلـتَ المـدائـحَ طَـولَ أَروعَ مـاجِـدٍ، فلبستَهــا حُلــلاً، عليــك، قِصــارا
وكفـاك أنّـك مـن بُـدورِ معـاشـرٍ، طلَعــوا، لأوَلِ ليلَــةٍ أَقمــارا
ولئـن عـدَتني عنـك كـلُّ تَنـوفـةٍ، يهفُـو لهـا قلـبُ السَّـرابِ حِـذارا[5]
فلـربَّمـا طـرَقَـتْ، جَنـابـي، فِتيـةٌ، كَـرُمُـوا جِـواراً، فـي العُـلا، ونِجـارا[6]
نُجبـاءُ، تخفِـقُ فـي ظُهـورِ نجـائـبٍ، مــا إن نضَــلُّ، وقــد مَثلْــنَ منــارا
صدَعتْ بهم، سُجفَ الظَّلامِ، أَجادلٌ، لَــزِمَــتْ بهــم أكــوارَهــا أَوكــارا[7]
فسَـرَت إلـيَّ مـعَ الـرِّكـابِ، تحيَّـةٌ، عقـدَت علـيَّ، لهـا، العُلـى، أَزرارا

---

(١) **شحطت جواداً**: نأيت وابتعدت.
(٢) **تثني معاطفها**: تميس وتزهو متمايلة.
(٣) **استهجن (هُ)**: استقبحه ـ **التومة**: جمع تُوَم وتُوْم القرط أو حبّة من فضّة شبه الدرّة، والتومة أيضاً الخزام الذي يوضع في الأنف.
(٤) **الغزالة**: الشمس ـ **سنّة**: طلعة ـ **السرار**: الليلة الأخيرة من الشهر القمري، وفي هذه الليلة لا يظهر القمر.
(٥) **التنوفة**: المفازة.
(٦) **النجار**: الأصل والحسب.
(٧) **السجف**: الحجب، الستائر ـ **الأجادل**: الصقور، جمع الأجدل.

هَـــزَّازَةٌ نـــاءت بعِطفَـــيْ عِـــزَّةٍ، حتـى جَـرَرتُ، علـى المَجـرِّ، إزارا[1]
هـدرَت جنـايـةُ صـرفِ دهـرٍ جـائـرٍ، نَفـضَ المشيـبَ، بعـارضـيَّ، غُبـارا
فـإذا حَنـوتُ، فـلا سلـوتُ، فـإنَّمـا أَنـتَ القـريـبُ وإن شَحطـتَ دِيـارا

(٨٧)

مَنْصورُ اللّواء

من قصائده في مدح نجل أمير المؤمنين القائد أبي الطاهر تميم:

أَمـا والتفـاتِ الـرَّوضِ عـن أزرقِ النَّهـرِ، وإشـراقِ جِيـدِ الغُصـن فـي حِلَيـةِ الزَّهـرِ
وقـد نَسَمَـت رِيـحُ النُّعـامـى، فنَبَّهَـتْ عيونَ النَّدامى، تحتَ رَيحانةِ الفَجرِ[2]
وخِـدرِ فتـاةٍ قـد طَـرَقـتُ، وإنَّمـا أَبحـتُ بـه وَكـرَ الحَمـامـةِ للصَّقـرِ
وقــدٌّ خلعــتُ البُـردَ عنـه، وإنَّمـا نشَـرتُ بـه طـيَّ الصحيفـةِ عـن سَطـرِ
لقـد جُبـتُ، دونَ الحـيِّ، كـلَّ تَنوفـةٍ، يحـومُ بهـا نَسـرُ السمـاءِ علـى وَكـرِ[3]
وخُضـتُ ظـلامَ الليـلِ، يسـودُّ فحمُـه، ودُستُ عرينَ اللَّيثِ، ينظُرُ عن جَمرِ
وجئـتُ ديـارَ الحـيِّ، والليـلُ مُطـرَفٌ، مُنمنَـمُ ثـوبِ الأفـقِ بـالأنجُـمِ الزُّهـرِ[4]
أَشيـمُ بهـا بـرقَ الحـديـدِ، وربّمـا عَثـرتُ بـأطـرافِ الـرُّدَينيَّـةِ السُّمـرِ
فلـم ألـقَ، إلاَّ صَعـدةً فـوقَ لامـةٍ، فَقُلْـتُ: قضيـبٌ قـد أَطـلَّ علـى نَهـرِ[5]
ولا شِمـتُ، إلاَّ غُـرَّةً فـوقَ شُقـرةٍ، فقلـتُ: حَبـابٌ يستـديـرُ علـى خَمـرِ
ودونَ طـروقِ الحـيّ خَـوضـةُ فَتكـةٍ، مـوَرَّسَـةِ السِّـربـالِ، داميـةِ الظُّفـرِ[6]

---

(١) **الإزار**: الرداء.

(٢) **نسمت الريح**: هبّت وتحرّكت.

(٣) **جبتُ المطاف**: طفت به ـ **الوكر**: عشّ الطائر.

(٤) **المطرف**: الذي طرفت عينه فدمعت **والطرف أيضاً**: الإزار ـ **الثوب المنمنم**: المزخرف والموشّى.

(٥) **الصعدة**: الرمح ـ **اللامة**: مخفّف اللأمة، وهي الدرع.

(٦) **السربال**: القميص، وكلّ ما يلبس ـ **مورّسة**: حمراء.

تطلَّعُ في فرعٍ، من النقعِ، أسودٍ، وتسفُرُ عن خدٍّ، من السيف، مُحمرِّ
فسرتُ، وقلبُ البَرقِ يخفُقُ غيرةً، هناك، وعينُ النجمِ تنظُرُ عن شَزرِ[1]
وطارَ إليها بي جَناحُ صبَابةٍ، فطارَ بها عنّي جَناحٌ منَ الذُّعرِ
فقلتُ: رُويداً، لا تُراعي، إنَّنا لنَطوي ضُلوعَ الليلِ منّا على سِرِّ
وسكَّنتُ من نفسٍ، تجيش، مَرُوعةٍ، ومسَّحتُ عن عِطفٍ، تمايلَ، مُزوَرِّ
ومزَّقتُ جيبَ الليلِ عنها، وإنَّما رَفعتُ جَناحَ النسر عن بَيضةِ الخِدْرِ[2]
وقبّلتُ ما بينَ المُحيَّا إلى الطُّلى؛ وعانَقتُ ما بين التَّراقي إلى الخَصرِ
وأطربَ سَجعُ الحَلْيِ من خيزُرانَةٍ تميلُ بها ريحُ الشبيبةِ والسُّكرِ[3]
غَزاليَّةُ الألحاظِ، رِيميَّةُ الطُّلى، مُداميَّةُ الألمى، حَبابيَّةُ الثَّغرِ[4]
تَرجَّحُ في مَوشِيَّةٍ ذَهبيَّةٍ، كما اشتَبَكت زُهرُ النجومِ على البَدرِ
تلاقى نسيبي في هَواها وأدمُعي، فمن لُؤلؤٍ نَظمٍ، ومن لُؤلؤٍ نثرِ
وقد خلَعَت، ليلاً، علينا يدُ الهَوى رداءَ عِناقٍ مزَّقَته يدُ الفَجرِ
ولمَّا تجلَّى ضَوءُ صُبحٍ، كأنه مَشيبٌ بِفَودِ الليلِ طالعَ من قطرِ
وحطَّ رِداءَ الغيمِ عن منكِب الصَّبا؛ ونَمَّ، على ذيلِ الدُّجى، نَفَسُ الزَّهرِ
صَدرتُ، ودونَ النَّجم سترُ غَمامةٍ، يَشفُّ، كما شفَّ الرَّمادُ عن الجَمرِ
ولا ليلَ، إلّا بالثوِيَّة، أقمرٌ، تنفَّسَ فيه السكرُ عن نَفحةِ الشُّكرِ[5]
ولا كفَّ، إلا للأميرِ، كريمةٌ، تبسَّمَ فيها النَّصلُ عن مَبسِم النَّصرِ
وهَبَّ، بها، يَمضي فيَفري، كأنَّما شهابٌ، بها، يَنقضُّ، أو قَدَرٌ يجري

---

(١) الشزر: الحمرة في العين.
(٢) الجيب: القميص، والجيب أيضاً القلب أو الصدر.
(٣) والخيزرانة هنا كناية عن القامة الطويلة اللينة.
(٤) غزالية الأنماط: أي عيناها كعيني الظبي ـ ريمية نسبة إلى الريم، وهو الظبي ـ الطّلى ـ جمع الطلية ـ العنق، يشبه عنقها أو جيدها بجيد الريم.
(٥) الثوية: علم على موضع.

فللّـــهِ محمـــولٌ، هنـــاك، وحـــامـــلٌ بعيدُ مَجالِ الصَّوتِ والصِّيت والـذّكـرِ
تَلـوذُ المُنـى، منـه، بـأصيـدَ أَمجـدٍ، صقيـلِ فـرنـدِ الحمـدِ والمجـدِ والبِشـرِ
وأَبلـجَ منصـورِ اللـواءِ، إذا سَـرى، أظلَّـت عُقـابُ النصـرِ أَجنحـةَ النَّسـرِ[1]
عليـــه يميـــنٌ أن تَفيـــضَ يَمينُـــه، وأن لا يَغُضَّ السيفُ جَفناً على وِتْرِ[2]
يَعُبُّ عُبابَ البَحرِ، في السِّلمِ والوَغى، ببَـذلِ اليـدِ الغَـرّاءِ، والفَتكـةِ البِكـرِ
لـه رايـةٌ، لـو زاحـمَ الـدهـرُ، تحتَهـا لعُـدَّت بـه دُهـمُ الليـالـي مـن الشُّقـرِ
وعـزمٌ يُـذِلُّ الطَّـودَ هـدّاً، ونَجـدةٌ تَهُـزُّ قُـدودَ السُّمـرِ فـي الحُلَـلِ الحُمـرِ
ووجـهٌ وضـيءٌ، شـفَّ عنـه لِثـامـهُ، كمـا شـفَّ رقـراقُ الغَمـام عـن البَـدرِ
إذا كَتمَتَـه، بـالمَفـاضـةِ، دِرْعُـه، تَـراءى هِـلالٌ، منه، يطلُعُ مِن بَحرِ[3]
سَـرى بيـنَ نُـوّارٍ لـزُرقِ أَسِنَّـةٍ، حِـدادٍ، وأَوراقٍ لـرايـاتِـه الخُضـرِ
فهـزَّت إليـه، عطِفَهـا، كـلُّ رايـةٍ، تَهُـزُّ عليـه الغُصـنَ فـي الـورَقِ النَّضـرِ
وحـنَّ إليـه كـلُّ وِردٍ مُحجَّـلٍ، كـأنَّ لُجَيْنـاً سـالَ منـه علـى تِبـرِ[4]
يجوُلُ، فتَجري، في عنانٍ، به الصَّبا، ويـزخَـرُ، فـي لِبـدٍ، بـه البحـرُ فـي البـرّ
وأَشهـبُ وضّـاحٌ تحمَّـلَ رُقعـةً من الحُسنِ، لم تَعبُر به العينُ في بَسرِ[5]
تخُطُّ سطُورَ الضرب، في صدره، الظُّبى، ويَعجمُهـا وَخـزُ المثقَّفـة السُّمـرِ
ويَـدرُجُ منـه السِّلـمُ مـا تنشُـرُ الـوَغـى، فطـوراً إلـى طـيٍّ، وطـوراً إلـى نَشـرِ
وأَدهـمُ، لـولا أنـه راقَ صـورةً، لمـا عـرَفَتـه العيـنُ مـن لَيلـة الهَجـرِ[6]

---

(١) الأبلج: الواضح المحيا، النّاصع الجبين.

(٢) يقول: إن ممدوحه أقسم على أن تفيض يده عطاء وألا يغمد سيفه إلا إذا نال ثأره من خصم أو عدو.

(٣) المفاضة: الدرع الواسعة.

(٤) اللجين: الفّضة ـ التّبر: الذهب.

(٥) البسر: العجلة، يقول إن حسنه لافت يستوقف الناظرين.

(٦) الأدهم: الأسود ـ ليلة الهجر: يريد الليلة التي يهجر فيها المحبّ حبيبه وهي ليلة حالكة السواد.

طويلُ سبيبِ العُرفِ والعُنقِ والشوى، قصيرُ عسيبِ الذَّيلِ والأذنِ والنَّسرِ[1]
لـه غُـرَّةٌ، تستصحِـبُ النَّصـرَ، طَلْقـةٌ، كفـاكَ بهـا فـي سُورةِ الحَشرِ مـن عَشرِ
أَمـا وانتشـارِ النَّقـع عَنـه صحيفـةً، لقـد راعَ فـي تلـك الصحيفـةِ مـن حِبرِ
ونـال فطيمـاً سؤددَ الكَهـلِ في الصِّبا، فتَـمَّ تمـامَ البـدر فـي غُـرَّةِ الشَّهـرِ
وحلَّـت بـه الآمـالُ، وهـي شـريفـةٌ مَحـلَّ ليـالـي الصَّـومِ مـن لَيلـةِ القَـدرِ
لَبيـبٌ، فمـا نَـدري: أَرأيـاً لحـادثٍ يُبيِّـتُ، أَم سهمـاً لشـاكلـةٍ يَبـري[2]
تقسَّمَـه جـودٌ يفيـض، وهِمَّـةٌ، فمِـن مَنهَـلٍ غمـرٍ، ومـن جَبـلٍ وعـرِ[3]
لـه كـلُّ نُعمـى، بيّضَـت كـلَّ صَفحـةٍ، بكـلِّ مَكـانٍ، فـالبَهيـمُ مـن الغُـرّ
فلـو مَسَحَـت يُمنـاه، عـن وجـهِ ليلـةٍ، لحطَّـت قِنـاعَ الليـلِ عـن قمَـرٍ يَسـري[4]
رميـتُ بـآمـالـي إليـه، وإنَّمـا حَملتُ بها المَرعى الجدِيبَ إلى القَطرِ
ولا أَمـلٌ إلاَّ كتـابُ شَفـاعـةٍ، إذا الخطـبُ أَعيـا وزرُه شَـدَّ مـن أزري
شفِيـعٌ، لـو استعطفـتُ عصـرَ الصِّبا بـهِ لعـاجَ، سقَتـه دمعـةُ المُـزنِ مـن عَصـرِ
وبيَ مَسُّ شكوى، لا أُطيق لها السُّرى، فـإن لـم أَطـأ بـابَ الأميـرِ، فعَـن عُـذْرِ
ولـو مُلِئَـت عيـنُ الـدُّجـى لمَـلأتُهـا بغُرَّةِ شمسِ العَصرِ، في مطلع القَصرِ
ومـا المـرءُ إلاَّ قلبُـه، وإذا سَـرى معَ الركبِ من شوقٍ، فإني معَ السَّفرِ
أبـا الطَّـاهـرِ أقبَلْهـا إليـك تحيَّـةً، أَرَقتُ عليها، سَحرةً، رونَقَ السِّحرِ[5]
خلَعـتُ قـوافِيهـا عليـك، وإنَّمـا نظَمـتُ بهـا عِقـداً نفِيسـاً علـى نَحـرِ
فسُد، وطإِ التِّيجانَ عزّاً، وذُدْ، وجُدْ، فسيـحَ فِناءِ المُلـكِ عـالـي يـدِ الأمـرِ
طليقَ لسانِ السيفِ والضيفِ والنَّدى، رفيـعَ مَنـارِ القَـدرِ، والـذِّكـرِ والفَخـرِ

---

(١) **السبيب**: الخصلة من الشعر ـ **الشوى**: الأطراف ـ **الذيل العسيب**: العظيم.
(٢) **لبيب**: فطن، شديد الذكاء ـ **يبيّت الأمر أو الرأي**: يعدّه مسبقاً ـ **الشاكلة**: النيّة.
(٣) يمتدح كرمه وهمته ويقول بأنه موزّع بين هذا وذاك.
(٤) يتابع إطراءه ويقول بأنّ شمائله الحميدة كفيلة أن تبدّد ظلمة الليلَ لتنكشف عن نور قمر يسري.
(٥) **أرقت**: من أراق أي صبّ.

(٨٨)
ارتقى شَرَفاً

أنشد هذه القصيدة مادحاً الأمير أبا يحيى بن إبراهيم

سمَحَ الخيالُ، على النَّوى، بمَزارِ، والصبحُ يمسحُ عن جبينِ نَهارِ
فرفعتُ، من ناري، لضيفٍ طارقٍ، يعشُو إليها من خيالٍ طاري
ركِبَ الدُّجى، أَحسنْ بها من مَركبٍ؛ وطَوى السُّرى، أَحبِبْ به من ساري
وأَناخَ حيثُ دموعُ عيني منهَلٌ يَروي، وحيثُ حَشاي مَوقِدُ نارِ
وسَقى فأروي غُلَّةً من ناهلٍ أَورى، بجانحَتَيهِ، زَندَ أُوارِ[1]
خلعَ الهوى ثوباً عليه من الضَّنى، قد شفَّ عنه، فهو كاسٍ عاري
يَلوي الضلوعَ، من الولوعِ، لخِطرةٍ من شَيمِ برقٍ، أَو شميمِ عَرارِ
والليلُ قد نضح الندى سِربالَه، فانهلَّ دمعُ الطَّلِّ فوقَ صِدارِ[2]
لبِسَ المجرَّ على السَّوادِ فخلتُه متنزّهاً، قد شَدَّ من زُنّارِ
ووراءَ أَستارِ الدُّجى متململٌ، يَلقى بيُمنى، تارةً، ويَسارِ
ما طالعَته بَرقَةٌ نجديَّةٌ، إلاَّ اجتلَتها نِظرةُ استعبارِ[3]
مترقِّبٌ رُسُلَ الرياحِ، عشِيَّةً، بمساقطِ الأنواءِ والأنوارِ
ومَجَرِّ ذيلِ غمامةٍ، لبِسَت به، وَشيَ الحَبابِ، معاطِفُ الأنهارِ
خفقَت ظِلالُ الأيكِ فيه ذوائباً، وارتجَّ، رِدفاً، مائجُ التَّيَّارِ[4]
ولَوى القضيبُ، هناك، جيداً أَتلعاً، قد قبَّلَتْه مَباسمُ النُّوَّارِ
باكرتُه، والغيمُ قِطعةُ عنبرٍ، مشبوبةٌ، والبرقُ لَفحةُ نارِ
والريحُ تَلطِمُ فيه أَردافَ الرُّبى، لَعِباً، وتَلثِمُ أَوجُهَ الأزهارِ

---

(١) الغلّة: العطش الشديد ـ أورى: أوقد الأوار: الظمأ والحرّ الشديد.
(٢) السربال: القميص ـ الطلّ: النّدى ـ الصدار: قميص يستر الصدر دون اليدين.
(٣) اجتلى (ه): نظر إليه ـ الاستعبار: مصدر استعبرت (العين): أي أرسلت عبرتها، أي دمعتها.
(٤) الأيك: الشجر الكثير الملتف ـ الذوائب: الأغصان، والذوائب جمع ذؤابة الضفيرة.

ومنـابـرُ الأشجـار قـد قـامَـت بهـا، خُطَبـــاء مفصحـــةٌ مـــن الأطيـــارِ

فـي فِتيـةٍ جنَبـوا العَجـاجـةَ، ليلـةً، ولــربَّمــا سفــروا عــن الأقمــارِ[1]

ثــارَ القَتــامُ بهــم دُخـانـاً، وارتمـى زَنْــدُ الحفيظــة، منهــمُ، بشــرارِ[2]

شـاهـدتُ، مـن هيـآتِهـم وهِبـاتهـم، أَشْــرافَ أَطْــوادٍ، وفيــضَ بِحــارِ

مــن كــلِّ منتقِــبٍ بــوَردةِ خجْلــةٍ، كــرَمــاً، ومُشتمــلٍ بثــوبِ وقــارِ

فــي عِمَّــةٍ خَلَعَــت عليــه كلمــةً؛ وذؤابــةٍ قُــرِنَــت بهــا كعِــذارِ

ضـافـي رداءِ المجـدِ، طَمّـاحِ العُـلا، طـامـي عُبـابِ الجُـودِ، رَحـبِ الـدارِ

جَــرّارِ أذيــالِ المعــالــي والقنَــا، حــامــي الحقِيقــةِ والحِمــى والجــارِ

طــرَدَ القَنيــصَ بكــلِّ قَيــدِ طــريــدةٍ، زجِــلِ الجَنــاحِ، مُــورَّدِ الأظفــارِ[3]

ملتفَّـــةٍ أَعطـــافُـــهُ بحبيـــرةٍ، مكحـــولـــةٍ أَجفـــانُـــه بنُضــارِ[4]

يــرمــي بــه الأمــلَ القصــيَّ، فينثنــي مخضـــوبَ راءِ الظُّفــرِ والمِنقــارِ[5]

وبكــلِّ نــائــي الشــوطِ أَشــدقَ أَصــدرٍ، طاوي الحشى حالي المقلَّدِ ضاري[6]

يَفتــرُّ عــن مثــلِ النِّصــالِ، وإنَّمــا يمشـــي علـــى مثـــلِ القَنــا الخطّــارِ

مستقــريــاً أَثَــرَ القَنيـص علـى الصَّفـا، والليـــلُ مشتمـــلٌ بشملـــةِ قــارِ[7]

مــن كــلِّ مسـوَدٍّ، تلهَّــبَ طَــرفُــه، تَهـــديـــد فحَمتُهُ بشُعْلــة نـــارِ

ومـــورَّسِ السِّـــربـــالِ، يخلــعُ قــدَّه عــن نجــمِ رجــمٍ فــي سمــاءِ غُبــارِ[8]

---

(١) **العجاجة**: الغبار الثائر ـ **سفر عن**: كشف.

(٢) **القتام**: الغبار ـ **الحفيظة**: الحمية التي تدفع إلى الذّود عن المكارم والأعراض.

(٣) **أراد بالطريدة هنا**: الفرس النشيط ـ **زجلي**: ذو صوت ـ **مورّد**: مدمّى، مصبوغ بلون الورد.

(٤) **الحبيرة**: البرد المزركش ـ **النّضار**: الذهب.

(٥) **القصيّ**: البعيد ـ **راء الظفر والمنقاد**: أي الطرف من هذين الاسمين ويلاحظ أنه حرف الرّاء.

(٦) **النائي**: البعيد ـ **الأشدق**: الواسع الشدق أي الفم ـ **طاوي الحشى**: نحيل الخصر ـ **حالي المقلّد**: أي جيده مزيّن بالحليّ.

(٧) **مستقرياً**: مخفّف مستقرئاً، متتبعاً ـ **بشملة قار**: أي بثوب أسود.

(٨) **السربال**: القميص.

عطفَ الضُّمُورُ سَراتَه، فكأنَّه، والنَّقعُ يَحجُبُه، هِلالُ سِرارِ[1]

ولربَّ روَّاعٍ، هنالك، أنبطٍ، خَلقِ المسامعِ، أَطلسِ الأطمارِ[2]

يجري على حذَرٍ، فيجمعُ بَسطَه، يَهوي، فينعطِفُ انعطافَ سُوارِ

ممتدٌّ حَبلَ الشأوِ، يعسِلُ راتعاً، فيكادُ يُفلتُ أيديَ الأقدارِ[3]

متردداً يَرمي به خوفُ الرَّدى كُرَةً، تهادَتها أكُفُّ قِفارِ

ولرُبَّ طَيّارٍ خفيفٍ، قد جرى فشَلا بجارٍ، خلفه، طَيّارِ

من كلِّ قاصرةِ الخُطى، مُختالةٍ، مَشيَ الفَتاةِ تجرُّ فَضلَ إزارِ

مخضوبةِ المنقارِ، تحسَبُ أنَّها كَرَعت، على ظَمإٍ، بكاسَ عُقارِ

لا تستقرُّ بها الأيادي، خشيةً من ليلٍ ويلٍ، أو نهارِ بَوارِ[4]

ولو استجارَت منهما بحِمى أبي يحيى، لأمَّنَها أعزَّ جِوارِ

حَرَمٌ، إذا اشتملَ الطريدُ بظلِّه، لم يَخشَ من جَورٍ، هنالكَ جاري

تقِفُ الرِّياحُ، بجانبَيه، هَيبةً، ويعُبُّ بحرُ العسكرِ الجَرّارِ

ويَقِيلُ، من أمنٍ به، ظبيُ النَّقا في جحرِ خيسِ الضَّيغمِ الزَّآرِ[5]

خدمَ القضاءُ مُرادهُ فكأنَّما ملكَت يداهُ أَعنَّةَ الأقدارِ

وعَنا الزمانُ لأمرِه، فكأنَّما أصغى الزمانُ به إلى أمَّارِ

وجَلا الإمارةَ في رقيقِ نَضارةٍ، جَلَتِ الدُّجى في حُلَّةِ الأنوارِ

في حيثُ وشَّحَ لَبَّةً بِقلادةٍ منها، وحَلَّى معصماً بسِوارِ[6]

---

(١) السراة: الظهر.

(٢) الأنبط: الأبيض فما تحت الإبط ـ الخلق: من خَلَق خلقا الشيء: سوّاه ملّسه، وخلَق: لان واملس.

(٣) الشأو: الشوط ـ يعسل: يضطرب في مشيته.

(٤) الويل: الهلاك، حلول الشرّ ـ البوار: الكساد.

(٥) يقيل: ينام القيلولة، أي نوم الظهيرة ـ خيس: أجمة ـ الضيغم: الأسد ـ الزآر: الذي يزأر بشدّة.

(٦) اللبّة: موضع القلادة من الصدر، واللفظة من لُبّ الشيء، أي خالصه.

جـذلانَ يمـلأُ مِنحـةٍ وبشـاشـةَ | أيـدي العُفـاةِ، وأعيـنَ الـزُّوّارِ
متقسِّـمٌ مـا بيـنَ بـدرِ دُجُنَّـةٍ | أسـرى، وبيـن غمـامـةٍ مِـدرارِ
أَرِجَ النَّـدِيُّ بـذكـرِه، فكـأنَّـه | متنفِّـسٌ عـن روضـةٍ مِعطـارِ[1]
فـي حُسـنِ منطِقـهِ، وهَشّـةِ وجهِـه، | مُستمتَـعُ الأسمـاعِ والأبصـارِ
جارى الرِّياحَ إلى السَّماحِ، فما جرَت | معـه الـريـاحُ النُّكـبُ فـي مِضمـارِ[2]
وزكـا، فشـدَّ علـى العَفـافَ إزارهَ؛ | إنَّ العَفـافَ لَشيمـةُ الأحـرارِ
يَقِـظٌ ذَكـا فَهمـاً، وأشـرفَ هِمَّـةً؛ | وكفـاك مـن نـارٍ بـه ومَنـارِ
لبِسَ التـواضـعَ عـن جَـلالٍ، وارتقـى | شـرَفـاً بحيـثُ سمـا سمـاءَ فَخـارِ
ألقـت إليـه، بـالأمـورِ، إمـارةٌ، | مـلأت، رُواءً، أعيـنَ النُّظَّـارِ
فعِنـانُ تلـك الـدولـة، الغَـرَّاءِ، فـي | تَـدبيـرِ ذاكَ الفـارسِ المِغـوارِ
بطـلٌ جـرى الفَلَـكُ المُحيـطُ بسَـرجِـه، | واستَـلَّ صـارِمَـه، يـدُ المِقـدارِ
يمتـدُّ حبـلُ الأسمـرِ الخَطِّـيَّ فـي | يـده، وبـاعُ الأبيـضُ البَتّـارِ[3]
بيمينِّـه، يـومَ الـوَغـى، وشِمـالِـه، | مـا شـاءَ مـن نـارٍ ومـن إعصـارِ
فـالشَّمـسُ خَمـرٌ، والجِيـادُ عَـرائِـسٌ، | والجـوُّ كـاس، والسيـوفُ مَـداري[4]
والخيـلُ تعثُـرُ فـي شَبـا شـوكِ القَنـا، | وتظَـلُّ تسبـحُ فـي الـدمِ المـوَّارِ[5]
والبِيـضُ تُحنـى فـي الطُّلـى، فكـأنَّمـا | لُـوِيَـتْ عُـرَى، منهـا، علـى أزرارِ
والنَّقعُ يكسِرُ من سنا شمسِ الضُّحى، | فكـأنَّـه صـدأٌ علـى دِينـارِ
صحِبَ، الحسامَ، النَّصرُ صُحبةَ غِبطةٍ، | فـي كـفِّ صَـوَّالٍ بـه سَـوَّارِ[6]

---

(١) أرج: فاح ـ المعطار: الكثير التعطّر.
(٢) النكب: جمع النكباء: الريح الواقعة بين الصّبا والشمال.
(٣) الأسمر الخطيّ: الرمح ـ الأبيض: السيف ـ البتّار: السيف القاطع.
(٤) المداري: جمع مدرى، وهو المشط.
(٥) تعثر: تكبو وتزلّ ـ الشبا: حدّ كل شيء جمع الشباة.
(٦) الحسام: السيف ـ الصوّال: الشديد السطو والقهر ـ سوّار: وثّاب.

لــو أنــه أوحــى إليــه بنَظْــرةٍ، يــومــاً، لثــارَ فلــم ينَـم عــن ثــارِ
ومضــى، وقــد ملكَتــه هِــزَّةُ عِــزْةٍ، تحــت العَجــاجِ، وضِحكــةُ استبشــارِ
ولـربّ صِفـرِ الكـفِّ، هـاذٍ بـالمنى، كلِــفٍ بــأطــوارٍ مــن الأوطــارِ
قــد أسبـل الظَّلمــاءَ ستــراً، دونَــه، وخــلا بــأبكــارٍ مــن الأفكــارِ
صـاحـت بـه الأيامُ، تـرفعُ صوتَهـا، فكــأنَّمــا نــادَتــه خلــف جــدار:
دع عنـك ثَيِّـبَ كـلِّ نُعمـى، والتمِس مِنَحــاً لإبــراهيــمَ، فهــيَ عَــذاري[1]
واربـع بحيثُ تصوبُ، أرضَك، ديمةٌ ليميــن يُمــنٍ، أَو يَســارِ يَســارِ
هَطـلاءُ، تضحـكُ كـلُّ زهـرةِ صفحـةٍ عنهــا، وتُعشِــبُ كــلُّ ســاحــةِ دارِ
مـن معشـرٍ تَـدمى بهـم، يـومَ الـوغى، بَيــضُ السيــوفِ وأَوجــهُ الكُفّــارِ
وتحــورُ نفــسُ المستطيــلِ مهــابــةً، ويــذِلُّ، رُغمــاً، معطِــسُ الجَبّــارِ
جمـعَ النَّـدى بهـم، وصـدرُ المُنتـدى، كَــرَمَ النفــوسِ ورِقَّــةَ الأبشــارِ[2]
ســادَ السَّــراةُ بمــا استفــادوا عنهُــمُ؛ إِنَّ الشمــوسَ لعِلَّــةُ الأقمــارِ
وسخــا الكــرامُ بمــا استمــدوا منهــمُ؛ إِنَّ البحَــارَ لَمنشــأُ الأمطــارِ
تُنميهــمُ الــدُّنيــا إلــى صِنهــاجــة؛ والــديــنُ يُنميهــم إلــى الأنصــارِ[3]
شـادَت يـدُ العَليـاءِ فـي عَـرَصـاتهـم، أَعلــى منــارٍ فــي أَعــزِّ دِيــارِ
مـن كـلِّ غَيـثٍ، للسَّمـاحـة، واكـفٍ، يَهمـي، وقِـرنٍ، فـي الـوَغـى، هَـدّارِ
يتتـابعـون إلـى الصَّـريـخِ، كـأنهـم أَمــواجُ بَحــرٍ، قــد طمــى، زخّــارِ[4]
كـم مطلَـقٍ، لنَـداهـمُ وظُبـاهـمُ، مــن قَيــدِ إِعســارٍ وقِــدِّ إِســارِ
ورداءِ مجــدٍ، طُــرِّزت أَعطــافُــه بــالحمــد، لا يبْلَــى علــى الأعصــارِ

(١) الثيّب: أصلاً المرأة غير العذراء ـ المنح: جمع منحة الهبات والعطايا ـ العذاري: الأبكار.
(٢) الأبشار: جمع بشرة، جلد الجسم الظاهر.
(٣) صنهاجة: من القبائل الإفريقية التي تستّم زعماؤها حكم البلاد خلال حقبة من الزمن ـ الأنصار: أراد أهل المدينة الذين نصروا الإسلام عند نشأته.
(٤) الصّريخ: المستجير ـ طمى البحر: علا موجه ـ البحر الزخّار: الزاخر، الموّار.

فلـوَ إنّهـم خلَـدوا خلـودَ ثنـائهـم، لـم تَنفصـم عنهـم عُـرى الأعمـارِ

وإليـكَ، مـن حَـوكِ البـديـعِ، قـوافيـاً، هـزَّ النشيـدُ بهـا متـونَ شفـارِ

زَفَّـت، أَبـا بكـرٍ، إليـك محـاسنـاً، جـاءتـك تحمِـلُ عُـذرة الأبكـارِ

فـأصِـخ إلـى هَـزجِ المَـديـحِ، فـإنَّمـا صدَحَت، بأغصانِ السطورِ قُماري[1]

هـزَّت معـاطِـفَ سـامعيهـا حكمـةً، كـادت تهُـزُّ معـاطـفَ الأسطـارِ

مسحتَ جفونَ الركب من سِنة الكرى، ولَـوَمهُـمُ طـرَبـاً علـى الأكـوارِ[2]

ورأتـك كُفـؤاً، فـانتَحَتـك علـى النَّـوى والبعـدِ، بعـدَ السّتّـةِ الأقطـارِ

فـاطَلـعْ، لـرَوضَتِهـا، صبـاحـاً نَيِّـراً، يستضحِـك النُّـوَّارَ لـلأنـوارِ

واسلـم، أَبـا يحيـى، لهـا مـن دولـةٍ كَسَـت اللّيـالـيَ رونـقَ الأسحـارِ

وانَهـد لهـا، فـالسيفُ فـي يـد فـارسٍ، يسطـو بـه، والسَّهـمُ فـي يـدِ بـاري

واشفَـع علـى شحـطِ الـديـارِ لآمـلٍ، أهـدى الثَّنـاءَ علـى تنـائـي الـدارِ

(٨٩)

كما تَهْوى العُلا

نظم هذه القصيدة مادحاً أبا الحسن بن نعيم:

تشفَّـعْ بعِلـقٍ، للشَّبـابِ، خطيـرِ؛ وبِـتْ تحتَ ليـلٍ، للـوِصـالِ، قصِيرِ[3]

ونَل نَظرةً من نُضرةِ الحُسن، وانتعش بغُـرَّةِ رَقـراقِ الشبـابِ غـريـرِ

فمـا الأنـسُ، إلاّ فـي مُجـاجِ زجـاجـةٍ؛ ولا العيشُ، إلاَّ فـي صـريـرِ سـريـرِ[4]

وإنّـي، وإن جئـتُ المشيـبَ، لَمُـولـعٌ بطُـرَّةِ ظِـلٍّ، فـوقَ وجـهِ غـديـرِ

فيـا حبَّـذا مـاءٌ بمُنعـرَجِ اللّـوى، ومـا اهتـزَّ مِـنْ أَيـكٍ عليـه مَطيـرِ

---

(١) **أصخ**: استمع ـ **صدحت**: غرّدت ـ القماري: من ضروب الحمام الحسن الصوت.

(٢) **الكرى**: النوم.

(٣) **العلق**: النفيس ـ **الوصال**: خلاف الهجر والصّرم.

(٤) **المجاج**: الريق، ومجاج النحل: العسل **وقوله**: مجاج زجاجة عنى الخمر.

ونفحــةُ ريــحٍ، للــربيــعِ، ذكيَّــةٌ، ... ولمحــةُ وجــهٍ، للشبــابِ، نضِيــرِ
ونعسةُ طَرفِ العَينِ من سِنَةِ الكرى، ... لـرجعِ خـرِيـرٍ ، أَو لشَجـوِ هَـديـرِ
وقد لاحَ وجهُ الصبحِ، يندى، كأنه، ... وراءَ قِنـاعِ الليـلِ، وجـهُ بشِيـرِ
وأَشـرقَ نجـمٌ للثُّـريَّـا، كـأنـه، ... أَيـادي نعِيـمٍ، أَو هضـاب ثَبيـرِ[1]
فتًى شابَ، في عصرِ الشبيبةِ، حِنكةً، ... وقـامَ صغيـراً فـي جَـلالِ كبيـرِ
وأَصغَى، إلى داعي النَّدى، سَمع أروعٍ ... مُجيبٍ، علـى بُعـدِ الصَّـريـخِ، مُجيرِ
فبـاتَ، ولـلأنبـاءِ فيـه تـأرُّجٌ، ... تَطيـبُ بـه أَنفـاسُ كـلِّ سَميـرِ
وللـروضِ سِـرّ شـافَهَتنـا بـه الصَّبـا، ... سُحَيـراً، فـألهـى مـن حـديـثِ خبيرِ
وللمـدحِ أَلحـانٌ، تهُـزُّ، شجيَّـةٌ، ... تُنَسِّـي بهـا المُكَّـاءَ كـلَّ صفيـرِ[2]
وقـد أَغضـتِ الشِّعـرى العبـورُ لهمَّـةٍ، ... تُقلِّـبُ، دونَ المجـدِ، لَحـظَ غيـورِ[3]
تُـواقِـعُ أَبكـارَ العُـلا، غيـرَ أَنَّهـا ... تَـرى انَّ بَحـرَ الجُـودِ خَيـرُ طَهـورِ
وتصفَـحُ، لا عَـن ذِلَّـةٍ، صَفـحَ رَحمـةٍ، ... فتـرسـلُ، دونَ الـذَّنـب، سِتـرَ غَفـورِ
وتجلـو سـوادَ المُشكـلاتِ بخـاطِـرٍ، ... تـركَّـبَ مـن نـارٍ، تُشَـبُّ، ونُـورِ
إذا قِسـتَ مـا بيـنَ الحُسـامِ وبينَـه، ... تبسَّـمَ، واهتـزَّ اهتـزازَ سُـرورِ
مـن آلِ رَحيـمٍ، حيـثُ لا هضْبَـةُ العُـلا ... لهـدٍّ، ولا بَحـرُ النَّـدى لعُبـورِ[4]
مـنَ القـومِ، أَدَّتهـم إلـى خيـرِ أَبطُـنٍ ... تَخيَّـرنَ، لـلأبنـاءِ، خيـرَ ظُهـورِ
تَـرى المُـزنَ ثَجَّـاجـاً بهـم، متهلِّـلاً ... سمـاحـةُ أَيـدٍ، وابتسـامُ ثُغـورِ[5]
غَيـارى علـى الأيـدي العَـذارى، كـأنَّمـا ... تُـزَفُّ، مـن الكِتمـانِ، خَلـفَ سُتـورِ

---

(١) **ثبير**: اسم جبل.

(٢) **المُكّاء**: من الطيور.

(٣) **الشِّعْرى**: كوكب يطلع في الجوزاء من شدّة الحرّ ـ اللحظ: النظر بمؤخر العين.

(٤) **الهدّ**: الهدم ـ **النّدى**: الجود.

(٥) **المزن**: السحاب الممطر ـ **ثجّاجا**: شديد الانهمار ـ متهلّلاً: متلألئاً.

فهـا هـم كمـا تَهـوى العُـلا، لا ثنـاؤُهـم لطـــيٍّ، ولا أَســرارُهــم لنُشــورِ[١]

يـذوبـون ظَـرفـاً، غيـرَ أَنَّ قلـوبَهـم، إذا مـا دَهـى خَطـبٌ، قلـوبُ صخـورِ

تَـرى بِهِـمُ مـن نَضـرةٍ فـي سمـاحـةٍ، طُلـوعَ بـدُورٍ، فـي ارتجـاجِ بحُـورِ

وتَعْشُـو إلـى نـارٍ بهـم فـي مَفـازَةٍ، ذَكـاءُ قلـوبٍ، فـي اتِّسـاعِ صُـدورِ

فما البَطَلُ الحامي، وقد صافحَ الطُّلى بـأبيـضَ بسَّـامِ الفِـرنـدِ، طَـريـرِ[٢]

بـأطـولَ بـاعـاً مـن رحيـمٍ، وقـد سَطـا بـأرقـشَ مُصْفَـرٍّ القميـصِ، قصيـرِ

فيـا حُسـنَ مـرأى المَلـكِ بيـن مهنَّـدٍ خضِيـبٍ، ورَنـدٍ، لليَـرَاعِ، نضيـرِ

وقـد طـارح السيفُ اليَـرَاعَ، فـأطـربـا بـرجـعِ صليـلٍ رائـعٍ، وصـريـرِ[٣]

(٩٠)

فاهنأْ بِها

قال مادحاً الوزير أبي الحسن بن رحيم:

جفـنٌ، تجـافـى للخَلـيِّ عـن الكَـرى؛ وهـوًى تهـاوى بـالمَطـيِّ علـى السُّـرى[٤]

ومثقَّـفٌ لـدْنُ المهـزِّ، يشـوقُـه مـا شـاقَنـي، فـإذا هَـززتُ تـأطَّـرا[٥]

وقـد اشتبَهنـا سُمـرةً ونَخـافَـةً، فلـو التفـتُّ لمـا عـرفـتُ الأسمـرا

وأَقـبُّ يحتمِـلُ الصبـاحَ، إذا مشـى، شِيَـةً، وينتعِـلُ الـرِّيـاحَ، إذا جـرى

قـد بـاتَ يَحمِـلُ لِبـدُه ظَبـيَ النَّقـا، ركضـاً، ويحمِـل لِبـدُه لَيـثَ الشَّـرى[٦]

---

(١) **الطيّ**: الكتمان ـ **النشور**: خلاف الطيّ.

(٢) **الحامي**: الذي يحامي ويذود عن الحمى ـ **الطّلى**: جمع **الطُلاة**: العنق ـ **الأبيض**: السيف ـ **الفرند**: جوهر السيف.

(٣) **اليراع**: القلم ـ **صليل**: صوت السيوف ـ **الصرير**: الصوت، أراد صوت اليراع.

(٤) **تجافى عن الكرى**: لم يجد سبيلاً إليه، لم ينم ـ **تهاوى**: سقط في المهواة، **وتهاوى الرجل**: سار شديداً **المطيّ**: الراحلة، **السّرى**: السير ليلاً.

(٥) **المثقّف**: الرمح ـ ولدن المهز: لين الحركة ـ **تأطّر**: تثنّى.

(٦) **اللّبد**: الصوف أو الشعر المتلّبد. ـ **الليث**: الأسد ـ **الشرى**: واد تكثر فيه الأسود.

وحَثا التُّرابَ على الصَّبا، فكأنَّما أَزجى، هناك، غَمامةً، بَرقٌ سَرى[1]

واسترجفَ الأرضَ الفَضاءَ بوَثبةٍ، فكأنَّ رُكناً خرَّ، فيها، من حِرا[2]

مزَّقتُ من خِلَعِ العَجاجةِ، فوقَه، ثَوباً بأطرافِ الرِّماحِ مُدنَّرا

وصَرختُ: يا لَبَني رحيمٍ، صرخَةً، فالتفَّتِ الأنجادُ، حولي، عَسكرا

من كلِّ طَلقِ الوجهِ، تاهَ جَوادُه زَهواً بِعزَّةِ ربِّه، فتبَختَرا

صَلْتِ الجبينِ، لو أنَّني مستقبِلٌ، برُوائه، ليلَ السِّرارِ لأقمرا[3]

ما إن سقَتكَ به السَّماحةُ مُزنةً، إلَّا أَرَتْكَ به الصباحةُ نيِّرا[4]

وأَغرَّ، أَزهرَ، باتَ يَعبَقُ نَفحةً، فكأنَّ، في بُردَيه، روضاً أزهرا

طلق المُحَيّا واليدين، كأنه قمرٌ، تطلَّعَ في غَمامٍ أَمطَرا

لَبسَ الرِّداءَ، من الثَّناءِ، مطرَّزاً، فوقَ القميصِ، منَ الحياءِ، مُعَصفرا

استمجدَ الأشرافُ من شَرفٍ به، فمشى اليَراعُ بكفِّه مُتبَختِرا

فلرُبَّ سمراءِ الأديم، طويلةٍ، حسَدت براحتِه القصيرَ الأصفرا

وإليكَها، فاهنأ بها، من مِدحةٍ، أَهديتُها روضاً، إليكَ، مُنوَّراً

فتلألأت حُسناً، بمجدِك، حُلَّةً، وتنفَّست طيباً، بحمدِكَ، مُجمِرا

وسوايَ يكذِبُ، في سواها، مِدحةً فارغَب بسمعِك عن حديثٍ يُفترى

(٩١)

رُبّ يومٍ

ألا رُبَّ يومٍ حثَّتِ الكاسُ خطوَه، فطارَ، وأيامُ السُّرورِ قِصارُ

عثرتُ بذَيلِ السُّكرِ فيه، عشيّةً، وللريحِ في موجِ الخليجِ عِثارُ

---

(١) أزجى: ساق.

(٢) الركن: الأساس ـ حرا: مخفف حراء، من جبال مكة.

(٣) صلت الجبين: ناصع الجبين ـ الرواء: البهاء والحسن ـ السّرار: آخر ليلة من الشهر.

(٤) السّماحة: الجود ـ الصباحة: اشراقة الوجه.

وقــد فضَّــض النُّــوّارُ كــلَّ ربــاوةٍ، وســالَ عليهــا لــلأصِيــلِ نُضــارُ[1]

(٩٢)
الماءُ صَفْحةُ ضاحِك

يصف الشاعر مفاتن الطبيعة وهو يجوب في أرجائها

وكِمــامــةٍ حــدَرَ الصبــاحُ قِنــاعَهــا، عــن صَفحــةٍ، تَنــدَى مــنَ الأزهــارِ[2]
فــي أَبطــحٍ، رضِعَــت ثغــورُ أَقــاحِــه أخــلافَ كــلِّ غمــامــةٍ مِــدرارِ[3]
نثَرَت، بِحجرِ الأرضِ فيه، يــدُ الصَّبا دُرَرَ النَّــدى ودراهـــمَ النُّــوّارِ
وقــد ارتــدَى غصــنَ النَّقــا، وتقلَّــدَت، حَلْــيَ الحَبــابِ، ســوالِــفُ الأنهــارِ[4]
فحَللتُ حيثُ الماءُ صَفحةُ ضاحكٍ، جَــذِلٍ، وحيــثُ الشــطُّ بــدءُ عِــذارِ
والــريحُ تنفُضُ، بُكــرةً، لِمــمَ الــرُّبى؛ والطَّــلُّ يَنضَــحُ أَوجُــهَ الأشجــارِ[5]
متقسِّــمُ الألحــاظِ بيــنَ محــاســنٍ، مِــن رِدفِ رابيــةٍ، وخَصــرِ قَــرارِ
وأَراكــةٍ سَجَــعَ الهــدِيــلُ بفَــرعِهــا، والصُّبــحُ يُسفِــرُ عــن جَبيــن نَهــارِ[6]
هــزَّت لــه أَعطــافَهــا، ولــربَّمــا خلَعَـــت عليـــهِ مُـــلاءَةَ الأنـــوارِ

(٩٣)
حُلْو السجيّة

امتدح بهذه القصيدة الوزير أبا محمد طاهر بن عامر:

حــدَرَ القِنــاعَ عــن الصَّبــاحِ المُسفــرِ؛ ولــوى القصيــبَ علــى الكثيــبِ الأعفــرِ

---

(١) **النضار**: الذّهب.
(٢) **الكمامة**: أكمام الزهر ـ **حدر الصباح قناعها**: أنزله.
(٣) **الغمامة المدرار**: الغزيرة.
(٤) **الحباب (هنا)**: الندى الذي يزين في نظر الشاعر أوراق الأغصان.
(٥) **بكرة**: باكراً ـ **اللمم**: جمع لمّة: شعر مقدّم الرأس، ولمم الرّبى من باب الاستعارة ـ **الطلّ**: الندى ـ **ينضح**: يرش ويبلّ.
(٦) **الأراكة**: واحدة الأراك، شجر يستاك بأغصانه ـ **الهديل**: الحمام.

وتملّكتــــهُ هِــــزَّةٌ فــــي عِــــزَّةٍ ... فــارتــجَّ فــي وَرَقِ الشبــابِ الأخضــرِ
متنفِّســاً عــن مثــلِ نفحــةِ مِسكــةٍ؛ ... متبسِّمــاً عــن مثــلِ سِمطَــيْ جَــوهــرِ[1]
سلَّــت علــيَّ، سيــوفَهــا، أجفــانُــه، ... فلقيتُهــنَّ، مــن المَشِيــبِ، بِمغفَــرِ[2]
متجلــداً أَربَــا بنفســي أن يُــرى ... هــذا الهــزبــرُ قتيــلَ ذاك الجُــؤذُرِ[3]
فحشَــا بطَعنَتِــهِ حَشَــى متنفّــسٍ، ... تحــتَ الــدُّجى، عــن مــارجٍ متسعِّــرِ[4]
يغشَــى رمــاحَ الخَــطِّ، أوّلَ مُقبــلٍ، ... ويكُــرُّ، يــومَ الــروعِ، آخــرَ مُــدبــرِ
فتــراه بيــنَ جِــراحتيــن: للحظــةٍ ... مكســورةٍ، ولعــامــلٍ متكسِّــرِ
نَــزْرَ الكَــرى، يــرمــي الظــلامَ بمُقلــةٍ ... سهِــرَت لأخــرى، تحتــه، لــم تَسهــرِ
مــن ليلــةٍ أرخــى علــيَّ جَنــاحَــه، ... فيهــا، غُــرابُ دُجُنَّــةٍ لــم يُــزجَــرِ
لا يستقــلُّ بهــا السُّــرى، فكــأنَّمــا ... بــاتَــت تُســرِّي عــن صبــاح المَحشَــرِ
ولقــد أقــولُ لبــرقِ ليــلٍ هــاجنــي، ... فمسحــتُ عــن طَــرفٍ بــه مستعبِــرِ
اقــرأ علــى الجِــزع السـلام، وقُــل لــه: ... سُقِّيــت مــن سَبَــل الغمــام الممطــرِ[5]
بينــي وبينــك ذمَّــةٌ مَــرعِيَّــةٌ، ... فــإذا تُنــوسيــتِ المــودةُ، فــاذكُــرِ
وإذا غشِيــتَ ديــارَ ليلــى بــاللِّــوى، ... فــاســأل ريــاحَ الطِّيــبِ عنهــا تُخبَــرِ
والمــح صحيفــةَ صَفحتــي، فــاقــرأ بهــا ... سطــريــن مــن دَمــعٍ بهــا متحــدِّرِ
كتَبَتْهمــا، تحــتَ الظــلام، يــدُ الضَّنــى، ... خــوفَ الــوُشــاةِ، بــأحمــرٍ فــي أصفــرِ
ولقــد جريــتُ، مع الصِّبــا، جَــريَ الصِّبــا، ... وشــربتُهــا مــن كــفِّ أحــوَى أحــوَرِ[6]

---

(١) **سمطا وسمطيّ**: مثنى سمط، وهو القلادة، العقد.
(٢) **سلّت سيوفها**: أخرجتها من أغمادها، **وأراد بالسيوف**: نظرات العين الفاتنة.
(٣) **الهزبر**: الأسد ـ **الجؤذر**: الظبي.
(٤) **المارج**: النار ـ **المتسعّر**: المتوقد.
(٥) **سبل الغمام**: المطر.
(٦) **الأحوى**: الذي به حوّة والحوة السواد إلى الخضرة أو الحمرة إلى السواد ـ **الأحور**: الذي في عينيه حور، والعين الحوراء التي اشتدّ بياضها وسوادها.

نــاجيــتُ منــه عُطــارداً، ولــربَّمــا قبَّلتُــه، فلثمــتُ وجــهَ المُشتــري[1]
تَنــدى بفيــهِ أُقــاحــةٌ نفَّــاحــةٌ شربت، على ظمإٍ، بماءِ الكَوثرِ[2]
شهِدتْ لـه فتكـاتُـه فـي مُهجتـي، يـومَ الغميـمِ، بنسبـةٍ فـي قيصـرِ
ولقـد خلـوتُ بـه أُقسِّم نظـرَتـي، مـا بيـن جُـؤذرِ كِلَّـةٍ، وغَضنفَـرِ[3]
يثنـي معـاطفَـه، وأذرُفُ عَبـرتـي، فـإخـالُـه غصنـاً بشـاطىء جَعفـرِ[4]
وأهَـابَ بـي شـرخُ الشبـابِ، لـريبـةٍ، فـرميـتُ جـانبَـه بعِطـفٍ أَزورِ
وأَخٍ زأَرتُ لــه، ولــولا أننــي آنســتُ مــا أنكــرتُــه لـم ازأَرِ
آنســتُ مـا آنستُــهُ مــن عَتْبِــهِ، فـأقـامَ تحـتَ غَمـامـةٍ لـم تُمطـرِ
ولـو التقينـا، حيث يصغـي سـاعـةً، لسَقَتــه بيــن مــلامــةٍ وتشكُّــرِ
تهمــي بمــاءِ الــوردِ، فــي أردانِــه، وبـلاً، وتَحصُبُ سمعَـه بـالجَـوهـرِ[5]
وعُــلاه، لــولا بــرقُ وعــدٍ شِمتُــه فـي عـارضٍ، مـن بِـرّه، مستمطـرِ[6]
لنسَخــتُ أَسطــارَ الكتــابِ كتـائبـاً، مصطفَّــةً، وطــرقتُــه فــي عَسكــرِ
ومقـامِ بـأسٍ، فـي الكـريهـة، قُمتُـهُ، فسبحـتُ فـي بحـرِ الحـديـدِ الأخضَـرِ
أَضحكتُ ثغرَ النَّصر فيه من العِدى، ولــربَّمــا أبكَيــتُ عيــنَ السَّمهــري
ورميــتُ هَبــوتَــه بلَبَّــةِ أَشهــبٍ، فسفـرتُ، ليـلاً، عـن صباحٍ مُسفـرِ[7]
يجـري فتحسبُـه، انصبـابـاً، كـوكبـاً ينقــضُّ فــي غَبـشِ العَجـاج الأكـدَرِ
أَوردتُــه نُطَــفَ الأسنَّــةِ أشهبــاً، ونـزَلـت منـه، ظـافـراً، عـن أَشْقَـرِ[8]

---

(١) **العطارد والمشتري**: من الكواكب، من باب المجاز.
(٢) **الكوثر**: نهر في الجنة.
(٣) **الغضنفر**: الأسد.
(٤) **جعفر**: اسم نهر.
(٥) **تهمي**: تسيل ـ **الأردان**: جمع ردن أطراف الأكمام الواسعة.
(٦) **العارض**: السحاب الممطر.
(٧) **الهبوة**: الغبرة، والجمع هبوات.
(٨) **نطف**: جمع نطفة، الصافي من الماء ـ **الأسنة**: رؤوس الرماح.

ولقد خبطتُ الغابَ، أَسْأَلُ، ليلةً، عن سِرِّ صُبحٍ في حَشاه مُضمَرِ
وحططتُ عن بنتِ الزّنادِ قِناعَها، ليلاً، لسارٍ، تحتَه، متنوِّرِ[1]
ومسحتُ منها عن معاطِف مُهرةٍ شقراءَ، تُذعَرُ من شَمالِ صرصرِ[2]
وجرى الحديثُ ببعض ذِكرى طاهرٍ، فجعلتُ جَزلَ وقودِها من عَنبرِ
وطفِقْتُ أُذكِيها وأذكُرُ ذِهنَهُ، فإِخالُ ذاك وهذه من عُنصُرِ
فكأنَّها، والريحُ عابثةٌ بها، تُزهى، فترقصُ في قميصٍ أحمرِ
ولَدَتْ به أُمُّ السيادةِ أوحداً، متضمّناً مَعنى العديدِ الأكثرِ
تُعدي عُلاهُ ديارَه، فلَها به، في مُرتقى زُحَلٍ، جَمالُ المشتري[3]
وإذا وطئتُ جَنابَه قدّستُه، فكأنني أمشي به في مَشعرِ[4]
أَتتِ العُلى منه بأوحدَ أَصْيَدٍ، حُلوِ السجيَّةِ، طَلقِ وجهِ المَخبرِ
وأغرَّ، أروعَ، ملءِ سمعِ المُنتقى، حُرِّ الكلام، وملءِ عينِ المُبصرِ
حلَّت أواصرُه به عن عامرٍ، في حيثُ حلَّتْ مُقلةٌ من مِحجَرِ[5]
طلقِ الجبينِ، كأنني مستقبِلٌ، بلِقائِه، وجهَ الشبابِ المدبرِ
رطبِ الكلامِ، على سَماعِ جليسِه، فكأنَّ، في فيه، لسانَ مبشِّرِ
لا تعتريه شبهةٌ، فكأنَّما يمشي على وضَحِ النَّهارِ النَّيِّرِ
متحمِّلِ العبءِ الثقيلِ بمَنكِبٍ أيْدٍ، ولم يَشدُد له من مئزَرِ[6]
فكأنه متصوِّبٌ، في المرتقى، دَمِثَ المسالكِ، في الطريقِ الأوعرِ

(١) **بنت الزناد**: شرارة النار، شبه بها المهرة ـ **الساري**: السائر ليلاً.
(٢) **تذعر**: تخاف ـ **الشمال**: ريح الشمال ـ **الصرصر**: الريح الشديدة الهبوب.
(٣) **زحل**: من الكواكب السيّارة.
(٤) **المشعر**: من مناسك الحج.
(٥) **الأواصر**: جمع آصرة، والآصرة صلة النسب والقرابة.
(٦) **الأيد**: القوّة.

(٩٤)
لاحَ صُبْحُ الشَّيْبِ

ألا قـانِـعٌ مـن مُلـك كِسرى بكِسـرَةٍ، فما الوجدُ إلّا الخُلد، لا ما جنى كسرى[١]
فمـا بـالُنـا، والمـالُ عُـرضَـةُ حـادثٍ، تَـركنـا مطـايـا الـريـح فـي إثـرِه حَسـرى
ومــا الغَــيُّ إلاّ أن يُعبِّـدَنــا الهَــوى، ولـم نَـدرِ، جهلاً، أَنّنا معشرٌ أَسرى[٢]
وقد لاحَ صُبحُ الشيبِ، وانسلخَ الصِّبا، فيا صبحُ ما أَجلى، ويا ليلُ ما أَسرى!
فيـا ليـتَ أنّـي مـا خُلِقـتُ لِمَطعَـمٍ، ولم أدرِ ما اليسرى هناك، وما العُسرى[٣]
ولســتُ أُرانــي، والمَغَبَّــةُ خِسَّــةٌ، يفي غَسليَ اليُمنى لغَسليَ باليُسرى[٤]

(٩٥)
صُروفُ اللّيالي

لا العَطــايــا، ولا الــرّزايــا بَــواقٍ؛ كــلُّ شــيءٍ إلــى بِلًــى ودُثــورِ[٥]
فــالــهُ عــن حــالتَـيْ سـرورٍ وحُـزنٍ، فــإلـــى غــايـةٍ مجــاري الأمـــورِ
وإذا مــا انقضَـت صـروفُ الليــالـي، فسَـــواءٌ ليـــلا الأســـى والسُّـــرورِ

(٩٦)
قَدْ يَبْكي الخَليلُ

لقـد أَصَخـتُ إلـى نَجـواكَ مـن قمـرٍ، وبِـتُّ أُدلِـجُ بيــنَ الــوعــيِ والنَّظَـرِ
لا أجتلـي مُلَحـاً، حتـى أعـي مُلَحـاً، عدلاً من الحكم بين السَّمعِ والبَصَرِ[٦]

---

(١) الوجد: الثراء والغنى ـ كسرى: من ملوك الفرس.
(٢) الغيّ: الضلال ـ يعبّدنا: يجعلنا عبيداً.
(٣) العسرى: خلاف اليسرى.
(٤) مغبّة الأمر: عاقبته.
(٥) الرزايا: المصائب ـ الدثور: الفناء والبلى.
(٦) الملح: البياض يداخله السواد، والمقصود هنا الشيب الملح (الثانية): جمع ملحة وهي الطريف من النوادر والمستملح من الكلام.

وقـد مـلأتُ سَـوادَ العيـنِ مـن وضَـح، فقرِّطِ السَّمعَ قُرطَ الأنس من سَمَرِ[1]

فلـو جمعـتَ إلـى حُسـنِ مُحـاورةً، حُزتَ الجَمـالَيـن مـن خُبـرٍ ومـن خَبَـرِ

وإن صَممـتَ، ففـي مـرآك لـي عِظـةٌ، قـد أفصَحـتْ لـيَ عنهـا ألسُـنُ العِبَـرِ

تمـرُّ مـن نـاقـصٍ حَـوراً، ومكتمـلٍ كَوراً ، ومن مُرتقٍ طَوراً ، ومُنحدِرِ

والنـاسُ مـن مُعـرِضٍ يَلهـو، وملتفـتٍ يَـرعـى، ومـن ذاهـلٍ يَنسـى، ومُـدَّكِـرِ

يلهـو بسـاحـاتِ أقـوامٍ تحـدِّثُنـا، وقـد قضَـوا، فمضَـوا؛ إنّـا علـى الأثَـرِ

فـإن بَكيتُ، وقـد يَبكي الخليلُ، فعَن شَجـوٍ، يُفَجِّـرُ عيـنَ المـاءِ فـي الحجَـرِ

(٩٧)

أقَلِّبُ جَفْناً

أَمـا وشبـابٌ قـد تـرامَـت بـه النَّـوى، فـأرسلـتُ فـي أعقـابـه نظـرةً عَبْـرى

لقـد رَكِبـتْ ظهـرَ السُّـرى بـيَ نَـومـةٌ، فأصبحتُ في أَرضٍ، وقد بِتُّ في أُخرى

أُقلِّـبُ جَفنـاً، لا يجِـفُّ، فكلّمـا تأوَّهت من شكوى، تألمت عن شَكرى[2]

فهـا أنـا لا نَفْـسٌ يَخِـفُّ بهـا المُنـى، فتلهُـو، ولا سمـعٌ تطِيـرُ بـه بُشْـرى

وإنـي، إذا مـا شـاقَنـي لحمـامـةٍ رنِيـنٌ، وهـزَّتنـي لبـارقـةٍ ذِكـرى

لأجمـعُ بيـنَ المـاءِ والنَّـارِ، لـوعـةً، فمـن مُقلـة ريّـا، ومـن كبِـدٍ حـرّى

وقد خف خَطبُ الشيب في جانب الردى، فصارت به صُغرى، التي كانت الكُبرى[3]

وللشّعـرِ عنـدي، كلَّمـا نـدَب الصِّبـا فأبكى، محَلّ أَلحقَ الشّعرَ بالشِّعرى[4]

فليـتَ حـديثـاً للحـداثـةِ لـو جَـرى فـأسلـى، وطيفـاً للشبيبـةِ لـو أَسـرى

---

(١) **الوضح**: بياض الصبح، وبياض القمر، والمراد طلعة المحبوب ـ قرّط السمع: من قرّط الجارية ألبسها قرطاً أي شنف السمع بالغناء المطرب ـ **السمر**: حديث الليل.

(٢) **الشكرى**: العين المغرورقة بالدمع.

(٣) **الخطب**: الأمر الجلل ـ **الردى**: الموت.

(٤) **الشِّعْرى**: نجمان بهذا الاسم: الشعرى الغميصاء والشعرى اليمانية.

(٩٨)
بين الرّعد والقَطْر

أَمـا ومَسِيـلِ مـاثِـلِ الغَيـثِ كـالسَّطـرِ، كما أَتْرَعَ الساقي الزُّجاجةَ بالخمرِ
لقـد بِـتُّ بيـنَ الـرَّعـدِ والقطـرِ أشتكـي بسَمعيَ من وَقرٍ، وظهريَ من وَقْرِ[١]
وهـا أنـا مَبْلُـولُ الجَنـاحِ مِـن الحَيـا يصُوب، ومذعور الفِراخ من الوَكْرِ[٢]
وأَسقَيَتُهـا مِـن دِيمَـةٍ إِثْـرَ دِيمـةٍ، فمالَت بها الجُدرانُ سَطراً على سطرِ
فمِن عارِضٍ يَسقي، ومن سقفِ مجلِس يُغَنِّي، ومـن بيـتٍ يَميـلُ مـنَ السُّكْـرِ[٣]
إذا مـا هَـوى رُكـنٌ فـأهْـوى، فـإنـنـي لأشجَى مِن الخَنساءِ تَبكي على صَخْرِ

(٩٩)
جَنَّةُ الخُلْدِ

يـا أَهـلَ أَنـدَلُـسٍ! للهِ دَرُّكُـمُ؛ مـاءٌ وظِـلّ وأَنهـارٌ وأَشجـارُ
مـا جنَّـةُ الخُلـدِ إلاَّ فـي ديـارِكُـمُ، ولـو تخيَّـرتُ هـذا كنـتُ أَختـارُ
لا تختَشُوا، بعدَ ذا، أَن تدخلوا سَقراً، فليسَ تُـدخَـلُ، بعـدَ الجنَّـةِ، النـارُ[٤]

(١٠٠)
صَحَّ الهوى

صَـحَّ الهـوى منـك، ولكنَّنـي أَعجَـبُ مـن بيـنٍ لنـا يُقـدَرُ
كـأنَّنـا فـي فَلَـكٍ دائـرٍ، فـأنـتَ تَخفـى، وأَنـا أظهَـرُ

---

(١) الوقر: الثقل، العبء الشديد.
(٢) الحيا: المطر ـ مذعور: من الذعر وهو الخوف الشديد.
(٣) العارض: السحاب الممطر ـ السّكر: يقصد النشوة.
(٤) سقر: من أسماء جهنم.

(١٠١)
أَيْكَةٌ خَفَّاقَةٌ

أَذِنَ الغَمَــامُ بـديمــةٍ وعُقــارِ، فـامـزُج لُجَينـاً، منهمـا، بنُضـارِ[١]

واربَـعْ علـى حُكـمِ الـربيـعِ بـأجـرعٍ هَـزِجِ النَّـدى، مـن مُفصِـحِ الأطيـارِ

نثَرت بحِجرِ الرَّوضِ فيه، يدُ الصَّبا، دُرَرَ النَّـدى ودراهــمَ الأنــوارِ[٢]

وهفَـت بتغـريـدٍ هنـالـكَ، أيكـةٌ، خَفَّـاقــةٌ بمهـبِّ ريـحِ عَـرارِ[٣]

(١٠٢)
تَعلَّقْتُهُ

تعلَّقْتُـهُ نَشـوانَ مـن خَمـرِ رِيقـه، لـه رَشفُهـا دونـي، ولـي دونَـه السُّكـرُ

تُـرقــرِقُ مــاءَ مُقلتــايَ ووجهُــهُ، ويُذكى ، على قلبي ووجنتهِ ، الجَمرُ

أرَقَّ نسيبــي فيــه رقَّــةُ حُسنِــهِ، فلـم أدرِ أيّ منهمـا، قبلَهـا، السِّحـرُ

وطِبنـا معـاً شعـراً وثَغـراً، كـأنَّمـا له مَنطِقي ثَغرٌ، ولي ثَغرٌ، ولي ثَغرُهُ شِعرُ

(١٠٣)
جنيتُ رَوْضاً

يصف الشاعر طوافه في جنّة المحبوب مفتوناً بمحاسن الشباب

لـم أَنـسَ ليلـةَ رُعـتُ سِربَـك زائـراً، فكــأنّمــا روَّعــتُ فيهــا جُــؤذُرا[٤]

فـأقمـتَ عِطفـاً أزوراً، وجلـوتَ وجهـاً أزهــراً، وأدرتَ طــرفــاً أحــوَرا[٥]

---

(١) **الديمة**: السحابة الممطرة ـ **العقار**: الخمر ـ **اللجين**: الفضة ـ **النضار**: الذهب.

(٢) **الحِجر**: الحضن ـ **الصّبا**: الريح الناعمة.

(٣) **هفت بتغريد**: خفقت ـ **الأيكة**: الشجر الكثير الملتف ـ **العرار**: بهار ناعم أصفر طيب الرائحة.

(٤) **الجؤذر**: الظبي.

(٥) **الأحور**: الذي فيه حور، وهو اشتداد بياض وسواد العين.

وضفا رداءٌ، من شبابك، ابيضٌ، ولربّما اعترضَ الحياءُ، فعصفرا[1]

وبدا هلالٌ، في نِقابك، طالعٌ، ولربّما انحدَر النِّقابُ، فأقمرا[2]

وجَنيتُ روضاً، في قِناعِك، أزهرا، وقضِيبَ بانٍ، في وِشاحِكَ، أثمَرا

ثم انثنيتُ، وقد لبِستُ مُصَندلاً، وطويتُ من خِلَعِ الظلامِ، مُعَنبرا[3]

والصُّبحُ محطوطُ النِّقاب، قد احتَبى في شَملةٍ وَرْسيَّةٍ، فتأزَّرا[4]

(١٠٤)

أفلاكٌ تُدارُ

وأراكةٍ ضرَبتْ سماءٍ، فوقَنا، تنَدَى، وأفلاكُ الكؤوس تُدارُ

حفَّت بدَوَحَتها مجرَّةُ جدْوَلٍ، نَثَرتْ عليه، نُجومَها، الأزهارُ

وكأنها، وكأنَّ جَدولَ مائِها، حسناءُ شُدَّ، بِخَصرها، زِنَّارُ

زفَّ الزُّجاجُ بها عروسَ مُدامةٍ تُجلى، ونُوَّارُ الغُصونِ نِثارُ

في روضَةٍ جِنْحُ الدُّجى ظلٌّ بها، وتجَسَّمتْ، نَوراً، بها الأنوارُ

غنَّاءَ يَنْشرُ، وشْيَهُ، البَزَّازُ لي فيها، ويَفْتُقُ، مِسكَه، العطَّارُ[5]

قامَ الغناءُ بها، وقد نضحَ النَّدى وجْهَ الثَّرى، واستَيقَظَ النُّوَّارُ

والماءُ، من حَلْيِ الحَياءِ، مقلَّدٌ، زَرَّت عليه جُيوبَها، الأشجارُ

---

(١) **ضاف الرداء**: طال ـ **عصفر**: صار بلون العصفر، وهو شبه أصفر اللون.

(٢) **النّقاب**: القناع، تجعله المرأة على مارن أنفها وتستر به وجهها ـ **أقمر**: تكشف عن قمر.

(٣) **المصندل**: ما طيب بالصّندل ـ والصّندل جنس شجر هندي أبيض الزهر، خشبه طيب الرائحة ـ الخلع: الأثواب ـ **معنبراً**: المطيب بالعنبر وهو من الطيوب التي يميل لونها الأصفر إلى السّواد ـ **والبيت ينطوي على افتنان في التشبيه** فقد مثل ضوء الصباح بالصندل لبياضه وسواد الليل بالعنبر لميله إلى السّواد.

(٤) **الشملة**: ما يلتف به من الثياب ـ **الورسية**: الحمراء اللون ـ **تأزر**: لبس الإزار، وهو الرداء.

(٥) **البزاز**: بائع البز، والبز الثياب من قطن أو كتّان.

(١٠٥)

ما شاءَ الهوى

كتبتُ، وقلبي، في يَديك، أسيرُ   يُقيمُ، كما شاءَ الهَوى، ويسيرُ
وفي كلِّ حينٍ، من هَواك وأدمعي،   بكلِّ مكانٍ، روضةٌ وغديرُ

(١٠٦)

يُقَبِّلُ ثَغْرَه

يصف ساقياً أسود اللون فشبَّهه بابن الليل أو بكيس من الفحم.

رُبَّ ابنِ ليلٍ سَقانا،   والشمس تُطلِعُ غُرَّهْ[1]
فظلَّ يسوَدُّ لوناً،   والكأسُ تسطَعُ حُمرَهْ
كأنَّهُ كيسُ فحمٍ،   قد أُوقِدَت فيه جَمرَهْ[2]
وللمُدامِ مُديرٌ،   يشُبُّ جَمرةَ خَمرَهْ
تضاحكت عَن حَبابٍ،   يقبِّلُ الماءُ ثَغرَهْ[3]
فظِلتُ آخُذُ ياقوتةً،   وأَصرِفُ دُرَّهْ[4]
حتى تثنَّيتُ غُصناً،   واصفرَّتِ الشمسُ نُقرَهْ[5]
وارتدَّ للشمسِ طرفٌ،   به منَ السُّقمِ فترَهْ
يجولُ للغَيمِ كُحلٌ   فيه، وللقَطرِ عَبرَهْ

---

(١) أراد بابن الليل: الساقي الأسود اللون.

(٢) كأنه: أي السّاقي وقوله: كأنه كيس فحم: من باب التشبيه لانحناء ظهره واسوداد لونه.

(٣) الحباب: ما يعلو المدام والماء ونحوها من فقاقيع بيضاء.

(٤) أراد بالياقوتة: الخمر لاحمرارها وأراد بالدرّة الحباب لبياضه.

(٥) النقرة(هنا): سبيكة الذهب.

(١٠٧)
حمامةُ أَيْكَةٍ

ونشــوانَ غنَّتــه حَمــامــةُ أيكــةٍ، على حين طَرفُ النجم قد همَّ أن يكرَى[١]
فهـبَّ، وريحُ الفجرِ عـاطـرةُ الجَنى، لطِيفَـةُ مَـسِّ البَـردِ، طيّبَـةُ المَسـرَى
وطـافَ بهـا، والليْـلُ قـد رَثَّ بُـردُه، وللصبح في أُخرى الدجى منكِب يعرَى[٢]
وأصغـى إلـى لحـنٍ فصيـحٍ يهُـزُّه، كمـا هَـزَّ نَشـرُ الـريـحِ رَيحـانـةً سَكرَى
تَهَـشُّ إليـه النفـسُ، حتـى كـأنَّـه، علـى كبِـدٍ نُعمـى، وفـي أُذُنٍ بُشـرَى

(١٠٨)
رَشْفَةٌ

وليـلٍ طـرقـتُ المـالكيّـةَ، تحتَـه، أجَـدَّ، علـى حُكـمِ الشَّبـابِ، مَـزارا
فخـالطـتُ أطـرافَ الأسنّـةِ أنجمـاً، ودُسـتُ لِهـالاتِ البـدورِ دِيـارا
فلـم يـكُ إلاَّ رَشفـةٌ واعتنـاقـةٌ؛ ويُعجِبُنـي أنـي أعُـفُّ إزارا

(١٠٩)
يَسْري في فَرْوَةٍ

يصف ذئباً طاف به وهو سار وسط الظلماء

ومَفـازةٍ، لا نَجـم فـي ظَلمـائِهـا يَسـري، ولا فلَـكٌ بهـا دَوَّارُ[٣]
تتلهَّـبُ الشِّعـرى بهـا، وكـأنهـا، فـي كـفِّ زَنجـيِّ الـدُّجـى، دينـارُ
تَـرمـي بـه الغِيطـانُ فيهـا والـرُّبـى، دُوَلاً، كمـا يَتَمَـوَّجُ التَّيـارُ[٤]

---

(١) **يكرى**: ينام، من الكرى وهو النوم.

(٢) **البرد**: الثوب، ورث برده: بلي: **المنكب**: الكتف: للصبح منكب يعرى: كناية عن انبلاج الصبح وطلوع الفجر.

(٣) **المفازة**: الفلاة الخالية من الماء والإنس.

(٤) **الغيطان**: جمع غوطة، الأرض الكثيرة الشجر والماء ـ دولاً: أي بصورة متداولة.

قـد لفَّنـي فيهـا الظَّـلامُ، وطـاف بـي ذِئـبٌ، يُلِـمُّ مَـعَ الـدُّجـى، زَوَّارُ
طَـرَّاقُ سـاداتِ الـديـارِ، مُسـاورٌ، خَتَّـالُ أبنـاءِ السُّـرى، غَـدَّارُ[1]
يَسري، وقد نَضَحَ النَّدى وجهَ الصَّبا، فـي فَـروةٍ قـد مَسَّهـا اقشِعـرارُ[2]
فعشَوتُ في ظَلمـاءَ، لـم تُقـدَح بهـا، إلاَّ لمُقلتـهِ وبـأسـي، نـارُ[3]
ورَفلتُ في خُلَعٍ عليَّ من الـدُّجى، عُقِـدَت لهـا، مـن أنجـمٍ، أزرارُ[4]
والليـلُ يَقصُـرُ خَطـوَه، ولـربَّمـا طـالـت ليـالي الرَّكـبِ، وهـي قِصـارُ
قـد شـابَ مـن طـرفِ المجـرَّةِ مَفرِقٌ فيهـا، ومـن خَـطِّ الهـلالِ عِـذارُ

(١١٠)

فُتاتَهُ مِسْكٍ

يصف الخال في صحن خدّ المحبوب

أَلَـمَّ يُسقِّيـنـي سُـلافَـة ريقـه، وطـوراً يحيِّينـي بـآس عِـذارِ[5]
فنِلـتُ مُـرادَ النَّفـس مـن أُقحـوانـةٍ، شَمَمْـتُ عليهـا نَفحـةً لِعَـرارِ[6]
ووَجهٍ تَخالُ الخالَ، في صحنِ خدّه، فُتـاتَـة مِسـكٍ، فـوقَ جُـذوةِ نـارِ

(١١١)

ضَيْفٌ طَارِقٌ

يـا حَبَّـذا، والطَّيـفُ ضَيـفٌ طـارقٌ، طيـفٌ علـى شَحـطٍ أَجـدَّ مَـزارا[7]

---

(١) الذئب المساور: الجسور على النّاس، أيضاً: السوّار: شارب الخمر الذي يواثب نديمه إذا سكر.

(٢) يسري: يسير ليلاً ـ يصف ما أصابه من اقشعرار في تلك الليلة الباردة.

(٣) عشا إلى النار: قصدها.

(٤) رفل: ماس زهواً ـ الخلع: الأثواب ـ شبّه النجوم بأزرار الثوب للمعانها وسط ظلام الليل.

(٥) السلافة: الخمر، والمراد خمرة ريق المحبوب.

(٦) العرار: زهر البهار الطيب الرائحة.

(٧) الشحط: النّوى، البعد.

تَلـوي الشَّمـالُ بـه قضيبـاً، ربَّمـا ... عـاطَـى بسُـوسـانٍ، هنـاكَ، عَـرارا

فلَثمـتُ، فيمـا قـد لثمـتُ، عَـلاقـةً، ... خـدّاً يسِيـلُ مـعَ العُقـارِ عُقـارا

مـا إِن دَرَيـتُ، وقـد نعِمـتُ بلَثمـهِ، ... مـاذا رأيـتُ أجنَّـةً أم نـارا

(١١٢)

يجْرَحُني طرفُه

يصف فاتنة قلبه، تميس بأعطافها كشجرة بان فينانة ظليلة.

يـا بـانـةً، تَهتـزُّ، فينـانـةً، ... وروضـةً، تنفَـحُ، معطـارا[١]

للهِ أعطـافُـكِ مـن خُـوطـةٍ؛ ... وحَبَّـذا نَـورُك نُـوّارا[٢]

عَلِقـتُ طَـرْفـاً فـاتنـاً، فـاتـراً، ... منـك، وغِـرّاً منـك غَـرَّارا

ونـابـلاً، مستـوطنـاً بـابـلاً، ... نفَّـاثَ لَحـظِ العيـنِ، سَحّـارا[٣]

إذا رنـا يَجـرحُنـي طَـرفُـه، ... لحَظتُـه أجـرحُـه ثـارا

فيصبُـغُ الـدرُّ عَقيقـاً بـه، ... وأصبـغُ النُّـوّارَ أزهـارا

وجـهٌ بـه مـن بِـدَعِ الحُسـنِ مـا ... يُقيـم، للعُشّـاقِ، أعـذارا

قـد طَبَـعَ الحسـنُ بـه دِرهمـاً، ... تسبُـكُ منـه العيـنُ دينـاراً

مـن يَلـقَ مـن لاعـجِ وجـدٍ بـه ... رِيحـاً، فقـد لاقيـتُ إعصـارا

تخفِـقُ أحشـائـي بـه دوحَـةً، ... وتنثُـرُ الأعيـنُ نُـوّارا

تـدورُ بـالأعيـنِ، مـن وجهِـه، ... كَعبـةُ حُسـنٍ، حيثُمـا دارا

فلـي بـه عيـنٌ مَجُـوسيّـةٌ، ... تعبُـدُ، مـن وَجنتِـه، نـارا

---

(١) **البانة**: جمع البان: شجر لين تشبه به قدود النساء ـ **الفينانة**: الشجرة الظليلة وأراد هنا المرأة الطويلة الشعر من باب الاستعارة المكنية.

(٢) **الخوطة**: استعارة للمرأة الناعمة.

(٣) **النّابل**: **الطرف (أي العين) الذي يرمي بلحظه نبالاً**.

(١١٣)
العَيْشُ مُدامٌ

إنَّمــا العيــشُ مُــدامٌ أحمــرُ، قــامَ يَسقيــهِ غــلامٌ أحْــوَرُ
وعلــى الأقــداحِ والأدواحِ، مِــن حَبَــبٍ، نــورٌ، وتِبــرٌ أَصفَــرُ
فكــأنَّ الــدَّوحَ كــاسٌ أَزْبَــدت؛ وكــأنَّ الكــاسَ دَوحٌ مُــزهِــرُ

(١١٤)
زَفَفْتُها بكراً

نــدَّى النسيــمُ، فمــا أَرقَّ وأعطَــرا؛ وهَفَــا القضيــبُ، فمــا أغــضَّ وأنضَــرا
فــزفَفتُهــا بِكــراً، إذا قبَّلتُهــا أَلقَــت، علـى وجهـي، قِنـاعـاً أحمَـرا
ورَفلــتُ بيــن قميــصِ غَيــمٍ هلْهــلٍ، ورداءِ شمــسٍ، قــد تمــزَّق، أصفَــرا
والــريــحُ تنخُــلُ، مِــن رَذاذٍ، لــؤلــؤاً رَطبــاً، وتفتِــق، مــن غَمــامٍ، عَنبَــرا

(١١٥)
لثَمْتُها كَلفًا بها

يصف زهرة كلف بها.

أرأيـــــــــتَ أيَّ بُنَيّــــــــةٍ، تُعــزى إلــى الــروضِ النضِيــرِ[١]
أهــــدى الــــربيــــعُ صغيــــرةَ منهــا، تَهَــشُّ إلــى الكبيــرِ
فلثمتُهــــا كلَفــــاً بهــــا؛ والشَّيــخُ يكلــفُ بــالصغيــرِ

(١١٦)
لاذَ به النّسر

يصِف ركوبَه متن الليل، وفي الآفق جبل شامخ الذرى. . .

وصَهــوةِ عــزمٍ قــد تمطَّيــتُ، والــدُّجــى مُكِبٌّ، كأنَّ الصبح، في صدره، سِرُّ[٢]

---

(١) **البنيّة**: كناية عن الزهرة بوصفها ابنة الطبيعة.

(٢) **الصهوة**: ظهر المطيّة، كنّى بها عن سعيه إلى المطامح ـ تمطى: امتطى، ركب.

وقد ألحفتني، شَملةَ الظِلِّ، شمألٌ، يقلقلُ أحشاءَ الأراكِ بها ذُعرُ[1]

وأشرفَ طَمَّاحُ الذؤابةِ، شامخٌ، تنطَّقَ، بالجَوزاءِ، ليلاً، له خَصرُ[2]

وقورٌ على مَرّ الليالي، كأنَّما يُصيخُ إلى نجوى، وفي أُذنِهِ وَقرُ

تمهَّدَ منه كلُّ رُكنٍ رَكانةً، فقطَّبَ إطراقاً، وقد ضَحِكَ البدرُ

ولاذَ به نَسرُ السماءِ، كأنَّما يَحِنُّ إلى وَكرٍ به ذلك النّسرُ

فلم أدرِ من صَمتٍ له، وسكينةٍ، أَكَبرةُ سِنٍّ وقَّرَت منه أم كِبرُ؟

(١١٧)
فَضَح الغزالَة

ومُهفهفٍ طاوي الحَشا، خِنِثِ المَعاطفِ والنَّظَرْ[3]

ملأ العيونَ بصورةٍ، تُليَت محاسنُها سُوَرْ

فإذا رَنا، وإذا مشى، وإذا شدا، وإذا سَفَرْ[4]

فضحَ الغزالةَ، والغَمامةَ، والحَمامةَ، والقَمرْ[5]

(١١٨)
بَحْرُ لَيْلٍ طما

يا ليلَ وَجدٍ بنَجدٍ، أَما لطَيفِك مسرَى؟

وما لدمعي طليقاً، وأنجمُ الليلِ أَسرَى؟

---

(١) ألحفتني: ألبستني ـ الشملة: الرداء وما يلتف به الجسم ـ الشمأال: ريح الشمال ـ الأراك: شجر يستاك به، جمع أراكة.

(٢) أراد بالأشرف: الجبل العالي المشرف ـ وقوله: طمّاح الذّوائب استعارة لقممه العالية ـ الجوزاء: نجم.

(٣) المهفهف: الدقيق الخصر ـ طاوي الحشا: ضامر ـ خنث المعاطف: ليّن الأعطاف.

(٤) رنا: نظر ـ سفر: كشف عن محاسن وجهه.

(٥) وصف في هذا البيت مفاتنه وشبهه بالغزالة جيداً وبالغمامة بياضاً، وبالحمامة رقة وصوتاً، وبالقمر حسناً وطلعة.

وقـــد طمـــى بحـــرُ ليـــلٍ، لـــم يُعقِـــبِ المَـــدَّ جَـــزرًا
لا يَعبُـــرُ الطـــرفُ، فيـــه، غيـــرَ المجـــرَّةِ جِســـرًا

(١١٩)
بِتُّ أُناجِيه

وأغيـــدٍ حُلـــوِ اللَّمـــى، أملَـــدٍ، يُـــذكَـــى علـــى وَجنتِـــه الجَمـــرُ[١]
بِـــتُّ أُنـــاجِيـــه، ولا رِيبـــةٌ تَعلَـــقُ بـــي فيـــه، ولا وِزرُ[٢]
والليـــلُ سِتـــرٌ، دونَنـــا، مُـــرسَـــلٌ، قـــد طَـــرَّزَتـــهُ أنجـــمٌ حُمـــرُ
أبكـــي، ويَشجِينـــي، ففـــي وَجنتـــي مـــاءٌ، وفـــي وَجنتِـــه خَمـــرُ
وأَقـــرأُ الحُســـنَ بـــه سُـــورةً، كـــانَ لهـــا، مـــن وجهِـــه، عَشـــرُ[٣]
وبـــاتَ يَسقِينـــيَ، تحـــتَ الـــدُّجـــى، مشمـــولـــةً، يمـــزُجُهـــا القَطـــرُ
وابتَسمَـــتْ، عـــن وجهِـــه، ليلـــةٌ، كـــأنَّـــه، فـــي وجهِهـــا، ثَغـــرُ

(١٢٠)
زوّار مع الليْل

يصف الذئب في ليلة داجية.

سَرى يرتمي، ركضاً به، كلَّ مَوجةٍ، تَـرامـى بهـا بحـرٌ مـن الليـلِ أخضـرُ[٤]
ولا صـاحـبٌ إلّا طـريـرُ مُهنَّـدٍ، ومُعتـدِلٌ لَـدْنُ المَهـزَّةِ أَسمَـرُ[٥]
وأطلـسُ زَوَّارٌ، مـعَ الليـلِ، أَغبَـشٌ، سَرَى خَلفَ أستارِ الـدُّجى، يتنكَّـرُ[٦]

---

(١) **اللمى**: سمرة الشفاه ـ **أملد**: ناعم ـ **يذكى**: يوقد ـ **يذكي الجمر**: شبه حمرة وجنتيه بالجمر المتوقد.
(٢) **الريبة**: الشك ـ **الوزر**: الذنب العظيم.
(٣) **في هذا البيت** تلميح إلى آيات القرآن العواشر في نهاية العشر.
(٤) **بحر الليل الأخضر**: أي الليل الأسود.
(٥) **المهند الطرير**: السيف المشحوذ ـ **اللدن الأسمر**: الرمح اللين.
(٦) **الأطلس**: الذئب الأغبر اللون المائل إلى السّواد ـ **الأغبش**: أي لونه أبيض يخالطه سواد.

تثاءَبَ من مَسِّ الطَّوى، فهو يشتكي، فيَعـوي، وقـد لفَّتـه نكبـاءُ صَـرْصَـرُ[1]
ودونَ أمـــانيـــه شَـــرارةُ لَهْـــذَمٍ، يُقلِّـبُ فيهـا مثلَهـا، حيـنَ ينظُـرُ[2]
فمِـن جَـوعـةٍ تُغـرِيـهِ بـي، فهـوَ مُـدَّنٍ؛ ومِـن رَوعـةٍ تُثنيـهِ عنّـي، فيُقصِرُ[3]

(١٢١)
أيُّها الصَّبُّ

يـا أيهـا الصَّـبُّ المُعنَّـى بـه، هـا هُـوَ لا خَـلٌّ ، ولا خمـرُ
سـوَّدَ مـا وَرَّدَ مـن خَـدِّه، فعـاد، فَحمـاً، ذلـك الجَمـرُ

(١٢٢)
السُّهى والقَمْر

بهـرتِ جمـالاً، فـرُعـتِ البَصَـرْ، وذُبـتُ سَقـامـاً ففُـتُّ النَّظَـرْ[4]
فصـرتُ، إذا أمكَنـتْ لُقيـةٌ، أُريـكِ السُّهـى، وتـريني القَمـرْ[5]

(١٢٣)
كأنّه مركب

تَقَبَّـلِ المُهـرَ مـن أخـي ثِقـةٍ، ارسـلَ ريحـاً بـه إلـى مَطـرِ
مشتمِـلاً بـالظَّـلامِ مـن شِيَـةٍ، لـم يشتمِـل ليلُهـا علـى سَحَـرِ[6]
منتسِبـاً لـونُـه وغُـرّتُـه، إلـى سَـوادِ الفُـؤادِ، والبَصـرِ

---

(١) **الطوى**: الجوع ـ **النكباء**: الريح ـ **الصرصر**: الباردة.
(٢) **اللهذم**: سنان الرمح.
(٣) **مدّن**: دان، قريب ـ **الروعة**: الفزع ـ تثنيه: تمنعه من الإقدام.
(٤) **راعت البصر**: من الروعة وهي شدّة الافتتان ـ **فتُّ النظر**: كناية عن نحوله وسقمه الشديد الذي جعله خافياً عن الأنظار.
(٥) **اللقية**: اللقاء ـ **السهى**: كوكب خفي من بنات نعش الصغرى.
(٦) **الشية**: العلامة المميّزة.

تحسِبُـه، مـن عُـلاكَ، مستـرقـاً، بَهجـةَ مـرأى ، وحُسـنَ مختَبـرِ
حـنَّ إلـى راحـةٍ تفِيـضُ نَـدىً، فمـالَ ظِـلّ بـه علـى نَهَـرِ
تـرى بـه، والنشـاطُ يُلْهِبُـه، مـا شئـتَ مـن فَحمـةٍ، ومـن شَررِ[1]
لـو حَمَـلَ الليـلُ حُسـنَ دُهمَتـهِ، أَمتَـعَ طَـرْفَ المُحـبِّ بـالسَّهـرِ[2]
أحمَـى مـن النجـم، يـومَ معـركـةٍ، ظَهـراً، وأجـرى بـه مـنَ القَـدَرِ[3]
اسـودَّ وابيـضَّ فعلُـه كـرمـاً، فـالتفـتَ الحُسـنُ فيـهِ عـن حَـوَرِ
كـأنَّـه، والنفـوسُ تَعشَقُـه، مُـركَّـبٌ مـن محـاسـنِ الصُّـوَرِ
فـازدَدْ سَنـا بهجـةٍ بـدُهمتِـه، فـالليـلُ أذكـى لغُـرَّةِ القَمَـرِ
ومثـلُ شُكـري، علـى تقبُّلِـه، يجمَـعُ بيـنَ النسيـمِ والـزَّهَـرِ

(١٢٤)

في هَوَى مِثْلها

وبَيضـاءَ، فـي صفـراءَ، تحمِـلُ نَفْحَـةً تنَفَّس عنها المَندَلُ الرطبُ والجمرُ[4]
خَلَعـتُ رِداءَ الصَّبـر فيهـا عـلاقـةً، ويَحسُنُ، إلاَّ في هَـوى مِثلِهـا، الصَّبرُ
وَلا غـروَ أَنْ تَـروى بهـا عيـنُ نـاظـرٍ، وبـاطِنُهـا مـاءٌ وظـاهِـرهـا خَمـرُ[5]

(١٢٥)

الفرس النّاري

وحُسـامٍ بكـفِّ أشـوسَ، أجـرى فـي الطُّلـى مـاءَه، وأضـرمَ نـارَهْ[6]

---

(١) من فحمة: إشارة إلى سواد لونه ـ الشّرر: كناية عن شدّة جريه وحركته.

(٢) الدهمة: السواد.

(٣) أحمى: أكثر حماية ـ أجرى: أكثر سرعة.

(٤) المندل: عود البخور.

(٥) تروى: ترتوي.

(٦) الأشوس: الناظر بمؤخر عينه ـ الطُّلى: جمع الطلاة: الجيد.

عطَفَ الضربُ منه عارضَ شيبٍ، فانجَلى يَخضِبُ النجيعُ عِذارَهْ[1]
فوق وِردٍ، محجَّلٍ، مَزجَ الحُسنُ، بمرآه، ماءَه وعُقارَهْ[2]
خلَّصَتهُ نارُ الطَّبيعةِ سَبْكاً؛ وأسالَتْ لُجَينَه، ونُضارَهْ[3]
قدحَ الركضُ زَندَهُ فاستطارتْ، في دُخانِ العَجاجِ، منه، شرارَهْ
يَضحَكُ الحَليُ، فوقَه، عَن أَقاحٍ، نَثَرَتهُ الصَّبا على جُلَّنارَهْ[4]

(١٢٦)
مَلأَ المَسامعَ مَحاسِناً

ومغرِّدٍ، هزِجِ الغناء، مطرِّبٍ، يُلقى به ليلُ التمامِ، فيَقصُرُ[5]
سفَرَ الشبابُ لنا به عن غُرَّةٍ، يُرمى بها ليلُ السِّرارِ، فيُقمِرُ[6]
غازَلتُه حيثُ المُدامةُ والحَبابةُ وَجْنةٌ تَدمَى وَعَينٌ تَنظُرُ[7]
والمُزنُ طِرفٌ، جال يَصهل، أشهَبٌ؛ والبَرقُ جُلّ قد تَمَزَّقَ أَحْمَرُ[8]
فكأنَّهُ، والسكرُ يَلوي عِطفَه، غُصنٌ تُعانِقه الرِّياحُ، مُنَوِّرُ
ملأ المسامِعَ والعُيونَ مَحاسِناً، فَلَمْ أَدْرِ! هَلْ أُصْغِي إِليهِ أَمَ انظُرُ

---

(١) **العارض هنا**: الخد والعارض أصلاً السحاب ـ **يخضب**: يصبغ ـ **النجيع**: الدم ـ، **العذار أصلاً**: جانب الوجه والمراد هنا عذار السيف.

(٢) **الورد**: الفرس المائل إلى الاحمرار ـ **العقار**: الخمر.

(٣) **اللجين**: الفضّة ـ **النضار**: الذهب.

(٤) **الحليّ**: السرج أو ما يماثله ـ **الجلّنار**: زهر الرمان شبه به لون الفرس النّاري.

(٥) **يصف مغنياً** حسن الصوت من سمعه ليلاً لم يحسّ بطول الليل.

(٦) **ليل السّرار**: الليلة الأخيرة من الشهر القمري، وهي غير مقمرة.

(٧) **المدامة**: الخمر ـ **الوجنة**: صفحة الوجه وقوله تدلى: اشارة إلى إحمرار خدّيه.

(٨) **الجُلّ**: السرج أو ما يشبهه.

(١٢٧)

هِيَ الظّبْيُ

وقَوراءَ بيضاءِ المَحاسِنَ، طَلْقَةٍ، لَبِسْتُ بِها اللَّيلَ البَهيمَ نَهارا[١]

يَزُرُّ عليها الصُّبحُ، نُوراً، قَميصَه، وقد لبِسَ الجَوُّ الظَّلامَ صِدارا[٢]

هَززتُ، لأغصانِ القُدودِ، معاطفاً بها، ولِرُمّانِ النهودِ ثِمارا

فسَقيْاً لأيامٍ، هُناك، تَقلّصَتْ ذُيولاً على حُكمِ الشَّبابِ قِصارا

إذا شِئتُ غنّاني وِشاحٌ وحِليَةٌ لِحسناءَ، غَصَّتْ دُمْلُجاً وسِوارا

هي الظَّبيُ طَرْفاً أحوَراً، ومَلاحِظاً مِراضاً، وجِيداً أتلَعاً، ونِفارا[٣]

أَفاضَت، على عِطفِ القضيبِ، مُلاءَةً؛ ولفَّتْ، على ظهرِ الكثِيب، إزارا[٤]

وحيَّتْ بِآسٍ إثْرَ كاسٍ تُديرُها، فقبّلْتُ جِيداً مِنهُما وعِذارا

(١٢٨)

خَمْرُ الصّبا

وضيفِ طَيفٍ أمَّ مِن هاجرٍ، بَاتَ بِه المَشكُوُّ مشكُورَا

وقد جَلا الحُسْنُ لَهُ سُنَّةً، يُلقى بها المعْذولُ مَعذُورَا[٥]

وصَحْفةً تُنشَرُ مِن صفحة، رَأيتُ فيها الحُسنَ مسطُورَا

زار، وريحُ الفَجرِ قد قلَّصَتْ ذَيلَ غمامٍ، باتَ مَجرُورَا

وقلَّدتْ أَجيادَ تِلك الرُّبى دُرّاً، مِنَ النُّوّارِ، مَنثُورَا

والصبحُ قَد مزَّق، عن صَدرِه، جَيبَ ظَلامٍ، باتَ مَزْرُورَا

---

(١) قوراء: مستديرة، والمراد الدارة القوراء وهي التي يصفها في هذه الأبيات.

(٢) الصدار: القميص الساتر للصدر وليس له كمّان.

(٣) الجيد الأتلع: العنق العالي المشرئب.

(٤) يقول: إن قامتها المديدة كالقضيب وردفاها كالكثيب من الرمل لامتلائهما.

(٥) السنّة: المحيّا، الوجه.

فـانجـابـت الـدُّهـمـةُ عـن شُهبَـةٍ، وآلَــتِ المِسكَــةُ كــافــورَا[1]
بحيــثُ خَيــلُ الليــلِ مطــرُودَةً، تحــت لِــواء الحُســن مَنشُــورَا
ثــمَّ مَضــى يُعشــى بــه خــاطِــري نــاراً، ويُغشــى نــاظِــري نُــورَا
كمــا انثَنــى غصــنُ النَّقــا أملــداً، والتَفَــتَ الجُــؤذُرُ مَــذعــورَا[2]
قــد أسكَــرتْ خمــرُ الصِّبــا عِطفَــه، فَمــادَ، فــي بُــردَيــهِ، مَخمــورَا
مُعَــربِــداً يَجــرَحُنــي طــرفُــه، وكــان ذنْــبُ السُّكــرِ مَغفــورَا
وأرْسَــلَ اللَّحظَــةَ مكســورةً مِــن تَــرَفٍ، والخُطــوَ مَقصــورَا
وســالَ قَطْــرُ الــدَّمــعِ فــي خــدِّه، فــرَفَّ روضُ الحُســنِ مَمْطــورَا

(١٢٩)

شُعْلَةُ نارٍ

يصف سَيْفاً باتراً فيبدو له لساناً من النار

ومُـرهَـفٍ كلِسـانِ النـارِ، مُنْصَلِـتٍ، يَشفي من الثّـارِ، أو يَنفِي مـنَ العـارِ[3]
تَخــالُ شُعْلَــةَ نــارٍ منــه طــائِــرةً في عارِضٍ، مِن عَجاجِ الخيلِ، مَوّارِ[4]
يَمضِي، فيَهْوي، وراءَ النَّقع، مُلتَهباً، كما تصَوَّبَ، يجري كوكبٌ ساري[5]
يَغشَــى، فتحـرُقُ نـارٌ فيـه مُـوقَـدةٌ تَحْمي، ويَغْرقُ مـاءٌ، فَـوقَـهُ، جـاري

(١٣٠)

نَثَرْتَ ثِمارا

يـا بـارِقـاً قـدَحَ الـزِّنـادَ، وعـارِضـاً مُتهَلِّـلاً ركِـبَ الـرِّيَـاحَ فَســارا[6]

---

(١) **الدهمة**: العتمة والظلام ـ **آلت**: صارت وتحوّلت ـ **المسكة**: سواد الليل بجامع السّواد ـ **الكافور**: بياض النهار بجامع الأشراق.
(٢) **الغصن الأملد**: الناعم ـ **الجؤذر**: ولد البقرة الوحشيّة.
(٣) **المرهف**: السيف الحادّ المضرب ـ **منصلت**: مسلول.
(٤) **تخال**: تحسب ـ **العجاج**: الغبار ـ **الموّار**: المتحرّك بقوة.
(٥) **النقع**: الغبار ـ **تصوّب**: انحدر.
(٦) **العارض**: السحاب الممطر.

قُـولاً لإِحْـوى، بـاللِّـوى، مُتَنَصِّـرٍ، عقَـدَ النُّحُـولُ، بخَصْـرِهِ، زِنَّـارا[1]
يـا غُصـنَ حُسـنٍ قـامَ يَنشـرُ فَـرعَـهُ وَرَقـاً، ويَفْتِـقُ نـورَه نُـوَّارا[2]
مـا كـان ضَـرَّكَ لـو هَصَـرتُـكَ ليلـةً، فنَثَـرْتَ، مـن قُبَـلٍ، علـيَّ ثمـارا[3]

(١٣١)

أَتَتْني بهِ النَّارُ

ومِثْلُـكَ مَـدَّ يميـنَ النَّـدى، بِعِلْـقٍ يُطِيـلُ عِنـانَ النَّظَـرْ[4]
بـأزرَقَ سـالَـتْ بـه صُفْـرةٌ، كمـا طـرَّزَ البـرقُ ثـوبَ السَّحَـرْ
أَتَتنـي بـه النـارُ فـي صُـورَةٍ، أَرى للجِنـانِ عليهـا صُـوَرْ
فطَـرفُـكَ مـا راقَ مِـن مَسْحَـةٍ عليـه، وللشَّمـسِ نُـورُ القَمَـرْ
فـإِنْ تَـكُ دهْمـاً ليـالـي النَّـوى، فـإِنَّ تحـايـاكَ فيهـا غُـرَرْ[5]

(١٣٢)

رَقَصَ القَضيب بها

مجلس شراب في جنبات حديقة فيحاء

وصقيلـةِ الأنـوارِ تَلـوي عَطفَهـا ريـحٌ، تلُـفُّ فـروعَهـا، مِعطـارُ[6]
عـاطـى بهـا الصَّهبـاءَ أحـوَى أحـورٌ، سحَّـابُ أذيـالِ السُّـرى، سحَّـارُ[7]
والنَّـورُ عِقـدٌ، والغصـونُ سـوالـفٌ، والجِـذعُ زَنـدٌ، والخُليـجُ سِـوارُ[8]

---

(١) **الأحوى**: ذو الحوّة وهي سمرة مستحبة في الشفة ـ **النحول**: ضمور الخصر.
(٢) **الفرع**: الشعر ـ **النور**: الزهر.
(٣) **هصرتك**: من هصر الغصن: أي لواه باتجاهه، وهو يلمح هكذا إلى اشتهاء قرب الحبيب وعناقه.
(٤) **العلق**: النفيس من كل شيء.
(٥) **الليالي الدهم**: السوداء ـ **التحايا**: جمع تحية السلام ـ **الغرر**: البيض.
(٦) **صقيلة الأنوار**: أي بيضاء الأزهار.
(٧) **الصهباء**: الخمر ـ سحار: فاتن.
(٨) **النّور**: الزهر ـ **السوالف**: شعر جانبي الوجه ـ **الجذع**: أصل الشجرة.

بحــديقــةٍ ظــلَّ اللَّمــى ظِــلاًّ بهــا، وتطلَّعَــت شَنَبــاً بهــا الأنــوارُ[1]
رقَصَ القضيبُ بها، وقد شرِب الثرى، وشـدا الحمـامُ، وصفَّـقَ التيَّـارُ
غَنَّـاءَ ألحـفَ عِطفَهـا الـورقُ النَّـدي، والتـفَّ فـي جَنبَـاتِهـا النُّـوّارُ[2]
فتطلَّعـت، فـي كـل مـوقـعِ لحظـةٍ، مـن كـلِّ غُصـن، صفحـةٌ وعِـذارُ

(١٣٣)

ومائِسَةٍ

ومـائسـةٍ تُـزهـى، وقـد خلـعَ الحيـا، عليها، حُلىً حُمراً، وأردِيةً خُضرا[3]
يــذوبُ لهـا ريـقُ الغَمـامـةِ فِضّـةٍ، ويجمُـدُ، فـي أعطـافهـا، ذهَبـاً نَضـرا

(١٣٤)

أروعَ، أمجدَ

وأروعَ، أمجــدَ، قــرَّظتُــهُ؛ وبيــضُ الـلآلـي لبيـضِ النّحـورِ[4]
وشَعشعــتِ الخمــرُ أَخــلاقَــه، فــأطلَعَهــا غُــرراً للبــدورِ
وهــاتيــك آدابُــه لُجّــةٌ، فمن لـي، وقـد زخَـرتْ، بـالعُبـورِ؟
ومــا أرغـتِ الكـأس فـي كفِّـه، ولكنهــا ضحِكــتْ عــن ســرورِ
إذا مــا جـرى، فـوقَ قُـرطـاسِـه، يَــراعٌ، جـرى حِبـرُه بــالحُبــورِ
فنلثُــم أَوضــاعَ تلـك الــرِّقــاعِ، ولُعـسَ مَـراشـفِ تلـك السُّطـورِ[5]
فهــل نِقسُــه مــن ســوادِ اللَّمــى، ومُهــرَقُــه مــن بيــاضِ الثُّغـورِ؟[6]

---

(١) **الشنب**: بياض الأسنان.
(٢) **الحديقة الغناء**: الكثيرة الأشجار.
(٣) **المائسة**: المتمايلة زهواً ـ **تزهى**: تتيه إعجاباً ـ **الأردية**: الحلل، جمع رداء.
(٤) **الأروع**: الذي يثير إعجابك بروعته ـ **قرّظ فلاناً**: مدحه وأطرى محاسنه.
(٥) **نلثم**: نقبل ـ **المراشف اللعس**: الشفاه التي فيها سواد مستحسن.
(٦) **النقس**: الحبر ـ **اللّمى**: السمرة المستحسنة في باطن الشفة.

(١٣٥)
أَحجَمْتُ عَنْ لمامٍ

بلغه أنّ أحد أصدقائه غمز من قناته فأنشد:

لك الخيرُ، أيُّ الخيرِ، في ردِّ صاحبٍ مُغيرٍ على عرضِ الصديقِ، مُغامرِ
يَهشُّ مع اللُّقيا إليَّ، كأنَّما أحُلُّ بربعٍ، للبَشاشةِ، عامرِ
ومَهما نأى، غامَت عليَّ سماؤُه، وجادت بصَوبٍ، للغَضاضةِ، هامرِ[1]
فجرَّ بلحمي، ظالماً، كلُّ ذاكرٍ؛ ولاكَ بعِرضي، مُضغةً، كلُّ سامرِ
وإني لألقى الرَّكبَ يهبِطُ أرضَه، بأذكى ثناءٍ من أريجِ المُجاهرِ
ويَطرُقُني، ضيفاً، معَ الليل، طَيفُه، فيكرَعُ في ماءٍ، من البِشرِ، غامرِ
فأغضيتُ إغضاءَ الكريمَ لِفتيةٍ كرامِ الحُلى، والمُنتمَى، والأواصِرِ
وأحجمتُ، جُبناً، عن لَمامٍ بعَتبةٍ، وإني لَمَطْويٌّ على بْأسِ عامرِ
وقلتُ، وحسنُ الصبرِ خيرُ مَغبَّةٍ: هنيئاً مريئاً، غيرَ داءٍ مُخامرِ
ولو شِئتُ رُعتُ القِرن، والبِيدُ بينَنا، بصَهلةِ خَوّارِ الأعنّةِ، ضامرِ

(١٣٦)
سَدِّد بلَفْظَةٍ

دعا بهذه الأبيات إلى توسيع مدارك أفهام الأطفال:

سَدِّدْ مرامي الطِّفْل، في شأنِه، بلفظةٍ تَشدُدْ بها أزرَهْ[2]
واكتَفِ باللَّمحةِ من فَهمِهِ، إنَّ المبادي، أبداً، نَزرَهْ[3]
أَما ترى النِّيرانَ من شُعلةٍ، والدَّوحةَ اللَّفّاءَ مِن بَزرَهْ[4]

---

(١) الغضاضة: من غضّ غضاضة من فلان: وضع من قدره ـ الهامر: المنصب.

(٢) سدّد: صوّب ـ المرامي: الغايات ـ شدّ أزره: أعانه وآزره.

(٣) نزرة: قليلة.

(٤) الدّوحة اللفاء: الضخمة.

(١٣٧)
ارمِ الكريهةَ بالكريمة

هـذا غُـرابُ دُجـاكَ يَنعَـبُ فـازجُـرِ، ... وعُبـابُ لَيلِـكَ قـد تَـلاطَـمَ فـاعْبُـرِ
واستَفَّ من نُطَف النجوم على السُّرى، ... والتَـفَّ فـي وَرَقِ الظَّـلامِ الأخضَـرِ[١]
والبَـسْ رِداءَ السَّيـفِ، وهــوَ مُطَـرَّزٌ، ... تحـتَ العَجـاجَـةِ، بـالنَّجِيـعِ الأحْمَـرِ
وَارْمِ الكَـريهـةَ بـالكَـرِيمـةِ، وارتَشِـف ... صَفـوَ الحَيْـاةِ مـنَ العَجـاجِ الأكـدَرِ[٢]

---

(١) **استف**: شرب بكثرة.

(٢) **الكريهة**: ما هو مكروه ـ **العجاج**: الغبرة.





قافية السين

(١٣٨)
فانْهَضْ بآمل

رفع ابن خفاجة هذه القصيدة إلى صديقه الفقيه عبدالله محمد ابن أحمد بن حمدين:

جـرِّرْ مُـلاءَةَ كـلِّ يَـوم شـامِـس؛ ... واسْحَـبْ ذُؤابَـةَ كـلِّ ليـلٍ دامِـسِ (١)
واطلُـعْ بكـلِّ فـلاةِ أرضٍ غُـرَّةً، ... غَـرَّاءَ، فـي وجـهِ الظـلامِ العـابِـسِ
وانـزِلْ بهـا ضَيفـاً لِلَيْـثٍ خـادِرٍ، ... يَقْـريـكَ، أو جـاراً لِظَبـيٍ كـانِـسِ (٢)
وإذا طَعِمْـتَ فمـن قَنِيـصٍ فِلـذَةً؛ ... وإذا شَـرِبْـتَ فمـن غَمـامٍ راجِـسِ (٣)
والـرِّيـحُ تَلْـوي عِطـفَ كـلِّ أَراكـةٍ، ... لَـيَّ السُّـرى، وَهْنـاً، لِعِطْـفِ النـاعِـسِ
وسَـلِ الغِنـى مـن ظَهـرِ طـرْفٍ أشقَـرٍ، ... يَطَـأُ القَتيـلَ، وصَـدْرِ رُمـحٍ داعِـسِ
وارْجُـمْ بـرأيِـكَ شَـدْقَ لَيـثٍ ضـاغِـمٍ، ... طَلَـبَ الثَّـراءَ، ونـابَ صِـلٍّ نـاهِـسِ (٤)
وارغَـبْ بنَفسِـك عـن مَقـامـةِ فاضِـلٍ، ... قـد قـامَ يَمْثُـلُ فـي خَصـاصَـةِ بـائِـسِ
فـالحُـرُّ مُفْتَقِـرٌ إلـى عـزِّ الغِنـى، ... فَقْـرَ الحُسـامِ إلـى يميـنِ الفـارسِ

---

(١) اليوم الشامس: الساطعة شمسه ـ الدامس: الحالك السواد.
(٢) الليث الخادر: القابع في خدره ـ الكانس: الذي لزم كناسه أي بيته.
(٣) القنيص: الصيد المقتنص ـ الغمام الراجس: السحاب الراعد.
(٤) الناهس: الناهش.

وإذا عَـزَمْـتَ، فـلا عَثَـرتَ بحـادِثٍ،
فـافْـزَعْ إلـى قـاضـي الجَمـاعـةِ، رَهبَةً،
واستَسْـقِ منـه، إن ظَمِئـتَ، غَمـامَـةً
فـإذا رَويـتَ بمـاءِ ذاكَ المُجْتلـي
مِـنْ آلِ حَمْـدِيـنَ الأولـى حَليَـتْ بهـم،
مِـن أُسْـرةٍ نَشـأوا غَمـائِـمَ أَزْمَـةٍ،
مُتطَلِّعِيـنَ إلـى الحُـروبِ، كـأنَّمـا
وجَـرَوا بمَيـدان المَكـارِمِ والعُلـى
وجَنَـوا ثمـارَ النَّصـرِ، مِـن غـرس القَنـا،
فَهُـمُ لُبـابُ المَجـدِ نَجـدَةَ أَنْفُـسٍ،
وهُـمُ رِيـاضُ الحَـزْنِ نُضْـرَةَ أَوجُـهٍ،
مِـن كُـلِّ أَرْوَعَ راعَ كـلَّ ضُبـارِمٍ
خـلعَ الثَّنـاءُ عليـه أكـرمَ حِلْيَـةٍ،
سَلِسُ الكـلامِ علـى السَّمـاعِ، كـأنَّـه
مـا إنْ يُمـازُ، مِـنَ الشِّهـابِ، طَـلاقَـةً،
تـركَ الأعـادِي بَيـنَ طَـرْفٍ خـاشِـعٍ
وزكـا فلـم يُطْـرَفْ بنَظـرَةِ خـائـنٍ،
مُتَقلِّـبٌ مـا بيـن عَـزمٍ غـارِسٍ
فـركِبـتَ منـه ظهـرَ صَعـبٍ شامِسٍ[1]
تَضَـعِ العِنـانَ بخيـرِ راحـةِ سـائِسٍ[2]
يَخضَـرُّ عنهـا كـلُّ عُـودٍ يـابِـسِ
فَحَـذارِ مِـن أُلهُـوبِ ذاكَ الهـاجِسِ[3]
قِـدْمـاً، صُـدورُ كَتـائِـبٍ ومَـدارِسِ
ولـربَّمـا طَلَعـوا بُـدُورَ حَنـادِسِ[4]
يَستَطلِعـونَ بهـا وُجـوهَ عَـرائِـسِ
وكـأنَّمـا رَكِبُـوا ظُهـورَ رَوامِـسِ[5]
بـأَكُفِّهِـمْ، ولَنِعْـمَ غـرسُ الغـارِسِ
وَذَكـاءَ أَلْبـابٍ، وطِيـبَ مَغـارِسِ
وجمـالَ أَرْدانٍ، وحُسـنَ مَجـالِـسِ
بـأسـاً، وذلَّـلَ نَفـسَ كـلِّ مُنـافِـسِ
يُزهَى بها، في الدَّسْتِ، عِطفُ اللاَّبسِ
سِنَـةٌ تَـرَقْـرَقُ بيـن جَفْنَـي نـاعِـسِ
حتـى تُمَـدَّ إليـهِ كـفُّ القـابِـسِ
لا يَستَقِـلُّ، وبيـنَ رأسٍ نـاكِـسِ
يـومـاً، ولم يُعْـرَفْ بعَهـدٍ خـائِـسِ[6]
لِلمَكْـرُمـاتِ، وبيـنَ حَـزْمٍ حـارِسِ

---

(١) **الشامس**: الحرن غير المنقاد.
(٢) **فزع إلى فلان**: لجأ إليه، احتمى به.
(٣) **روى**: أطفأ ظمأه ـ **الألهوب**: الحريق ـ **الهامس**: الخاطر.
(٤) **الحنادس**: جمع حندس، الظلام.
(٥) **الروامس**: الرياح التي ترمس الآثار أي تمحوها لما تحمل من الرمال.
(٦) **العهد الخانس**: الغادر.

وذكــاءُ فَهْــمٍ لــو تمثَّــل صــارِمــاً   لــم يــأتَمِــنْ، ظُبتَيــهِ، عــاتِــقُ فــارِس
ومَقــامُ حُكْــمٍ عــادِلٍ لا يَــزدَري،   فيــه، المُعَلَّــى خَطْــوهُ بــالنَّــافِــس[1]
ومَجــالُ حَــرْبٍ جَــرَّ فيــه لامَــةً،   قــد قــامَ منهــا فــي غَــديــرٍ حــامِــس[2]
يَطَــأُ العِــدى مــا بيــن نَصْــلٍ ضــاحِــكٍ،   تحــتَ العَجــاجِ، ووَجــهِ طِــرْفٍ عــابِــس
فــي حيــثُ يَلعَــبُ بــالقَنــاةِ، شهــامــةً،   لَعِبَ النُّعــامــى بــالقضيــبِ المــائِــس
أَحْسِــنْ بقُــرْطُبَــةٍ، وقــد حَمَلَــتْ بــه   حُسْــنَ الفَتــاةِ ولُبْــسَ خُلْــقِ العــانِــس
وتَتَــوَّجَــتْ بمنــار علــمٍ ســاطِــعٍ،   قــد قــامَ فــوقَ قَــرارِ دِيــنٍ آنِــس
وتُخــايَلَــتْ عِــزّاً بــه، فــي عِصْمَــةٍ،   صَحَّــتْ بهــا مــن كــلِّ داءٍ نــاخِــس[3]
يُــزهــى بِــرِيْــطٍ، للصبيحــةِ، أَبيَــضٍ،   تَنْــدى، وبُــرْدٍ، للعشيَّــةِ، وارِس[4]
فــانْهَــضْ أَبــا عَبــدِ الإلــه بــآمِــلٍ   قــد جــابَ دُونَــكَ كــلَّ خَــرقٍ طــامِــس[5]
عــاجَ الــرجــاءُ علــى عُــلاكَ بــه، فلَــمْ   يَعُــجِ المَطــيَّ بِــرسْــمِ رَبــعٍ دارِس
فاشْفَع لمُغتَرِبٍ رَجاكَ، على النَّوى،   يَمْــدُدْ إِلــى الخضــراءِ راحَــةَ لامِــس
وامْــدُد إِليــهِ بكــفٍّ جَــدٍّ قــائِــمٍ،   تَجــذِبْ بــه مِــن ضَبْــعِ جَــدٍّ جــالِــس[6]
فلَــرُبَّ يــومٍ قــد رفَعْــتَ بــه المُنــى،   ومَحَــوتَ فِيــهِ ســوادَ ظَــنِّ البــائِــس
وبَقِيــتَ تجتَلِــبُ النفــوسَ نَفــاســةً   وبشــاشــةً، ووُقيــتَ عَيــنَ النَّــافِــس[7]

---

(١) **النافس**: القدح الخامس من قداح الميسر، **والمعلّى**: السابع.
(٢) **الحامس**: الشديد الصلابة.
(٣) **الداء الناخس**: الداء المزعج، من نخست الدابة إذا هاجت.
(٤) **الريط**: الملاءة ـ **الوارس**: الأحمر اللون.
(٥) **الخرق الطامس**: الطريق الخفي غير الواضح.
(٦) **الضبع**: العضد.
(٧) **النافس**: الذي يحسد ويصيب بالعين، العائن.

(١٣٩)
أوجعتني كُرْبةٌ

أَفــي كــلِّ يــومٍ رَجفــةٌ لِمُلِمَّــةٍ بِفَقْـدِ خَليـلٍ، يَمـلأُ العَيـنَ، مُـؤْنسِ
أَبِيـتُ لـهُ تَنـدى جُفـونـيَ لَـوْعَـةً، كما دَمَعتْ، تحتَ الحَيا، عينُ نَرجِس
وحَسبِـي، إذا مـا أَوْجَعَتنَـي كُـرْبـةٌ، بِمُـؤْنِـسِ يَعقـوبٍ ومُنقِـذِ يُـونُــسِ[١]

(١٤٠)
وا شوقي

إنَّ لِلجَنَّــةِ، فــي الأنــدَلــسِ، مُجْتَلــى حُســنٍ ورَيَّــا نَفَــسِ
فَسَنــا صُبْحَتِهــا مِــن شَنَــبٍ؛ ودُجَــى ظُلمَتِهــا مِــن لَعَــسِ
فــإذا مــا هبَّــتِ الــرِّيــحُ صَبــاً، صِحــتُ: واشَــوقِـي إلـى الأنـدَلُـسِ!

(١٤١)
تروقُ العينَ

يصف جارية فيعدّد محاسنها وبهجة المجلس بها. . .

إمـا واعتِـزازِ السيفِ والضّيـفِ والنَّدى بخَيـرِ مَليـكٍ، هـشَّ فـي صـدرِ مجلِسِ
بَــدا بيــن كــفٍّ للسَّمــاحِ مُغيمَــةٍ، تَصُــوبُ، ووجــهٍ للطَّــلاقــةِ مُشمِــسِ
لقــد زَفَّ بِنتــاً، للخَميلــةِ، طَلْقَــةً، يَهُـزُّ إليهـا الـدَّسْـتُ أَعطـافَ مَغـرِسِ
تَنوبُ، عـن الحسناءِ والـدارِ، غُـربةٌ، فمـا شِئـتَ مِـن لهـوٍ بهـا وتَـأنُّـسِ
تُشِيـرُ إليهـا كـلُّ راحـةِ سُـوسَـنٍ، وتَشخَـصُ فيهـا كـلُّ مُقلـةِ نَـرجِـسِ
فحَفَّـتْ بهـا رِيـحٌ بَلِيـلٌ وربـوةٌ، بمَسـرى غَمـامٍ، جـادَهـا، مُتَبَجِّـس
فجـاءَتْ تَـرُوقُ العيـنَ فـي مـاءِ نُضْـرةٍ، تَشُنُّ، على أعطافِها، ثوبَ سُندُس[٢]

---

(١) يقول: حسبي الله مؤنس يعقوب وهو أبو أسباط بني إسرائيل، ومنقذ يونس وهو يونان الذي ابتلعه الحوت.

(٢) السندس: الحرير الأخضر اللون.

وتمــلأ عيــنَ الشمــسِ لألاءَ بهجَــةٍ وحُســنٍ، وأنْـفَ الـرِّيـحِ طِيـبَ تنفُّسِ

(١٤٢)

السّاقي الأسودُ

وكـأسِ أُنـسٍ قـد جَلَتْهـا المُنـى، فبـاتَـتِ النفـسُ بهـا مُغْـرِسَـهْ
طـافَ بهـا أَسـوَدُ مُحـدَودِبٌ، يُطـرِبُ مـن يَلهُـو بـه مجلِسَهْ
فخِلْتُـه، مـن سَبَـجٍ، رَبْـوةً قـد أنْبَتَـتْ مـن ذَهـبٍ نَـرْجِسَهْ[1]

(١٤٣)

شَهيّ الجَنى

يصف التّيـن فيفتـن في التشبيه ويتمثل شهده كريق الحبيب

أَمَـا واهتِصـارِ غُصُـونِ البَلَـسْ، وقـد قَلَّـصَ الصُّبـحُ ذَيـلَ الغَلَـسْ[2]
ومـالَ يَسِيـلُ جَنـى شَهْـدِه، كمـا سـالَ رِيـقُ حَبيـبٍ نَعَـسْ
لقـد سـاقَ، مـن رائـقِ المُجتَلـى، شهِـيَّ الجَنـى، مُستَطـابَ النَّفَـسْ[3]
فَهِمْـتُ لـه ببَيَـاضِ الثُّغـورِ، وأحبَبْـتُ فيـه سـوادَ اللَّعَـسْ

(١٤٤)

مَعْشوقَةُ الحُسْنِ

ومعشُـوقـةِ الحُسـنِ مَمشُـوقـةٍ، يَهيـمُ بهـا الطَّـرفُ والمَعْطِـسُ[4]
لهـا نُضْـرةٌ سِمْتُهـا نَظْـرةً، وتَكْلَـفُ، بـالأنفُـسِ، الأنفُـسُ
فمِـن مـاءِ جَفْنـي لهـا مَكـرَعٌ فَسِيـحٌ، ومـن راحتـي مَغْـرِسُ

---

(١) السبج: نوع من الخرز الأسود ـ النرجسة: كناية عن كأس الخمرة المذهبة.
(٢) البلس: ثمر التين ـ الغلس: حلكة آخر الليل.
(٣) المجتلى: الظاهر للعين.
(٤) المعطس: الأنف.

(١٤٥)

فَرَسٌ أَشْقَرُ

وأشْقــرٍ تُضْــرَمُ منــه الــوَغَــى، بشُعْلــةٍ مــن شُعَــلِ البــاسِ
مِــن جُلّنــارٍ نــاضــرٍ خــدُّه، وأُذْنُـــه مِـــن وَرَقِ الآسِ
تَطْلُــعُ للغُــرَّةِ، فــي وجهِــهِ، حَبــابَــةٌ تَضحَــكُ فــي كــاسِ

(١٤٦)

لَوْلا الحَيَاء

قال يصف حنينه إلى الشراب بعد أن أقلع عنه.

يــا حبَّــذا نــادِي النِّــدامِ، ومُجتَلــى سـرِّ السُّـرورِ بـهِ، ومَسْلـى الأنفُـسِ
ولَئِـن كَفَفْـتُ عـنِ المُـدامِ، فـإنَّ لـي نَفسـاً تَهَـشُّ بِصَـدْرِ ذاكَ المَجْلِـسِ
لـولا الحَيـاءُ مِـنَ المَشِيـبِ لَقَبَّلَـتْ ثَغـرَ الحَبـابِ بـهِ، وَعَيـنَ النَّـرجِسِ

(١٤٧)

شأنُ مِثلي

غَيـريَ مـنَ يَعَتـدُّ، مـن أُنسِـهِ، مـا نـالَ مِـن سـاقٍ ومِـن كـأسِـهِ
وشَـأنُ مِثلـي أَن يُـرى خـالِيـاً بِنَفْسِـهِ، يَبْحَـثُ عـن نَفسِـه

(١٤٨)

دَرَسُوا العُلومَ

دَرسُـوا العُلـومَ لِيَملِكُـوا بِجِدالِهِـمْ، فيهـا، صُـدُورَ مَـراتِـبٍ ومَجـالِسِ
وتَـزَهَّـدوا، حتـى أَصـابُـوا فُـرصَـةً فـي أَخـذِ مـالِ مَسـاجِـدٍ وكَنـائـسِ

قافية الصَّاد

(١٤٩)

ربّ ذَيْلٍ . . . سَحَبْتُهُ

ألا إنَّهـا سِـنّ تَـزيـدُ فـأنقُـصُ؛ وَنَفْضَـةُ حُمَّـى تَعْتَـريني فـأرقُـصُ
فهـا أنـا أمْحُـو مـا جَنَيتُ بعَبْـرَتـي، وانْظُـرُ، فـي مـا قـد عمِلـتُ، أُمَحِّـصُ
وألْمـحُ أعقـابَ الأمـورِ، فـأرعَـوي، ويُعْمـى علـيَّ الأمـرُ طَـوراً، فـأفحصُ
ويـا رُبَّ ذَيـلٍ للشَّبـابِ سَحَبْتُـه، ومـا كنـتُ أدري أنَّـه سيُقَلَّـصُ
ولمحَـةِ عَيـشٍ بيـن كـأسٍ رَويَّـةٍ تُـدارُ، وظَبْـيٍ بـاللِّـوى يَتَقنَّـصُ
ألا بـانَ عَيشٌ كـان يَنْـدى غَضـارةً؛ فيـا ليـتَ ذاك العيشَ لـو كـان يَنكـصُ!
وعِـزُّ شبـابٍ كـان قـد هـانَ بُـرهـةً؛ أَلا إنَّهـا الأعْـلاقُ تَغلُـو وتَـرخُـصُ
فمَـن مُبلِـغٌ تلـكَ اللَّيـالـي تَحيَّـةً تُعَـمُّ بهـا طَـوراً، وطـوراً تُخَصَّـصُ
علـى حيـنَ لا ذاكَ الغَمـامُ يُظِلُّنـي، ولا بَـرْدُ تلـكَ الـرِّيـح يَسـري ويَخلُـصُ
وقد طَلَعَتْ، للشَّيب، بِيضُ كواكبٍ، أُقَلِّبُ فيهـا نـاظِـري، أتَخـرَّصُ[1]
كـأنْ لـم أُقَبِّـلْ صَفحـةَ الشَّمـس لَيلـةً؛ ولم يَنتَعِلْ بي، دونها، الشمسَ، أخمَصُ[2]
ولا بِـتُّ مَعْشُـوقـاً، تَطِيـرُ بـأضْلُعِـي قَطـاةٌ، لهـا بيـن الجَـوانِـح مَفحَـصُ

---

(١) أتخرص: من التخرّص وهو الظنّ وعدم القدرة على اليقين.

(٢) الأخمص: باطن القدم الذي لا يصيب الأرض.



قافية الضّاد

(١٥٠)

مَضَى . . فانْقَضى

أَلا مَضى عَصْرُ الصِّبا، فانْقَضى؛ وحَبَّذا عَصْرُ شبابٍ مَضى

بِتُّ به تحتَ ظِلالِ المُنى، مُجتَنِياً منهُ ثِمارَ الرِّضا

ثمَّ مَضى أَحسِبُه كَوكَباً مُنكَدِراً، أو بارِقاً مُومِضا

فما تَصَدّى يَنْتَحي مُقْبِلاً، حتى تَولّى يَنْثني مُعْرِضا

ومرَّ لا يَلْوِي، وما ضَرَّ مَنْ أَعْرَض لَوْ سلَّم، أَوْ عَرَّضا

وإنما ضاءَ، بِلَيلِ الصِّبا، صُبحُ مَشِيبٍ، ساءَني أَنْ أَضا

لاحَ، ففي عَيْنَيَّ نُورُ الهُدى منه، وفي قَلبِيَ نارُ الغَضا[٢]

وابيَضَّ مِن فَودِي به أَسوَدٌ، كُنتُ أَرى اللَّيلَ بهِ أَبْيَضا[٣]

---

(١) أعرض: أضرب وصدّ ـ عرّض (به): عناه ولم يصرّح أشار إليه.

(٢) الغضا: شجر ناره لا تخمد سريعاً.





قافية العين

(١٥١)

اللهُ يُعْطي ويَمْنَع

قالها مادحاً القائد، أبا إسحاق ويذكر محاصرته لحصن المؤريلة، ويهنئه بتقلده كورة اشبيلية:

أَرَأيُـكَ أَمْضـى أَمْ حُسـامُـكَ يَقْطَـعُ، ومَـرْآكَ أَبْهـى أَم حَـدِيثُـك يُسْمَـعُ؟

وكلّ لـه، في جـانبِ المُلكِ، مَسْلَكٌ كـريـمٌ، ومِـنْ نَفسِ الإمـارَةِ مَـوقِـعُ

لكَ الخيرُ ما أَهْداك، والسَّهمُ صائبٌ يَطيشُ، ومـا أَعْداكَ، والخيـلُ تَمـزَعُ[١]

ولا غيـرَ أَطـرافِ الأسِنَّـةِ مِقْـوَلٌ يُبيـنُ، ولا غيـرَ الفَـرائِـصِ مِسْمَـع

وما الوَشيُ، حُسناً، غيرَ بِيضٍ محاسنٍ لَبِسـتَ علـى عِطْفَـي عُـلاكَ، وتَخلَـعُ

ولا النَّجـمُ، نـأيـاً، ذُروَةَ معْقِـلٍ، تَـذُودُ العِـدى عـن جـانبَيـه، وتَمْنَـعُ

تَفُـوتُ رجـاءَ المُـرتَجيـنَ وُعـودُه، ويَـدنُـو بـه سَعـدُ الأميـرِ، فيَطْمَـعُ

أَحَطْـتَ بـه حَصـرَ الإحـاطَـةِ مُضْعِفـاً، تُـزَلـزِلُ مِـن أَركـانِـه وتُضَعْضِـعُ

وأَمْطَـرْتَـه غَيثـاً، مـن العَيـثِ، واكِفـاً، يُظـاهِـرُه وَبْـلٌ، مـن النَّبْـلِ، يَهْمَـعُ[٢]

تَضُـمُّ جَنـاحَ الجيـشِ حَـوْلَيـه ضَمَّـةً، تكـادُ بهـا أَضْـلاعُـه تتَقَعْقَـعُ[٣]

---

(١) تمزع الخيل: تسرع.

(٢) يهمع: يهطل غزيراً.

(٣) تتقعقع: تضطرب، وتصوّت عند التحرّك.

فكم ضَرْبةٍ فوهاءَ ثَمَّ ومُقلَةٍ، جَرَتْ هذه تَدمَى وهاتِيك تَدْمَعُ[1]

ولا بأس إلاَّ مِن سُيُوفِكَ تُنتَضى، ولا سَعدَ إلاَّ في رِماحِكَ تُشْرَعُ

وهل أنتَ إلاَّ رَحمةُ اللهِ تنكَفي، عَذاباً، على أهلِ المعاصي، فتَقْمَعُ؟

فكم حِرزِ عزٍّ قد غَشِيتَ ببَطْشَةٍ، تُصِمُّ العدى رَجَّاتُها حين تُسْمَعُ

وغادَرْتَه من مَعْقِلٍ، وهو مَعْقَرٌ لِمُعْتَقِديه مَصْنعاً، وهْو مَصرَعُ

فأنجزَ فيه، موعِدَ السيفِ، فاتِكٌ، يَهُونُ عليه الجانِبُ المُتَمَنِّعُ

وأَهْوى به طِيبُ الحديثِ، فنَشْرُه يَخُبُّ به رَكبُ الثناءِ ويُوضِعُ[2]

إذا هَزَّ أعطافَ المعالي حَسِبْتَه يُديرُ بها كأساً، عليه، تُشَعْشَعُ

وحَسْبُك من فَلْجٍ، لأبيَضَ واضِحٍ، يُعيدُ ويُبدِي، في المعالي، فيُبْدِعُ[3]

ويا رُبَّ جيشٍ للعَدوِّ كأنَّه عُبابُ خِضَمٍّ، قد طَمى يَتَدفَّعُ

عرَضْتَ له، والليثُ دونَكَ جُراَةً، فأجْفَلَ إجفالَ النَّعامَةِ يَجْزَعُ

ولَقَّيْتَه رِيحَ المَهابةِ بارِحاً، فأقْلَعَ إقلاعَ الغَمامَةِ تَقْشَعُ

وأدْبَرَ لا يُلْوِي على مُتَعَذِّرٍ، حِذارَ فتىً يَسري إليه، فيُسْرِعُ

وقد جالَ دَمعُ القَطرِ في مُقلَةِ الدُّجى، ولَفَّتْ نواصِي الخيلِ نكباءُ زَعْزَعُ

له، من صُدُورِ الأعْوَجِيَّةِ والقَنا، شَفيعٌ، إلى نَيلِ الأماني مُشَفَّعُ

وظفَّرَهُ، في مُلتقى الخَيلِ، ساعِدٌ أَلَفُّ، وقلبٌ، بين جَنْبَيهِ، أصمَعُ[4]

وأبيَضُ يَتلُو سُورةَ الفَتحِ، يُنْتضى، ويَسْتَقْبِلُ الفَرقَ الكريمَ، فيَركعُ

ومُنْجَرِدٌ ضَخمُ الجُزارَةِ، أوْحَدٌ، يَطِيرُ به، تحتَ العَجاجَةِ، أربَعُ[5]

وحَصْداءُ تَزري بالسِّنانِ، حَصينَةٌ، ووَجهٌ وَقاحٌ، بالحديدِ، مُقَنَّعُ[6]

رَتَعتَ على حُكمِ السَّماحِ بِرَبْعِه، ومَرْبَعُ أبناءِ السَّماحةِ مَرْتَعُ

---

(١) **الضربة الفوهاء**: الواسعة.

(٢) **يوضع**: يقاد ويُساق.

(٣) **الفلج**: الغلبة والظفر.

(٤) **القلب الأصمع**: القلب الفطن.

(٥) **الجزارة**: الأطراف.

(٦) **الحصداء**: الدرع المحكمة النسج.

وعُجتَ عليه عَوجَةَ الصَّبِّ شاقَهُ بَريقٌ تَراءى، آخِرَ الليلِ، يَلمَعُ
ولم أرِدِ الأوشالَ أَنْقَعُ غُلَّةً، ويُمْنى أبي إسحاقَ للبَحْر مَنْبَعُ[1]
وهَضْبتُه أحْمَى جناباً لِخائفٍ؛ وأبْطَحُه أنْدى مُراداً وأمْرَعُ
فمَن مِثلُ إبراهِيمَ، والصُّبحُ أبْلَجٌ؛ ومَن مِثلُ إبراهِيمَ، والحقُّ أصدعُ؟
إمامٌ تَدانَى رَأفةً، وسَما به، إلى المجدِ، بَيتٌ، طاولَ النَّجم، أرْوعُ
تَجَلَّى، ومن بَطْحاءَ مكَّةَ جَنَّةٌ إليه، ولِلْبَيتِ الحَرامِ تَطَلُّعُ
ترى لقُرَيشٍ فيه بَرقَ مَخيلةٍ يَلُوحُ، وعِرْقاً للخِلافةِ يَنْزِعُ
أَما وأيادِ أنْطَقَتْني بِحَمْدِه، وقد طَوَّقتْني ، والحمامةُ تَسجَعُ
لئِن هُزَّ من أرْجاءِ حِمصَ، مَسَرَّةً، حديثٌ بمَلْقاهُ إليها يُرَجَّعُ[2]
لقد نابَ مِنّا، والخُطوبُ مُمِضَّةٌ، وَشيكُ نَواهُ، والحوادِثُ تُوجِعُ
وفارَقَني صَبري لِذِكْرى فِراقِه؛ وشافَهَني، قبلَ الوَداعِ، تَوَدُّعُ
وكنتُ جَمادَ العينِ، أجْهَل ما البُكى، فعَلَّمني داعي النَّوى كيف تَدمعُ
فأستَودِعُ اللهَ الأميرَ ومُهجةً أُشَيِّعُها في مَنْ، هُناك، أُشيِّعُ
وهُنِّئْتَها من دارِ مُلكٍ، وهُنِّئَتْ بهِ، مِلكاً، واللهُ يُعْطِي ويَمْنعُ

(١٥٢)

أقلِّبُ طَرْفي . . .

أَجَبْتُ وقد نَادى الغَرامُ، فأسْمَعا، عَشيَّةَ غنَّاني الحَمامُ، فرَجَّعا[3]
فقُلتُ، ولِيَ دَمعٌ تَرَقْرقَ، فانْهَمى يَسِيلُ، وصَبرٌ قد وَهى، فتَضَعْضعا[4]
أَلا هَلْ، إلى أَرضِ الجَزيرةِ، أَوْبَةٌ، فأسْكُنَ أَنْفاساً وأَهْدأَ مَضْجَعا

---

(١) الأوشال: جمع وشل القليل من الدمع.

(٢) أراد بـ «حمص»، إشبيلية.

(٣) رجّع: ردّد الغناءَ ونحوه.

(٤) انهمى: انسكب ـ وهى الصبر: ضعف وتلاشى.

وأَغْـدُو بِـوادِيهـا، وقـد نَضَـح النَّـدى مَعاطِفَ هاتيكَ الرُّبى، ثُمَّ أَقْشَعا[1]
أُغــازِلُ فيهــا لِلغــزالَــةِ سُنَّـةً، تَحُـطُّ الصَّبا عنها، من الغيم، بُرقُعا[2]
وقد فَضَّ عِقدَ القَطرِ، في كلِّ تَلْعةٍ، نسيــمٌ تَمَشَّــى بينهــا، فَتَضــوَّعــا[3]
وبـاتَ سَقيـطُ الطَّـلِّ يَضـرِبُ سَـرْحَـةً تَــرِفُّ بِــواديهــا، ويَنضَـحُ أَجْـرَعــا
وأَيــنَ فِنــا دارٍ إِلــيَّ حبيبَــةٍ، وحسبُـكَ مُصطـافـاً، هنـاك، ومَـرْبَعـا
لقـد تـركتني بيـن جَفـنٍ جَفـا الكَـرى، وجَنْـبٍ تَقَلّـى، لا يُـلائِـم مَضْجعـا
أُقلِّـبُ طَـرفِـي فـي السَّمـاءِ، لعَلَّنـي أَشِيــمُ سَنــا بَــرْقٍ، هُنــاكَ، تَطَلَّعــا

(١٥٣)

أَذِنَ الرّحيلُ

أَذِنَ الــرَّحيــلُ بِلُقْيَــةٍ لِــوَداعِ؛ إنَّ الليـــالـــي نَــزْرَةُ الإمْتــاعِ
فــأَطَلْـتُ عَـضَّ أنـامِلـي أسفـاً علـى زمــنٍ، خــلا منــه، قصيــرِ البـاعِ
لــم يَنْفَصِــمْ عــن ضَمَّــةٍ لإقــامــةٍ، إلاَّ إلــى تَعنيقَــةٍ لِــزَمــاعِ[4]

(١٥٤)

أشيمُ سَناهُ

يصف وميض البرق وذيول السحاب والليل نديّ الجناح

أَرِقْــتُ، وقــد نــامَ الخَلِــيُّ لِنــازِحٍ، تَشظَّتْ حَصاة القلب، في حبه، صَدْعا
ومــا شــاقنــي إلاَّ ومِيــضُ غمــامــةٍ، تَطَلَّــعَ مـن نَجْـدٍ، فحَيّـا اللِّـوى رَبْعـا
أَشِيــمُ سَنــاهُ، والسمــاءُ مُغيمَــةٌ، كما اغرورَقَتْ عَيني ، لرؤيتِه ، دَمعا
فـذكَّـرَنـي، والليـلُ يَنْـدى جَناحُـه، بِمَعْطِفِــه خَفْقــاً، ومَبْسِمِــه لَمْعــا

---

(١) اقشع: انكشف وتبدّد.
(٢) السنّة (هنا): الصورة، الشكل.
(٣) تضوّع النسيم: انتشرت رائحته.
(٤) لم ينفصم: لم ينقسم أو يتفرّق ـ الزماع: العزم على الأمر.

ومَسْحَبِ ذَيلٍ للسَّحاب بذي الغضا، بَرُودِ رُضابِ الماء، أحوى لمى المرعى[1]

فقُل في أَتِيٍّ قد تهادى، كأنَّه، إذا ما ثَنى أَعطافَه، حيَّةٌ تَسْعى[2]

وماءِ مَسِيلٍ سائِلٍ لِقَرارةٍ، فبَينا ترى منه حُساماً ترى دِرْعا

(١٥٥)

شَيّد ورفّع

قالها يمجد مكارم الأمير أبي إسحاق: ويعدّد مناقبه

سجَعْتُ، وقد غنَّى الحَمامُ فرَجَّعا، وما كنتُ، لَولا أَنْ يُغَنِّي، لأَسْجعا

وأَنْدُبَ عَهداً بالمُشقَّرِ سالِفاً، وَظِلَّ غمامٍ، للصِّبا، قد تقشَّعا[3]

ولم أَدرِ ما نَبكي: أَرَسْمَ شَبيبةٍ عفا، أَمْ مَصِيفاً، مِن سُلَيْمَى، ومَربَعا

وَأَوْجَعُ تَوديعِ الأحِبَّةِ فُرقَةً، شَبابٌ على رُغْمِ الأحبَّةِ ودَّعا

وما كانَ أَشْهى ذلك اللَّيلَ مَرقَداً؛ وأَنْدى مُحيَّا ذلك الصبحِ مَطْلِعا

وأَقصَرَ ذاك العَهدَ يَوماً وَلَيلةً؛ وأَطْيَبَ ذاك العَيشَ ظِلّاً ومَرتَعا

زمانٌ تقضَّى، غيرَ عهْدِ مَحاسِنٍ، تسُومُ حَصاةَ القلبِ أَنْ تَتَصدَّعا

تحوَّلْتُ عنه لا اختياراً، ورُبَّما وَجعتُ، على طول التَّلَدُّد، أَخدَعا[4]

ومَن لي بِبَرْدِ الرِّيحِ مِن أَبْرَقِ الحِمى، وريَّا الخُزامى من أَجارعِ لَعْلَعا؟[5]

وقد فاتَ ذاك العَهدُ إِلّا تَذكُّراً لَواني، على ظهرِ المَطيِّ، تَوَجُّعا

وكُنتُ جَليدَ القلبِ، والشَّملُ جامعٌ، فما انفَضَّ حتَّى حارَ، فارفَضَّ أَدمُعا

وبَلَّتْ نِجادي عَبرةٌ مُستَهِلَّةٌ، أُكفكِفُ منها بالبَنانِ تَصَنُّعا[6]

---

(١) **ذو الغضا**: علم على موضع.

(٢) **الأتيّ**: السيل.

(٣) **المشقّر**: موضع ـ تقشع الغمام: تبدّد.

(٤) **قوله**: لا اختياراً: أي بدون إرادة ـ **الأخدع**: وريد في العنق.

(٥) **الإبرق**: موضع أرضه غليظة ـ **الأجارع**: الأرض الماحلة التي لا تنبت زرعاً ـ **لعلع**: اسم جبل.

(٦) **النجاد**: محمل السيف.

وإنِّـي، وعَينِـي بـالظَّـلامِ كَحِيلَـةٌ، لآبـي لِجنبِـي أن يُـلائِـمَ مَضجَعـا
وأُكبِـرُ شـأنـاً أَنْ أَرى الصُّبـحَ، أَبْيَضـاً، بعيـنٍ تَـرى رَبْـعَ الشَّبيبَـةِ بَلْقَعـا
كـأنِّـي لَـمْ أَذهَـب مـعَ اللَّهـوِ لَيلَـةً؛ ولَـمْ أَتَعـاطَ البـابِلِـيَّ المشَعشَعـا[1]
ولَـمْ أَتَحـامـلْ بَيـنَ ظِـلٍّ بسَـرحَـةٍ، وَسَجْـعٍ لغِـرِّيـدٍ، ومـاءٍ بـأجـرَعـا
ولَـمْ أَرْمِ آمـالـي بـأَزْرَقَ صـائِـبٍ، وأبْيَـضَ بَسَّـامٍ، وأَسْمَـرَ أَصْلَعَـا
وأَبلَـقَ خَـوَّار العِنـانِ، مُطَهَّـمٍ، طَويلِ الشَّوى والسَّاق، أَقوَدَ، أَتْلَعَا[2]
جَرى وَجَـرى البَـرقُ اليَمـانـي عَشيَّـةً، فـأبْطـأ عَنـهُ البَـرقُ عَجـزاً، وأَسـرَعـا
كـأنَّ سَحـابـاً أَسْحَمـاً، تحـتَ لِبْـدِهِ، يُضـاحِـكُ عَـن بَـرقٍ سَـرى، فَتَصـدَّعـا
وحَسْبُ الأعـادي مِنـهُ أَن يَزجُـروا بـه، مُغِيـراً، غُـرابـاً صَبَّـحَ الحَـيَّ، أَبْقَعـا
كـأنَّ على عِطفَيـهِ، مـن خِلَـعِ السُّرى، قميـصَ ظَـلامٍ بـالصَّبـاحِ تَـرَقَّعـا
رَكَضْـتُ بـهِ بَحـراً تَـدفَّـعَ مـائِحـاً؛ وأَقْبَلـتُ أُمَّ الـرّأْلِ نَكْبـاءَ زَعـزَعـا[3]
يُـؤَلِّـلُ مـن أُذنٍ فـأذنٍ تَشـوُّفـاً إلـى صَرخـةٍ من هـاتِـفٍ، أَوْ تَطَلُّعـا[4]
كـأنَّ لـه، مِـن عـامـلِ الرُّمـحِ، هـاديـاً مُنيفـاً، ومِـن ذُلْـقِ الأسِنَّـةِ مِسمَعـا[5]
فسَكَّنـتُ منه بـالتَّغَنِّـي علـى السُّرى، أُمَسِّـحُ مِـن أَعْطـافِـه، فَتَسَمَّعـا
ولمَّـا انتحـى ذكْـرَ الأميـرِ استَخَفَّـه، فخَفَّـضَ مِـن لَحـنِ الصَّهيـلِ، وَرَفَّعـا
حنينـاً، إلـى المَلْـكِ الأغَـرِّ، مُـردَّداً، وشَجْواً، على المَسرى القصِيِّ، مُرجُعا
ففـي حُـبِّ إبـراهِيـمَ أعربَ صـاهِـلاً؛ وفـي نصـرِ إبـراهِيـمَ كَـرَّ تَشَيُّعـا
مَلِيـكٌ تَبـاهـى الحَمْـدُ وَشْيـاً مُـذَهَّبـاً بـه، وتَـراءَى المَجـدُ تـاجـاً مُـرَصَّعـاً

---

(١) **البابلي**: خمرة بابل.
(٢) **خوّار العنان**: غير صعب الانقياد ـ **الشوى**: الأطراف ـ **الأقود**: القوي العنق ـ أراد **بالأتلع**: الفرس الطويل العنق.
(٣) **مائحاً**: مختالاً ـ **الرأل**: ولد النعامة ـ **الزعزع**: الريح الشديدة الهوجاء.
(٤) **يؤلّل الشيء**: يحدّد طرفه.
(٥) **الأسنة الذلق**: الحادّة.

غَشِيتُ بِهِ أَنْدى من المُزنِ راحَةً، وأَطْيَبَ أَفْياءً، وأَمْرَعَ مَرْبَعا
طَمى الجُودُ في يُمناهُ بَحراً، ورُبَّما تَدَفَّقَ في أَرجائِها فتَدَفَّعا
وأَعْدى نَداهُ الغَيثَ، فانهلَّ واكِفاً؛ وَحسبُكَ مِن سُقياهُ أَنْ سَجَما مَعا
فرُبَّ حَديثٍ، عن عُلاهُ، سَمِعتُه، وما طائِرُ البُشْرى بأحسَنَ مسمَعا
فيا شائِمَيْ بَرقٍ تَوضَّحَ مَوْهِناً، وَقَعقَعَ إرعاداً بنَجدٍ، فأطْعما[1]
إذا كَفَّ، من قطريكما، عارض الندى، وَراقَكُما برقُ البَشاشَةِ، فارتَعا
فإنَّ أَبا إِسْحاقَ أَخْصَبُ تلعَةً، وأشهى نَدى ظِلٍّ، وأَعْذَبُ مَكرعا
وحَسبُكُما أَنْ قد تَأسَّى به الحَيا، فعاوَدَ من رُحماه ما كانَ أَقلعَا
وعَزَّ الهُدى مِنه بأمجدَ أَوْحَدٍ، طويلِ نِجادِ السيفِ، أَبْلَجَ، أَروَعا[2]
أَحَلَّ به العودَ السَّليبَ، سماحةً، وأَحْرَمَ مَطرُورَ الظُّبا لا تَورُّعا
إذا دَبَّ أَخفى من خيالِ مَكيدةٍ، تَصوَّبَ أَسْرى من شِهابٍ وأَطلَعا
وما السيفُ، من كفِّ الكَميِّ مجرَّداً، بأسطى، وراءَ النَّقعِ، منه وأَسْطَعا
دَعا بِاسمِه داعي الحَفيظةِ والنَّدى، فلَبَّى على شَرخِ الشَّبابِ وأَهْطعا[3]
وهَبَّ، كما هَبَّ الحُسامُ، شَهامةً؛ وعَبَّ، كما عَبَّ الخِضَمُّ، تبَرُّعا
وجَرَّ بِهِ ذَيلَ الخَميسِ ابنُ غابةٍ، تَرَدَّى غُلاماً بِالعُلى، وتَلَفَّعا[4]
وداسَ العِدى رَكضاً وأجرى إلى الوغى بأَطْوَعَ من يُمناه فِعلاً، وأَطْبَعا
فلَمْ يُدرَ أَيّ منهما النَّصلُ مَنطِقاً فَصيحاً، وإِفرِنداً كَرِيماً، ومَقطَعا
فشَيَّدَ من ذاتِ المَكارِمِ وابْتَنى؛ ورفَّه في جَنبِ الإِلَهِ وَرفَّعا
وخَفَّضَ من صِيتِ الأبيِّ وصَوتِه؛ وزَلزَلَ مِن رُكنِ العَصيِّ وضَعضَعا
وأَلقَتْ إليه، بالمَقادةِ، قادةٌ، تَطامَنَ، مِن أَعناقِها، ما تَرَفَّعا

(١) **توضّح البرق**: لمع ـ **موهناً**: في فترة من الليل.
(٢) **طويل نجاد السيف**: كناية عن الفروسية.
(٣) **أهطع إهطاعاً**: أسرع.
(٤) **الخميس**: الجيش ـ **ابن غابة**: كناية عن الأسد، والمقصود ممدوحه.

وذَلّـل، مـن أخـلاقـه، كـلُّ رَيِّـضٍ، فأصبَـحَ خَـوّارَ الشَّكِيمـةِ طَيِّعـاً[1]

فَمَـن مُبْلِـغُ الأيـامِ عَنّـيَ أنّنـي تبَـوّأتُ منـه، حيـثُ شِئـتُ، تَمَتُّعـا

وطِـرتُ ثَنـاءً، واطّلعـتُ ثَنِيَّـةً، فـأشْرفـتُ إبضاعـاً وأشرفـتُ مَـوضِعـا[2]

وهَـل بقِيَـتْ لِلنَّفـسِ إلاّ اطِّـلاعـةٌ إلـى القَلَـمِ الأعلـى، يَخُـطُّ مُـوَقِّعـا؟

فمـا القمـرُ السّـاري بـأجمـلَ غُـرَّةً؛ ولا الـوابِـلُ الغـادي بـأكـرمَ مَصْنَعـا

فهُنِّئْـتَ عيـداً، قـد تلَقّـاك، قـادمـاً، ولـم يـكُ لـولا أنْ طَلَعْـتَ لِيَطْلُعـا

وحسبُـكَ جَـدّ قـد أَظَلّـكَ قـادِمـاً، فمـا هُـو إلاّ أن تقـولَ، فيَسْمَعـا

وحيّـاك مـن فَـرعٍ لأشـرَفِ دَوحـةٍ، نَسيـمٌ، كـأنفـاسِ العَـذارى، تَضـوّعـا

يُلاعِبُ، من خُوطِ الأراكة، مَعطِفاً؛ وَيَمْسَح، من مَسرى الغَمامةِ، مَدمَعا

(١٥٦)

إليْكها غرّاء

قال ابن خفاجة هذه القصيدة وكتب بها إلى ابن عائشة

مِـن لَيلـةٍ للـرَّعـدِ فيهـا صَـرخَـةٌ، لا تُستَطـابُ، ولِلحَيـا إيقـاعُ[3]

خَلَعـتْ علـيَّ بِهـا، رِداءَ غَمـامَـةٍ، رِيـحٌ تُهَلهِلُـهُ، هُنـاكَ، صَنـاعُ[4]

والصُّبـحُ قَـد صَـدَعَ الظّـلامَ، كـأنّـه وجْـهٌ وضـيءٌ، شَـفَّ عنـه قِنـاعُ

فَـرفلْـتُ فـي سَمَـلِ الـدُّجى، وكـأنّمـا قَـزَعُ السَّحـابِ، بِجـانِبَيـه، رِقـاعُ[5]

وَدفَعتُ في صدر الدُّجى عن مطلَبٍ، بَينِـي وبَيـنَ الـدَّهـرِ فيـهِ قِـراعُ

وقَبَضـتُ ذَيلـي رَغبَـةً عـن مَعشَـرٍ عُـوجِ الطِّبـاعِ، كـأنَّهـم أَضْـلاعُ

---

(١) أصبح خوار الشكيمة: أي بات واهياً وصار سهل الانقياد.

(٢) الثناء: المدح والإطراء ـ الثنية: المكان العالي ـ الإبضاع: مصدر ابضع في حديثه: جعله بيناً وبليغاً.

(٣) الحيا: المطر ـ الإيقاع (هنا): صوت سقوط المطر.

(٤) الصناع: البارعة في صنعتها.

(٥) السمل: الثوب البالي والجمع أسمال ـ قزع السحاب: قطعه.

جـارِيـنَ فـي شَـوطِ العِنـادِ، كـأَنَّهُـم سَيــلٌ، تَــلاطَــمَ مَــوجُــهُ، دَفَّــاعُ

يَــرْمُــونَ أَعطــافِــي بنَظــرَةِ إِحنَــةٍ وُقِدَت ، كما تُذكي ، العُيونَ ، سِباعُ

أَفـرَغْـتُ من كِلَمِـي، علـى أَكبـادِهِـمْ، قَطــراً، لــه أَسْمــاعُهُــمْ أَقمــاعُ

ووَصَلْــتُ مــا بَيْنِـي وبَيْــنَ مُحمَّــدٍ، حتـــى كـــأَنَّـــا مِعْصَـــمٌ وذِراعُ

فظَفِرتُ منه، على المشيبِ، بصاحبٍ خَلَــفِ الشبــابِ، فلِـي إِليـهِ نِــزاعُ

قــد كُنــتُ أُغلِـي فـي ابتيــاعِ وَدادِه، لــوْ أَنَّ أَعْــلاقَ الــوَدادِ تُبــاعُ[1]

وإِلَيكَهــا غَــرَّاءَ، لَــولا حُسنُهــا لــمْ تُفتَــقِ الأبصــارُ والأسْمــاعُ

عَبِقَـت بِهـا، فـي كـلِّ كَـفٍّ، زَهـرَةٌ، فُتِقَــت لهـا، مــن خَمسِهــا، أَقمـاعُ

---

(١) **الأعلاق**: جمع العلق، وهو النفيس من كلّ شيء.



قافية الفاء

(١٥٧)
طَرْفُهُ فاتِنٌ

أَيَجْنـي، علـى مُهجَتـي، طَـرفُـه، ويُخْضَـبُ مـن دَمِهـا كَفُّـهُ

وتَلـدَغُنـي تـارةً حيَّـةٌ، هنـاك، يُسـاوِرُهـا رِدفُـهُ[١]

ويَـرْشُـفُ دُونـي لِثـامٌ لـه نَـدَى أُقْحُـوانٍ، حَـلا رَشْفُـهُ[٢]

فسـائِـلْ بِـرامـةَ عـن رِيمِهـا، وهـل ضَـلَّ، عـن سِربِها، خِشفُهُ[٣]

وهـل خـاضَ جَـرعـاءَ وادي الغَضـا، يُـلاعِـبُ، أَفنـانَهـا، عِطْفُـهُ

فـأعْـدى أَراكَتَهـا هَـزَّةً؛ وأَرَّجَ، أنفـاسَهـا، عَـرْفُـهُ[٤]

أمـا وهَـوى مِثلِـه جُـؤذُراً، يُطـابِـقُ مَـوصُـوفَـه وَصفُـهُ

لـه نَظَـرٌ، فـاتِـنٌ، فـاتِـرٌ، يَحُـلُّ قُـوى عَـزمَتـي ضُعْفُـهُ

لئـن هَـزَّ، أَعطـافَنـا، حُسنُـه، لقـد بَـزَّ، أَنفُسَنـا، ظَـرْفُـهُ[٥]

وأَقْبَـلَ بـالحُسـنِ إدبـارُه، يُـلاعِـبُ، خُـوطَتَـه، حِقْفُـهُ[٦]

---

(١) **الحيّة**: الذؤابة، أي الضفيرة.

(٢) **أراد بالأقحوان**: الأسنان، من باب التمثيل والاستعارة ـ **الرشف**: المصّ بالشفتين.

(٣) **الرامة**: موضع ماء ـ **الخشف**: ولد الظبي.

(٤) **الأراكة**: واحدة الأراك وهو شجر يستاك به ـ **العَرف**: الرائحة ولا سيّما الطيّبة.

(٥) **بزّ أنفسنا**: غلبنا وتفوّق علينا.

(٦) **الحقف**: ما استطال من الرمل والمقصود القامة المديدة.

وحَفَّـتْ بـه الخيـلُ خَيَّالـةً، فطـارَ بـه، سُـرعـةً، طِـرْفُـهُ[1]
وهَـشَّ، إلـى رَكضِـه، ظَهـرُه؛ وحَـنَّ، إلـى كفِّـه، عُـرْفُـهُ
وأَقْـوَمُ مـن رُمحـه قَـدُّه؛ وأفتَـكُ مـن نَصلِـه طَـرْفُـهُ
وكـلٌ هنـاك صـريـعٌ بـه، يَـرى أنَّ عِيشَتَـه حتْفُـهُ
ألا شـفَّ صـدْرِيَ عـن سِـرِّه، كما شَـفَّ، عـن وجهـه، سَجْفُـهُ[2]
وخـفَّ بقلبـيَ فيـه الهـوى؛ ولاعَـب، قُـرطـانَـه، شِنْفُـهُ[3]
فهـل مـن سبيـلٍ إلـى زَورَةٍ يمُـنُّ بهـا، ليلـةً، عِطْفُـهُ
فيَلـوي، مـن غصنـه، هصْـرُه؛ ويُمكِـنُ، مـن ورده، قَطْفُـهُ
وقـد كنـتُ أزري، علـى عفَّـةٍ، ويُعجِبُنـي أننـي عِفُّـهُ

(١٥٨)

صَقيلُ المحلّى والحَلَى

وأغيَـدَ مَعسُـولِ اللَّمـى والمَـراشِـفِ، صَقِيـلِ المُحلَّـى والحِلَـى والسوالِـفِ[4]
أَنَخْـتُ بـه، والبـرقُ يهفُـو جَناحـه، ولِلـديمَـة الهَطـلاءِ حَنَّـةُ عـاطِـفِ[5]
فنـادمـتُ حُلـوَ البِـرِّ واللفـظِ واللَّمـى، جميـلَ المُحيَّـا والحِلـى والعَـوارِفِ[6]

(١٥٩)

أرَى الشَّمسَ مَكْسوفَةً

أَطَـلَّ، وقـد خُـطَّ فـي خَـدِّه، مـن الشِّعـر، سَطـرٌ دَقيـقُ الحُـروفِ

---

(١) الطّرف: الكريم الطرفين من الخيل.
(٢) السّجف: الستار والجمع سجوف، والمراد هنا القناع الساتر للوجه.
(٣) القرطان: مثنى القرط وهو الحلق الذي يعلق في الأذن ـ الشنف: الحلي الذي يعلّق في أعلى الأذن.
(٤) المراشف: جمع مرشف وهو الثغر ـ المحلّى: موضع الحليّ.
(٥) الديمة: السحابة الممطرة ـ الهطلاء: التي تهطل الغزارة.
(٦) البرّ: الإحسان ـ اللّمى: سمرة الشفاه ـ العوارف: العطايا جمع المعروف.

فقلت أرى الشمسَ مكسُوفةً، فَقُوموا نُصلِّي صلاةَ الكُسوفِ

(١٦٠)

رُبّ يومٍ

ألا رُبَّ يومٍ لي بِبابِ الزَّخارِفِ، رقيقِ حواشي الحُسن، حُلوِ المراشفِ
لهَوتُ به، والدهرُ وَسْنانُ ذاهلٌ، وغصنُ الصِّباريّانُ، لَدنُ المعاطِفِ[١]
أُعاطِي تَحايَا الكاس، والأنسُ فِتيةٌ تَخايلُ، سُودَ العُذْرِ بِيضَ السوالفِ[٢]
وذيَلُ رِداءِ الغَيمِ يَخْفِقُ، والصَّبا تحُثُّ، ومَوجّ النَّهر ضخمُ الرَّوادِفِ
يَطيرُ بِنا فيه شِراعٌ، كأنَّه، إذا ضَربَتهُ الرِّيحُ، أَحشاءُ خائِفِ
وقد بَلَّ، أَعطافَ الرُّبى، دَمْعُ مُزنةٍ، تحَيَّرَ في جَفنٍ، من النَّورِ، طارِفِ
زمانٌ تَولَّى بين كأسٍ تليدةٍ تُدارُ، وعيشٍ، للحَداثةِ، طارِفِ[٣]
وشمسٍ كَلألأءِ الزُّجاجةِ، طلقَةٍ، وظِلٍّ كَرَيعانِ الشَّبيبةِ وارِفِ

(١٦١)

في مَنْزِل القَصْفِ

ألا إنَّ خَفضَ العيشِ في صَرخةِ العَزفِ،
فجرِّرْ ذُيولَ اللَّهوِ في مَنزلِ القَصفِ[٤]
وغازِلْ به حُلوَ الشَّمائِلِ واللَّمى،
شهِيَّ الجَنى، لَدْنَ السَّجيَّةِ والعِطْفِ[٥]
تنَفَّسَ بين الرَّوْضِ، يَخطِرُ، والصَّبا؛

---

(١) **والدهر وسنان**: أي والدهر غافل عنه.

(٢) **الصّبا**: الشباب ـ **الغصن الرّيان**: الغضّ الطري.

(٣) **التليدة**: القديمة ـ **طارف**: حديث.

(٤) **القصف**: اللهو.

(٥) **السجية**: الطبع.

وأَشْـــرَفَ بيـــنَ الغُصـــنِ، يـــأطُـــرُ، والحِقْـــفِ[1]
وقـــد عطَفَـــتْ، وهنـــاً، بـــه الكـــأسُ هـــاجِـــراً،
ومـــا كنـــتُ أَدري الكـــأسَ مـــن أحـــرُفِ العَطْـــفِ
ونـــاوَلتُـــه صَفـــراءَ لـــم يُـــرَ صِـــرْفُهـــا،
دِهـــاقـــاً، علـــى السَّـــاقـــي، فيَلْحَـــنُ فـــي الصَّـــرفِ[2]
فقلـــت، وقـــد مـــاسَـــتْ بِعِطْفَيـــه نَشْـــوةٌ،
فمِـــنْ مُجْتَلـــى حســـنٍ، ومـــن مُجْتَلـــى ظَـــرفِ
أَمَـــا وبيـــاضِ الثَّغـــرِ فـــي سُمـــرَةِ اللَّمـــى،
وحُســـنِ مَجـــالِ السحـــرِ فـــي فَتْـــرَةِ الطَّـــرفِ
لئـــن كنـــتَ بَـــدْرَ التِّـــمِّ حُسنـــاً ورِفْعـــةً،
فـــإِنَّ دُمـــوعَ الصَّـــبِّ مـــن أَنْجُـــمِ القَـــذْفِ[3]

(١٦٢)

مِنْ أَنْجُمِ السَّعْدِ

قال يصف فرساً كريماً أشهب القوى

ومُشْـرِفِ الهـادي، طـويـلِ السُّـرى، ضـافـي سَبيـبِ الـذَّيـلِ والعُـرفِ
يصـــرِّفُ الفـــارِسُ، فـــي لِبـــدِه، طِـرْفـاً بـه أسـرَعَ مـن طَـرْفِ
مُـــؤَدَّبـــاً لـــو كـــان مُستعبَـــداً، لـــم يَعْبُـــدِ اللهَ علـــى حَـــرْفِ
مـــن أَنجُـــمْ السَّعـــدِ، ولكنّـــه، يـومَ الـوَغَـى، مـن أَنجُـمِ القَـذْفِ

---

(١) بأطر: يتمايل ويتمايس. الحقف: أراد القامة، والحقف أصلاً: ما استطال من الرمل.
(٢) الدهاق: الكأس المترعة ـ ألحن في الصرف: أخطأ.
(٣) الصبّ: المحبّ المشتاق ـ أنجم القذف: هي تلك التي كان العرب يعتقدون أن الشياطين يقذفونها وهم يصعدون لاستراق السمع من الملائكة.



(١٦٣)
ذكرُك نَفْحَةٌ

وكتب هذه القصيدة إلى ممدوحه الفقيه أبي بكر بن مفوز:

أورى بـــأفقِـــك بـــارِقٌ يتـــألَّـــقُ؛ … وسَقَـــى دِيـــارَكَ وابِـــلٌ يتَـــدفـــقُ[(١)]

وَتَحَمَّـــلاَ عنــــي إليـــكَ تحيَّـــةً … تَنـدى علـى نَفَسِ القَبـولِ، وتَعْبَـقُ[(٢)]

ووُقِيـتُ فيـكَ مـن الليـالـي، إنهـا … غِــربــانُ بَيــنٍ بــالتَّفــرُّق تَنعَــقُ

فلقـــد نـــأى مـــا بيننـــا: فمُغَـــرِّبٌ … مُستَــوطِــنٌ ظَهـرَ النَّـوى، ومُشَـرِّقُ[(٣)]

ولئـن سلـوتَ، ومـا إخـالُـك، نـاسيـاً … كــرمَ الإخــاءِ، فــإنَّنــي أتشَــوَّقُ

ويَهيجُنـي نفَـسُ النسيـمِ، إذا سَـرى، … ويشُــوقُنــي فيـك الحَمـامُ الأورَقُ[(٤)]

فــإذا تَطَلَّــع مــن سمــائـك بــارقٌ، … أو طــافَ زَورٌ مــن خَيــالِـك يَطـرُقُ

خفَقَـتْ لِـذكـرِك أَضلُعـي، فكـأنّ لـي، … فــي كــلِّ جـانِحـةٍ، جَنـاحـاً يَخفِـقُ

وتمَلَّكتنــي لـــوعَـــةٌ مَشبُـــوبـــةٌ، … شـــوقـــاً إليـــك، وعبـــرَةٌ تتـــرَقـــرَقُ

ولئـــن شحَطـــتَ، فـــإنَّ عهـــدَك زهـــرةٌ … تَنـــدى، وذِكـــرَك نَفْحَـــةٌ تُتَنَشَّـــقُ

---

(١) **أورى (الزند)**: أخرج ناره ـ **الوابل**: المطر الشديد.

(٢) **نفس القبول**: الريح الجنوبية ـ **تعبق**: تفوح.

(٣) **النوى**: الفراق.

(٤) **الحمام الأورق**: الأبيض.

(١٦٤)

يا دَوْحَةَ العَلْياء

قدّم هذه القصيدة إلى ممدوحه أبي بكر بن الحاج :

لـذِكـرِكَ مـا عـبَّ الخَلِيـجُ يُصَفِّـقُ؛	وبـاسمِـكَ مـا غنَّـى الحَمـامُ المُطـوَّقُ
ومن أَجلِك اهتزَّ القَضيبُ على النَّقا،	وأشـرَقَ نُـوَّارُ الـرُّبـى يتفتَّـقُ
ومـا ذاكَ إلاَّ أنَّ خُلْقَـك رائِـقٌ،	يُهَـزُّ، كمـا هُـزَّ الـرَّحِيـقُ المُعتَّـقُ[١]
حسُنـتَ غِنـاءً واجتِـلاءً وخِبـرَةً،	فكُلُّـك مـومُـوقُ الحُلـى، مُتَعَشَّـقُ[٢]
وأنـتَ لُبـابُ السَّيـفِ أمَّـا فِـرنـدُه	فطَلـقٌ، وأمَّـا غَـربُـه فمُـذَلَّـقُ[٣]
فهـل علِمـتْ تلـك الإمـارةُ أنَّهـا	يُفـاضُ عليهـا، مـن رُوائِـك، رَونَـقُ؟
فـلا عيـنَ إلاَّ وهْـيَ تَظمـأ لـوعـةً،	وإنسـانُهـا، فـي مـاءِ حُسنِـك، يَغْـرَقُ
وكـم مَنطـقٍ فَصْـلٍ، هـو الـدُّرُّ يُجتلـى	على بحرِ طِرسٍ، أو هُو المِسكَ يُفْتَقُ
صـدَعـتَ بـه، دون الحقيقـةِ، سُدفـةً،	تنُـوب عـن الإصبـاحِ والليـلُ مُطـرِقُ
ويـا رُبَّ ليـلٍ بِتَّـه فـوق مَضجَـعٍ	مُقِـضٍّ، وجَنـبٍ قـد تقَلَّـبَ يَقلـقُ[٤]
يقـومُ بـك القلـبُ الأبـيُّ، وتـارةً	يغـوصُ بـك الفَهـمُ الـذكـيُّ، فتُطـرِقُ
فلم تَغتمِضْ، والنجمُ قد مال سَحرَةً،	فـأغفـى، وأذيـالُ الظَّـلام تمـزَّقُ
ولِلَّيـلِ ظِـلٌ، قـد تقلَّـص، أخضَـرٌ؛	وللصبـحِ مـاء، قـد تسلْسَـل، أزرَقُ
وجَـدُّكَ يَستَـولـي، ورأيُـك يَنْتَضـي،	وعـزمُـك يَستَجـري، وسَعـدُك يَسبُـقُ[٥]
ومـا صـدَّتِ الحسنـاء عنـك زهـادَةً،	ولكـنْ زَهـاهـا أنَّهـا تُتَعَشَّـقُ[٦]

(١) الرحيق: الخمر ـ المعتق: الذي عتّق، أي حفظ زمناً طويلاً حتى بات قديماً معتقاً.

(٢) موموق: محبوب ومثلها متعشق.

(٣) الفرند: جوهر السيف ـ غرب السيف: حدّه ـ مذلّق: الممدّد الطرف.

(٤) المضجع المقض: الخشن النّابي.

(٥) الجدّ: الحظ ـ ينتضى: مضارع انتضى (السيف): استلّه، أخرجه من غمده ـ يستجري: أي يجعل الخيل تجري وتركض.

(٦) قيل أراد بالحسناء: القلعة أو البلدة.

فظَلَّت تَجُرُّ الذَّيلَ تِيهاً، وإنَّها ... لأغلَقُ رَهناً، في هواك، وأعلَقُ[1]

وإلاّ فما للقَطرِ قد فاض عَبرةً، ... هناك، وما للرَّعدِ قد بات يَشْهَقُ؟

تخفُّ بها ذِكراك، حتى كأنَّما ... يطُيفُ بها، من مَسِّ حُبّكَ، أولَقُ[2]

وتُهدي إليكَ الرِّيحُ عنها تحِيَّةً، ... تَفوه بما تحتَ الضُّلوع فتَنطِقُ

فَغازِل بها، خَلفَ الحِجالِ، عقِيلةً، ... قُصارُ هَواها رَشْفَةٌ وتعنُّقُ

يزُرُّ عَليها الصبحُ جَيبَ قميصِه، ... فتكرَعُ في ماءٍ بها يتدفَّقُ

وتَسحَبُ فيها الشمسُ ذيلَ عَشيِّها، ... فتَشربُ من خمرٍ، هناك، تُروَّقُ

فدُونكها حسناءَ لا أَنَّ ربَّها ... قَلاها، ولكنْ رُبَّ حَسنا تُطَلَّقُ

تروقُ، فما تدري الرِّكابُ: أبلدةً ... تؤمُّ بها، أم كوكباً يتألَّقُ

وتَأرَجُ أنفاساً، وتَندى غَضارةً، ... فتحسبُها نُوَّارةً تتفتَّقُ[3]

فَخيِّم بمَثوى المجدِ والسَّعدِ، ناظماً، ... على نَحرِها، عِقداً، من الخيل، يُنْسَقُ

تَضِيقُ به أنفاسُها ويَزينُها؛ ... وأنفِسْ به عِلقاً يَزينُ ويَخْنُقُ

فهل من نسيمٍ قد تضوَّع يَنْتَحي ... مع الفجرِ، أو بَرقٍ تألَّق يَخفِقُ؟

يُهنّيء عنّي كُورةَ الشرقِ إنها ... لبَحرِك شَطٌّ، أو لشَمسِك مَشرقُ

تَطابَقتُما مرأى جميلاً ومَخبَراً، ... فها أنتما تاجٌ، يروق، ومَفرِقُ

لك اللهُ من سَهمٍ، يُسدِّدُ سَعيَه، ... إذا طاشَتِ الألبابُ، رأيٌ مُوَفَّقُ

يهُزُّ به، من حِمْيرٍ، فرعَ سؤدَدٍ، ... كريمَ الجَنى والظِّلّ، يَسمو ويَسمُقُ[4]

يقلِّب عيناً للحياءِ مريضةً ... تَغُضّ، وأُخرى للذكاء تُحدِّقُ

---

(١) **يقال أغلق الرهن**: أي صار المرتهن ملكاً للمرهون عنده لعجز الراهن عن افتكاكه ـ **يقول**: إن هذه القلعة باتت رهينة حب الممدوح وقد تعذر افتكاكها ـ **أعلق**: أكثر تعلقاً أي حباً وشغفاً.

(٢) **الأولق**: الهوس الشديد، الجنون.

(٣) **النوّارة**: الزهرة ـ **تتفتق**: تتفتح أكمامها.

(٤) **حمير**: بنو حمير، من قبائل اليمن ـ **السؤدد**: المجد ـ **يسمق** ـ يعلو ويرتفع.

له همَّةٌ تُملِي عليه، وعزمةٌ ... تَخُطُّ بأطرافِ الرِّماحِ وتَمشُقُ[1]

تُجرِّبه، في حومةِ الحرب، حيَّةٌ ... تُنَضْنِضُ، أو فَتْخا، هناك، تُحلِّقُ[2]

وتَنفخ ريحُ النصرِ في قَبَسٍ به، ... فتَخرُقُ أَقطارَ العَجاجِ، وتُحرِقُ

وينطِقُ عن سيفٍ، بِفَكَّيه، صارمٍ؛ ... ويرمُق عن سهمٍ، بجفنَيه، يَمرُقُ

ويَصدعُ شملَ الليلةِ الخَبلِ، كلما ... بدا فيلقٌ ملءُ الفضاءِ وفَيْلَقُ[3]

فناهضْ أَبا يَحيى، بعزمَتك، الصَّبا، ... تُباري بك العِيسُ المَهاري، فتعْنَقُ[4]

شهوداً بأوضاح المَساعي، كأنما ... جَرى منك، في صدرِ الكتيبةِ، أبلقُ[5]

وسايِرْ أخاك البَدرَ يُهوي ويرتقي ... جَلالاً، ويربَدُّ انكِشافاً ويُشرِقُ

وسُحبُك شتَّى من عَذابٍ ورحمةٍ: ... فمِن عارضٍ يَسقي وآخرَ يَصعقُ

وكيف تَهابُ الليثَ يَزأرُ صَولةً، ... فيُرعِدُ، أو يَرنُو إليك وَيُبرقُ

ودُونكَ، من فَتقِ المثقَّف، زُبيَةٌ ... تَهولُ، ومن خَرق المهنَّدِ خَندَقُ؟[6]

فخُذها، كما حيَّتْ بها الهندُ مِسكَةً، ... تعطِّر أَنفاسَ الرُّواةِ، فتَعْبَقُ

وعَنبرةً شَهباء تَحمِلُ نَفحةً، ... تنَفَّسُ في صدرِ النَّديِّ فتُنشَقُ

تُشَبّ لها نفسُ العدوِّ، فكلما ... أَرى هذه تُذكى أَرى تلك تَحرُقُ

أَسَلتُ بها في جَبهةِ الدَّهرِ غُرَّةً، ... جرى الحُسنُ ماءً فوقها يَترقرَقُ

تُرِنُّ بها الرُّكبانُ شرقاً ومغرباً، ... فتُشئِم طَوراً، بالثناء، وتُعرِقُ[7]

وحسبُك من شِعرٍ يكاد، لُدونَةً، ... يُغنَّى به النبتُ الهشيمُ، فيُورِقُ

---

(١) **العزمة**: الإرادة الماضية ـ **تمشق**: تسرع طعنا.

(٢) **الفتخا**: مخفف الفتخاء، وهي العقاب، من الطيور الجارحة.

(٣) **الفيلق**: الجيش أو القطعة منه.

(٤) **العيس**: الإبل ـ **تعنق**: تسرع وتنشط في سيرها.

(٥) **الأبلق**: الأبيض.

(٦) **الزبية**: حفرة تعدّ لقنص الوحوش.

(٧) **تشئم**: تتجه نحو الشام، **وتعرق**: تتجه نحو العراق.

فيـا دوحـةَ العليـاء حيَّتْـكَ روضـةٌ، عليهـا رِداء، للـربيـعِ، منمَّـقُ
لهـا مـن صَقيـلِ النُّـورِ ثغـرٌ مُفَلَّـجٌ يَشـوقُ، ومـن سَجعِ الحمـامَـةِ مَنطِقُ
وها أنا أقريك السلامَ، على النَّوى، مع الريح تَنْدى، أو معَ الطيفِ يَطرُق

(١٦٥)
أَنْفَسُ الأَعْلاق

أَمقـامُ وصـلٍ أَم مَقـامُ فِـراقِ، فـالقُضـبُ بيـن تَصـافُـحٍ وعِنـاقِ
خفَّـاقَـةٌ مـا بيـنَ نَـوحِ حَمـامَـةٍ، هَتَفَـت، ودمـعِ غمـامَـةٍ مُهـراقِ[١]
عبِثـتْ بِهِـنَّ يـدُ النُّعـامـى سَحـرةً، فـوضَعـنَ أَعنـاقـاً علـى أَعنـاقِ[٢]
أَكسَبْنَنـي خُلـقَ الـوَفـاءِ، وربَّمـا أذكـرنَنـي بِمـواقِـفِ العُشـاقِ
ضَمّـاً ولَثمـاً واستطـابَـةَ نفحـةٍ، وخُفـوقَ أَحشـاءٍ وفيـضَ مـآقِ
فلـوَ انَّ سَـرْحـةَ بَطـنِ وادٍ، بـاللّـوى، حيَّتُهـا، تُصغـي إلـى مُشتـاقِ
لنَثَـرتُ بـالجـرعـاءِ عِقـدَ مـدامعـي، ففَضضـتُ خَتـم الصَّبـر عـن أغـلاقـي
وأرَقـتُ فضـلَ صُبـابـةٍ لصَبـابـةٍ، فـرفَعـتُ مـا أخلَفـتُ مـن أخـلاقـي[٣]
فـإليـك يـا نَفَـسَ الصَّبـا، فلَطـالمـا أذكـى نَـداكَ حَـرارةَ الأشـواقِ
هـا إنَّ بـي لَمَمـاً يُـؤرِّقُ نـاظـري ألَمـاً، فهـل مـن نـافِـثٍ، أو راقِ؟[٤]
سِـر وادعـاً، لا تَستَطِـرْ قلبـاً هَفـا بجنـاحِ شَـوقٍ، رِشْتَـه، خفَّـاقِ[٥]
وإذا طَـرَقـتَ جَنـابَ قُـرطُبَـةٍ، فقِـف، فكَفـاك مـن نـاس ومـن آفـاقِ
والثُم يدَ ابنِ أبي الخِصالِ عن العُلى، مُتشكِّـراً، واضْمُمـهُ ضـمَّ عِنـاقِ

---

(١) **المهراق**: المنسكب الذي أريق، من هراق بمعنى أراق.
(٢) **النّعامى**: ريح جنوبية.
(٣) **الصُّبابة**: بقية الكأس ـ **الصَّبابة**: الشوق إلى المحبوب.
(٤) **اللمم**: المسّ من الجنون ـ **النافث**: اسم فاعل من نفث فلاناً: سحره ـ **الراقي**: الذي يستعمل الرقية وهي أن يستعان للحصول على أمر بقوى تفوق في قوتها قوى الطبيعة.
(٥) **رشت الجناح**: جعلت له ريشاً، أي ساعدته على الطيران، والعبارة مجازية.

وافتُــق بِنــادِيــه التحيَّـــةَ زَهــرةً، نَفَّــاحــةً تُغنــي عــنِ استِنشــاقِ
كـالشمس يـومَ الـدَّجـنِ تَنـدى مُجتَنـى ظِـلٌّ، وتحسُـــن مُجتَلـى إِشـراقِ[1]
واهـزُزْ بهـا مـن مِعطَفَيـه، فـإِنَّمـا شَعشَعْتَهَـا كـأسـاً بيُمنـى سـاقِ
والنَّـورُ يَـرقُـم مـن بسـاطِ بَسطـةٍ؛ والغَيـمُ يَنشُـرُ مـن جَنـاح رِواقِ
وسِـم الحمـامـةَ أن تُجيـبَ تَغَنِّيـاً، عــن منطِــقٍ مــاضٍ، بِلُبِّـي، بـاقِ
مُتَـركِّـبٍ عـن نَفحَـةٍ فـي لَفحَـةٍ؛ وَكفـاكَ مِـن كـاسٍ، هنـاك، دِهـاقِ
وخِطـابِ بَـرٍّ نـابَ عنـه سِفـارةً؛ إنَّ الخِطـابَ، علـى البُعـادِ، تَـلاقِ
تَنـدى علـى كَبِـدي لُـدُونَـةُ مَنطـقٍ، فتَفِــي بحُـرٍّ تَـرائـبٍ وتَـراقِ
فهنـاك أرْوعُ مِـلءُ رُوعِ المُجتلـي، يقظـانُ مُـوثَـقُ عِقـدةِ الميثـاقِ[2]
هَـزِجَتْ بـه، هَـزِجَ الحَمـامِ، مَحـامدٌ، حَملـتْ حُـلاهُ مَحمَـلَ الأطـواقِ
لَـدْنُ الحـواشِـي، لـو أطَـلَّ غَمـامـةً لخَـلا مــنَ الإرعــادِ والإِبــراقِ
شَـرُفَـت بـه فُقَـرُ الثنـاءِ، وربَّمـا تتَشـرَّف الأطـواقُ بـالأعنـاقِ
جـمٌّ العُلـى، مَسَحَـتْ بـه كـفُّ العُلـى عـن حُـرٍّ وَجـهِ مُطهَّـم سبَّـاقِ
يُـزهـى بـأعـلاقِ المعـالـي، حِليـةً، إنَّ المعـالـي أنفَـسُ الأعـلاقِ
طـالَـتْ بـه، رُمحَ السمـاكِ، يَـراعـةٌ، تستضعِـفُ الجَـوزاءَ شَـدَّ نِطـاقِ[3]
مـا خَـطَّ، من غُـررِ الحِسانِ، وضـاءَةً، حتـى استمَـدَّ لهـا مـن الأحـداقِ
مُغـرًى بـأغـراضٍ، تَهُـولُ بـراعـةً، ورَفيـفِ ألفـاظٍ، تشُـوقُ، رِقـاقِ
تَهفـو بـه، طَـوراً، قُـدامـى بـارِقٍ فيهـا، وآونَـةً، جَنـاحُ بُـراقِ[4]
أَقسَمـتُ لـو أَخَـذَ الهِـلالُ كمـالَـه عنـه، لتَـمَّ تَمـامَ غيـرِ مَحـاقِ[5]

---

(١) **يوم الدّجن**: يوم المطر الكثير.
(٢) **الروع**: القلب ـ **يقظان**: يقظ، شديد الوعي.
(٣) **السماك**: هو السماك الرامح وهو من برج العذراء ـ **الجوزاء**: من الأبراج.
(٤) **البراق**: هي المطيّة التي امتطاها النبي في ليلة المعراج وهي في الحجم بين الحمار والبغل.
(٥) **المحاق**: آخر الشهر القمري.

وكَفـاكَ مـن غُصـنٍ، لسَطـرِ بـلاغـةٍ، متَنـــاســـقِ الأثمـــارِ والأوراقِ
مُستبـدِعٍ حُسنـاً، فمـن مَعنًـى لـه حُـرٍّ، ومـن لفـظٍ رقيـقٍ رواقِ[1]
مُتَـولّـدٍ عـن خـاطـرٍ مُتَـوقّـدٍ، لهبـاً، وطبـعٍ سَلسـلٍ دَفّـاقِ
ولـو كـان يُـرهَـفُ صـارِمـاً، لهَـزَزْتُـه فـي مـاءِ إفـرِنـدٍ، لـه، رَقـراقِ

(١٦٦)

أندُب المجْدَ والنّدى

قال هذه المرثية نادباً الوزير أبا محمد عبد الله بن ربيعة:

أَلا ليـتَ لَمـحَ البـارقِ المُتـألّـقِ، يلُـفُّ ذُيـولَ العـارِضِ المُتـدفِـقِ
ويركَبُ، من ريحِ الصَّبا، متنَ سابحٍ كـريـمٍ، ومـن ليـل السُّـرى، ظَهـرَ أبلَـقِ
فيُهـدي إلـى قبـرٍ، بحِمـصَ، تحيَّـةً متـى تَحتَمِلهـا راحـةُ الـريـح تَعبَـقِ
فعنـدي لحِمـصٍ أيُّ نَظـرةِ لـوعـةٍ، وللنجـمِ، وهنـاً، أيُّ نَظـرةِ مُطـرِقِ[2]
حنـانـاً إلـى قبـرٍ، هنـالـك، نـازحٍ، وشِلـوٍ، عَثـا فيـه البلـى، مُتمـزِّقِ[3]
وكيـف بِشكـوى سـاعـةٍ أشتَفـي بهـا، ودونَ التّـلاقـي كـلُّ بَيـداءَ سَملَـقِ؟[4]
فهـل عنـد عبـد الله مـا بـات يَنطـوي عليـه الحشـا، مـن لـوعـةٍ وتحـرُّقِ؟
وقـد أذكَـرَتنـي العهـدَ بـالأنـس أيكـةٌ، فـأذكَـرْتُهـا نَـوحَ الحَمـامِ المُطَـوَّقِ[5]
وأكبَبْـتُ أبْكـي بيـن وَجـدٍ، أَظلّنـي، حـديـثٍ، وعهـدٍ، للشبيبـةِ، مُخلِـقِ
وأَنشَـقُ أنفـاسَ الـريـاحِ تَعلُّـلاً، فـأعـدَمُ فيهـا طِيـبَ ذاك التّنَشُّـقِ
ولمّـا عَلَـتْ، وجـهَ النهـارِ، كـآبـةٌ، ودارت بـه، للشمـسِ، نظـرةُ مُشفِـقِ

---

(١) الرواق: الصفاء.

(٢) اللوعة: حرقة الحزن ـ وهناً: ليلاً ـ نظرة المطرق: أي نظرة الصامت ورأسه منحن نحو الأرض.

(٣) عثا فيه البلى: بالغ في إفساده ـ البِلى: من بلي الثوب، أي رثّ.

(٤) البيداء: الفلاة جمع بيد ـ السملق: القاع الصفصف.

(٥) الأيكة: الشجر الكثير الملتف ـ الحمام المطوّق: واحدته المطوّقة وهي ذات الطوق.

عطَفتُ على الأجداثِ أَجهَشُ، تارةً، وأَلْثُمُ، طوراً، تُربَها من تَشوُّقي
وقلتُ لمُغفٍ لا يهُبُّ منِ الكَرى، وقد بِتُّ من وجدٍ بليلِ المؤرَّقِ[1]
لقد صدَعتْ أيدي الحوادثِ شَملَنا، فهل مِن تلاقٍ بعد هذا التَّفرُّقِ؟
وإِن يكُ، للخِلَّينِ، ثَمَّ، التِقاءَةٌ، فيا لَيتَ شِعري أَين، أَو كيفَ نلتَقي؟
فأعزِزْ عَلَينا أَنْ تَباعدَ بَينَنا، فلَمْ يَدرِ ما أَلقى ولم أَدرِ ما لَقِي
فها أَنا وقْفٌ بينَ دَمعٍ وزَفرَةٍ، أَرى ذاكَ يُهوي حيثُ هاتِيكَ تَرتَقي
فَسَقياً لِقَبرٍ بينَ أَضلُعِ تُربَةٍ، مَتى أَتَذَكَّرْهُ بها أَتَشَوّقِ
وألوي ضُلوعي أندُبُ المَجدَ والنَّدى بأفصَحِ دَمعٍ، تحتَ أخرَسِ مَنطِقِ
إِذا قُمتُ أخطُو خُطْوةً بِفِنائه، تعثَّرْتُ في دَمعٍ بهِ مُتَرَقرِقِ
ومَهما لَثمتُ الأرضَ شوقاً لِلَحدِه، وجَدتُ ثراها طيِّبَ المتنَشَّقِ
ومِثليَ يَبكي للمُصابِ بِمِثلِه، فإنْ أخلَقَ الصَّبرُ الجَميلُ فأخلِقِ[2]
فقد كانَ، يومَ الرَّوعِ، أبيَضَ صارماً بكفِّي، ويومَ الفَخرِ، تاجاً بِمفرِقي
أغَرُّ طَليقُ الوجهِ يَهتَزُّ للعُلى، ويَمضي مَضاءَ المَشرَفيِّ المذَلّقِ
ويَستصحِبُ الذِّكرَ الجَميلَ فيَرتَدي بأحسَنَ مِن وَشيِ الرَّبيعِ، وأعبَقِ
ويَرمي بِسهمٍ، لا يَطِيشُ، مُفوَّقٍ، يُقَرطِسُ في يُمنى سَعِيدٍ مُوَفَّقِ[3]
تَضى بينَ كَفٍّ، للسَّماحِ، مُغيمَةٍ، تَفيضُ، ووَجهٍ، للطَّلاقَةِ، مُبرِقِ
وكم لِلحَيا من أدمُعٍ فيه ثَرَّةٍ؛ وللرَّعدِ من جَيبٍ عليه مُشَقَّقِ
ولِلبَرقِ مِن قَلبٍ بِهِ مُتَملمِلٍ؛ ولِلنَّجمِ من طَرفٍ عليه مؤرَّقِ
كأنْ لمْ أَشِم، من بِشرِه، بَرقَ مُزنةٍ، تَصُوبُ بِوكّافٍ، من الجود، مُغْدِقِ[4]
ولا قِلتُ منهُ بينَ ظِلٍّ لعَطفَةٍ تَنَدَّى ، ونَورٍ ، للبَشاشةِ ، مُونِقِ

---

(١) **المغفي**: النائم ـ **الكرى**: النوم ـ **المؤرق**: الذي لا ينام.
(٢) **أخلق الصبر**: صار خلقاً بالياً أي انعدم ـ **أخلِق**: أي أجدر به أن يكون كذلك.
(٣) **يقرطس**: يحقّق غرضه.
(٤) **الجود المغدق**: العطاء المتّسع.

ولـم أَلْتفِت مـن وَجهِـه، لَيلَـةَ السُّرى، إِلــى فيلَــقٍ يَلقــى الظَّــلامَ بِفيلَــقِ
فمـا ابـنُ شَمـالٍ بـاتَ يَهفـو، كـأَنَّمـا به، خَلفَ أستار الدُّجى، مسُّ أَوْلَقِ[1]
سَرى بينَ دفَّاعٍ، من الوَدق، مُغدِقٍ، يَسُــحُّ، ولَمَّـاعٍ، مـن البَـرقِ، مُحـرِقِ
بـأَنـدى ذُيـولاً مـن جُفـونِـيَ، مَـوهنـاً، وأهفـى جَنـاحـاً مِـن ضُلُـوعـي وأخفَـقِ

(١٦٧)

ثِمارُ النّارِنْج

ومَحمُــولَــةٍ فــوقَ المنــاكِــبِ، عِــزَّةً، لها نَسَبٌ، في رَوضةِ الحَزن، مُعرِقُ[2]
رأَيـتُ بمـرآهـا المُنـى كيـف تَلتَقِـي، وشَمْــلَ ريــاحِ الطيِّــبِ، وهْــي تَفــرَّقُ
يضاحِكُها ثَغرٌ، من الشمس، واضِحٌ، ويَلحَظُهــا طَــرفٌ، مــن المــاءِ، أَزرَقُ
وتُجْلــى بهــا للمــاءِ والنــارِ صُــورةٌ، تَـرُوقُ، فطـرَفـي حيـثُ يَغـرَق يُحـرقُ[3]

(١٦٨)

تَخالُ خِيلانَه كواكِب

غــازَلْتــه مــن حبيــبٍ، وجهُــه فَلَـقُ، فمــا عــدا أَنْ بَـدا فــي خـدِّه شَفَـق[4]
وارتَــجَّ يعثُــر فــي أَذيــالِ خَجْلَتِــه، غُصـنٌ، بعِطفَيـه، مـن إِستَبـرَقٍ ورَق[5]
تخـالُ خِيـلانَـهُ، فـي نـورِ صفحَتـه، كواكباً، في شُعاعِ الشمسِ، تحترق[6]
عجِبـتُ، والعيـنُ مـاءٌ والحَشـا لهَـبٌ، كيـفَ التقَـتْ بهمـا، فـي جنَّـة، طُـرُق

---

(١) **الدجّى**: الليل ـ **مسّ أولق**: مسّ الجنون.

(٢) **الحزن**: المكان المرتفع ـ **المعرق**: ذو النسب المتأصل.

(٣) **النار**: أراد لون النار وهو لون ثمار النارنج الحمراء المعروفة بليمون أبو صفير.

(٤) **الفلق**: اشراقة الصبح ـ **الشفق**: احمرار الأفق عند الغروب.

(٥) **الاستبرق**: الثياب الحريرية.

(٦) **الخيلان**: جمع الخال وهو عبارة عن الشّامة في الخد أو موضع آخر من الجسم.

(١٦٩)
عِنْدي لوعَةٌ

يـا مُتـرَفـاً يَمشـي الهُـوَينـا، غِـرَّةً، ويَهُـزُّ أَعطـافَ القضِيـبِ المُـورِقِ[١]

جَمعَـتْ ذُؤابتُـه ونُـورُ جَبينِـه بيـن الـدُّجُنَّـةِ والصَّبـاحِ المُشـرِقِ

هـل كـان عنـدَكَ أَنَّ عنـدي لَـوعـةً، يَنبُـو لهـا طَـرفُ السِّنـانِ الأزرَقِ[٢]

طـالَـتْ مُـراقَبَـةُ الخيـال، ودُونـه، رَعْـيُ الـدُّجـى، فمتـى أَنـامُ فنَلتَقـي

مـا بيـن نَحـرٍ بـالـدمـوع مُقلَّـدٍ فـرحـاً، وجِيـدٍ بـالعِنـاقِ مُطَـوَّقِ

(١٧٠)
تذوبُ عَلَيْها الحَدَقُ

لِيَهنَـكَ وافِـدُ أُنـسٍ سَـرى، فسـرَّى، وفَضْـلُ سُـرورٍ طَـرَقْ[٣]

فمـا شِئـتَ مـن مـاءِ وِردٍ بـه أَراقَ، ومـن ثـوبِ حُسـنٍ أَرَقّ

وسَـوداءَ تَـدمـى بـه مَنْحـراً، كمـا اُعتَـرَضَ الليـلُ تحـتَ الشفَـقْ

وأُقسِـم لـو مُثِّلَـتْ، ليلـةً، لعِفـتُ الكـرى واستطَبـتُ الأَرَقِ

ستَخلَـع، مـن فَـروِهـا، ضَحـوةً، سـوادَ الـدُّجـى عـن بيـاضِ الفَلَـقِ

فيـا حُسـنَ حَضْـرٍ لهـا أَحمـرٍ، ومِئـزَرِ شَحـمٍ عليـه يَقَـقْ[٤]

ومـا رفَلَـت فـي قميـصِ الظَّـلام، ولا اشتَمَلَـت بِـرداءِ الغَسَـقِ

ولكـن تَسِيـل عليهـا القُلـوبُ هـوًى، وتـذُوب عليهـا الحَـدَقِ[٥]

---

(١) **يمشي الهوينا**: أي متمهلاً ـ **الغرّة (هنا)**: الغرور ـ **القضيب المورق**: القامة الهيفاء.

(٢) **اللوعة**: حرقة الحزن ـ **ينبو لها**: يتعثّر دونها.

(٣) **سرى**: سار ليلاً ـ **سرّى (عن فلان)**: أذهب عنه الهمّ والحزن.

(٤) **اليقق**: الأبيض.

(٥) **الحدق**: العيون.

(١٧١)

ابتَسَمتْ عن فَلَق

تجـــرَّدَتْ عـــن غَسَـــقِ، وابتسمَـــتْ عـــن فَلَـــقِ[١]

وأَمكَنَـــتْ مـــن خُلُـــقِ، مُلتَهِـــبٍ، محتـــرقِ

ثـــم نَضَـــت، تَعثـــرُ فـــي فَضلـــةِ بُـــرْدٍ شَـــرِقِ[٢]

كمـــا تـــوَلَّـــت لَيلـــةٌ تَسْحَـــبُ ذَيـــلَ الغَسَـــقِ

(١٧٢)

أَحْشاؤُها تَخْفِقُ

ولُجَّـــةٍ تُفْـــرَقُ أو تُعشَـــقُ، فمـــا تَنـــي أَحشـــاؤُهـــا تَخفِـــقُ[٣]

يسيـــرُ فيهـــا ســـائـــرٌ هـــاجَهـــا مـــن الصَّبـــا، مُـــزبِـــدُه يُقلِـــقُ[٤]

فَخلتُنـــي، فـــي وسطهـــا، فـــارســـاً قُـــرِّبَ منـــه فـــرسٌ أَبْلَـــقُ[٥]

(١٧٣)

لَهَوْتُ بها

صَحا، عَنِ اللهوِ، صاحٍ عافَهُ خُلُقاً، فقـامَ يَخْلَـعُ سِـربـالاً لـهُ خَلَقـا[٦]

وعطَّـلَ الكـأسَ مِـن شقـراءَ سـابحـةٍ، أَلا كَفـاهـا بِـريَعـانِ الصِّبـا طَلقـا[٧]

ورُبَّ لَيلَـةِ وَصـلٍ قـد لهَـوتُ بهـا، مُغـازلاً فَلَقـاً، أو شـاربـاً شَفَقـا

---

(١) **الغسق**: أول ظلمة الليل ـ **الفلق**: طلعة الصبح.

(٢) **نضت (الثوب)**: خلعته ـ **البرد**: الثوب ـ **البرد الشرق**: الثوب المشرق، ذو اللون الزّاهي.

(٣) **تفرق**: يفزع منها، من الفرق وهو الخوف والفزع ـ **تخفق**: تختلج.

(٤) **هاجها**: أثارها، حرّكها ـ **الصّبا**: ريح الصّبا.

(٥) **الأبلق**: الفرس الذي في لونه بياض وسواد.

(٦) **الخُلُق**: الطبع ـ **الخلق**: البالي.

(٧) **الطلق**: الشوط، المدى.

لا نَنْثُـرُ الـدُّرَّ فيـه، بيننـا، كَلِمـاً ... حتـى أُقبِّلَـه، مـن مَبِسـم، نَسَقـا[1]

ورُبَّ غُـرَّة عَبْـرى قـد شَـرِقـتُ بهـا، ... فـي مَـوقـفٍ للنَّـوى أَضْـرَمْتُه حُـرَقـا[2]

تَخـالُ مـا احمَـرَّ مـن خـدَّيـهِ مُلتَهِبـاً ... بهـا، ومـا اسـوَدَّ مـن صُـدغَيـهِ مُحتَـرِقـا

(١٧٤)

لا هَوادَة

من موقفٍ أفصَحَتْ بِيضُ السيوفِ به، ... فـلا هَـوَادَةَ بيـنَ السَّيـفِ والعُنُـقِ

فكـم أنـابيـبِ خَطِّـيّ بـه كُسِـدَت، ... تَدمى، وكم سَلخِ درعٍ، بَينها، مَزِقِ[3]

وكـم كُـؤوسٍ مـن البـأسـاءِ دائـرةٍ ... علـى نـديـمٍ، مـن الأبطـالِ، مُغتَبِـقِ

والخيلُ تَفري جُيُوبَ النَّقع من حَرَبٍ، ... تحـتَ الكُمـاةِ، وتُـذري أَدمُـعَ الفَـرَق[4]

مـن أَشهَـبٍ شَـقَّ عنـه النَّقْـعُ هَبْـوَتـه، ... كمـا تَفَـرَّى أديـمُ اللَّيـلِ عـن فَلَـق[5]

وأَدهَـمٍ فَضَّـضَ التَّحجيـلُ أَكـرُعَـه، ... كمـا تَعَلَّـقَ بـدءُ الصُّبـحِ بـالغَسَـقِ[6]

وأشقـرٍ سـائـلٍ، فـي وجهِـه وضَـحٌ، ... كما تَصوَّبَ نَجمُ الرَّجمِ في الشَّفَق[7]

(١٧٥)

لكلّ مرْقَبةٍ لواءُ

يـا حبّـذا، والبـرقُ يـزحَـفُ بُكـرةً، ... جيشَـا رَحيـقٍ، دونـه، وحَـريـقِ[8]

---

(١) نثر الدر نسقاً: أي منظوماً.

(٢) عبرى: أي العين الدامعة.

(٣) أراد بأنابيب خطي: الرماح التي تصنع في بلدة الخطّ، من مرافىء البحرين ـ السلخ: الجلد ـ المزق: المطعون، المشقق.

(٤) النقع: الغبار ـ الكماة: جمع كمي الفارس اللابس السلاح ـ أدمع الفرق: أدمع أو دموع الخوف.

(٥) الهبوة: الغبار ـ تفري: تقطع، تمزق ـ الفلق: طلعة الصبح.

(٦) التحجيل: أن يكون في قوائم الفرس بياض.

(٧) الوضح: البياض.

(٨) الرحيق: الخمر.

حتـــى إذَا ولّـــى، وأسلَـــم، عَنْـــوةً، مـــا شِئْـــتَ مـــن سهـــلٍ وذُروة نِيـــقِ[1]
أخـــذَ الـــربيـــعُ عليـــه كـــلَّ ثَنِيَّـــةٍ، فبِكُـــلِّ مَـــرقَبَـــةٍ لـــواءُ شَقِيـــقِ

(١٧٦)

يبوحُ بسرّ اللّيل

تحلَّت به، من كوكبٍ، لَبَّة الدجى؛ وحفَّ به طرفٌ، من الليل، أَبلَقُ[2]
وبـــتُّ، وعنـــدي للصبـــاح مُـــلاءَةٌ، تَـــرُوقُ، وجَيـــبٌ، للظـــلام، يمـــزَّقُ
يُشـــافهُنـــي منـــه لســـانُ ابـــنِ رملَـــةٍ، يبُـــوح بسِـــرِّ الليـــلِ، والليـــلُ مطرِقُ[3]
ويَنْحـــرُ دونـــي، جِنـــحَ كـــلِّ دُجُنَّـــةٍ، سِنـــانٌ صَقِيـــلٌ، لِلـــذُّبـــالـــةِ، أَزرَقُ[4]

(١٧٧)

مَنْ يوثَقُ

لاَ تُـــودِعَـــنَّ، ولا الجَمـــادَ، سَـــرِيـــرَةً، فمِـــنَ الصَّـــوامِـــتِ مـــا يُشيـــرُ، فيَنطِـــقُ
وإذا المِحَـــــكُّ أَذاعَ سِـــــرَّ أَخٍ لـــــه، فـــانظُـــر، فَـــدَيْتُـــك، مـــن تُـــراهُ يُـــوثَـــقُ

(١٧٨)

الصغيرة تجرُّ عظِيمَةً

قُـــلْ مـــا تشـــاءُ بمَحفِـــلٍ أو مَجهَـــلٍ، واخـــزُنْ لســـانَـــك عـــن مَقـــالٍ يُـــوبِـــقُ[5]
إنَّ الصغيـــرةَ قـــد تَجُـــرُّ عظيمـــةً، ولـــربمـــا أودى، بِشـــاهٍ، بَيْـــدَقُ[6]

---

(١) **النيق**: أعلى قمة في الجبل.
(٢) **اللبّة**: موضع القلادة من الصدر، والكلمة مأخوذة من لبّ الشيء أي خالصه ـ **الأبلق**: الأبيض.
(٣) **أراد بلسان ابن رملة**: القلم. سميّ القلم كذلك لأنه متخذ من القصب الذي ينبت في أرض رملية.
(٤) **يصف ذبالة السراج فيشبهها بالسنان** ويقول إنّ لسان نار السراج يذبح مبدداً جناح الظلام من حوله.
(٥) **يوبق**: يهلك.
(٦) **أودى به**: أهلكه ـ **الشاه والبيدق**: من حجارة الشطرنج.

(١٧٩)

أَتُرى غَيَّرتْك

من شعره في مداعبة بعض الأخوان

قُـلْ للمُقِيـمِ مـع النُّفـوس عَـلاقَـةً: يـا راكِبـاً ظَهْـرَ المَطِـيِّ بُـراقـا[١]

لِـمْ صِرتَ تَرغَبُ عن سجايا حُرَّةٍ، قـد كُنـتَ مُقتَنِيـاً لهـا أَعـلاقـا

أَتَمُـرُّ لا تَلـوي علـى مَثـوى أخـي ثِقـةٍ، ولا تقِـفُ الـرِّكـابَ فُـواقـا؟[٢]

أَتُـرى الـوِزارةَ غيَّـرتـكَ خليقـةً؛ إنَّ الـوزارة تنقُـلُ الأخـلاقـا

(١٨٠)

قُلْ للحميم

بعث هذه المنظومة إلى أبي عبد الله محمد بن عائشة يدعوه لمجلس أنس ويصف له حال صديق لهما عزت معالجته:

يـا هِـزَّةَ الغُصْـنِ الـوَرِيـقِ، وبَشـاشـةَ الـرَّوضِ الأنيـقِ

أَأَتَتكُمـا بُشـرى بسُقيـا، أم سَـلامٌ مـن صـديـقِ

فهـزَزتَ مـن عِطْـفٍ نَـدٍ، وسَفَـرتَ عـن وجـهٍ طَلِيـقِ

ولقـد أقـولُ، إذا سَـرى بَيـنَ الأقـاحِـي والشَّقيـقِ

بـالله يـا نَفَـسَ الصِّبـا: حـيِّ الصـديـقَ عـن الصـديـقِ

قُـلْ للحبيـبِ، بـلِ الحَميـمِ، بـلِ الشَّفيـقِ، بـلِ الشَّقيـقِ

يـا مُلتَقـى الخُلـقِ الشَّـريـف، وهِشَّـةَ الـوَجـهِ الطَّليـقِ

إنَّ النَّجـاةَ بَعيـدةٌ، فـاسلُـك بِنـا قَصـدَ الطَّـريـقِ

واركُـضْ بِنَـا رَكضـاً حَثِيثـاً، فيـهِ، عَـن نَظَـرٍ دَقيـقِ[٣]

فلِمِثلِهـا مـن شِقَّـةٍ، أَعـدَدتُ مِثلَـكَ مـن رَفيـقِ

---

(١) أراد بالبراق المطية السريعة .

(٢) الفواق: البرهة القصيرة من الزمن. ـ الهشة: البسمة من هش تبسّم وخف للمعروف.

(٣) الركض الحثيث: السريع الجاد.

فـــارْغَــبْ بِنَفسِــكَ عــن مَكــانٍ، قـــد نُبِـــذتَ بـــه، سَحِيـــقِ[1]
واركَـــبْ بنـــا اللَّفـــظَ الجَلِيـــلَ، وسِـــر إلـــى المَعنـــى الـــدَّقِيـــقِ
وامسَـــحْ قَـــذى طَـــرْفٍ بـــه، يَمتَـــدُّ فـــي فَـــجٍّ عَميـــقِ
وشُـــبِ الـــوَعِيـــدَ بِمَـــوعِـــدٍ، فـــالمـــاءُ يُمـــزَجُ بـــالـــرَّحِيـــقِ
وتَـــلافَ، مـــن بَحـــرِ الشَّكـــاةِ، أَخـــاً يَمـــدّ يـــدَ الغَـــرِيـــقِ
لا بـــالسَّقِيـــم ولا الصَّحِيـــح ولا الأسِيـــرِ ولا الطَّليـــقِ
لَـــوْ جئتَـــه ففجـــأتَـــهُ لأَقَـــلَّ جَفـــنَ المُستَفِيـــقِ
لا تَبخَلَـــنَّ بنَفحَـــةٍ، وثَـــراكَ مِـــن مِســـكٍ فَتِيـــقِ
وارْبَـــع بِـــوادٍ، عُشبُـــه خَضِـــلٌ، ونَـــمْ فـــي رأسِ نِيـــقِ[2]

لَوْلاك

كتَبـــتُ، وقـــد خَصِـــرَتْ راحتـــي، فهـــل مـــن حَـــريـــقٍ لكـــاسِ الـــرَّحيـــقِ
وقـــد أعـــوَزَت نـــارُهـــا، جُملـــةً، فلـــولاك شبَّهتُهـــا بـــالصـــديـــقِ

(١٨١)

يا راكِضاً. . .

يـــا راكِضـــاً فـــي شَـــوطِ كـــلِّ سيـــادةٍ، أَعْيـــا تَـــرَسُّلُـــه الـــرِّيـــاحَ لَحـــاقـــا
مُتيَقِّظـــاً تَنـــدى حـــواشِـــي لَفظِـــه، سَلَســـاً، ويَلفَـــحُ فَهمُـــه إِحـــراقـــا
مـــا حـــامِـــلٌ خُطَـــطَ المَهـــابَـــةِ خـــامِـــلٌ، مـــا قـــامَ فـــي العَليـــاءِ يَنقُـــلُ ســـاقـــا
مُتعـــذِّبٌ مـــا زالَ يَضـــرِبُ يَـــومَـــه كَـــدّاً، ويُحنِـــقُ لَيلَـــهُ إِسْفـــاقـــا[3]
مـــا إنْ يَسيـــرُ مـــعَ الصَّبـــاحِ لِشـــأنِـــه، حتـــى يَشُـــدَّ مـــعَ النُّفـــوسِ نِطـــاقـــا

---

(١) المكان السحيق: النّائي، البعيد.
(٢) النيق: أعلى قمم الجبل.
(٣) الإسفاق من أسفق وسفق فلاناً: لطمه والباب رده.



قافية الكاف

(١٨٢)

سوّاك فعدَّلك

كفـى حكمـةً لله أنّـكَ صـائـرٌ تُـراباً، كما سوَّاكَ قَبلُ، فعـدَّلَـكْ[١]

وإنْ شئـتَ مَـرأى كيـفَ كَـوَّنَ ثـانيـاً، فـدُونَـك، فـانظـرْ كيـف كَـوَّنَ أوّلَـكْ

فهـلْ أنـتَ، فـي دار الفَنـاءِ، مُمَهَّـدٌ، مَحلُّـكَ، فـي دار البقـاء، ومنـزِلُـكْ؟

(١٨٣)

نامَ مِنّي ظالِمٌ

كتب الشاعر هذه الأبيات إلى الأمير أبي بكر:

أوَجهُـك بسّـامٌ وطَـرفـيَ بـاكِـي؛ وعَـدلُـكَ مـوجـودٌ ومِثلـيَ شـاكِـي

وتَـأبـى اهتِضـامـي، فـي جَنـابك، هِمَّـةٌ تهُـزُّكَ هَـزَّ الـرِّيـح فَـرعَ أَراكِ[٢]

وقـد نـام منّـي ظـالـمٌ لـيَ ذاعِـرٌ، فيـا هَبَّـةَ السيـفِ الحُسـامِ دَراكِ[٣]

(١٨٤)

أوجَعْتِ قَلْباً

يا مُنيَةَ النَّفسِ حسبي، مِن تشكّيكِ، أنـي أُصـابُ، وكـفُّ الـدهـرِ تَـرميـكِ

---

(١) عدّلك: سوّاك.

(٢) الأراك: شجر يستاك به، واحدته أراكة.

(٣) الذاعر: المخيف المثير الذعر ـ دراك: اسم فعل أمر بمعنى ادركي الظالم المعتدي.

ولـو تَسـامـحَ خَطـبٌ فـي فِـدائِـك بـي، لكُنـتُ، مهمـا عَـرا خطـبٌ، أُفَـدِّيـكِ[1]
وكيـف أُغفِـي بِلَيـلٍ تسهَـرِيـن بـه، أَو أَستَسِيـغُ شـرابـاً ليـسَ يُـروِيـكِ؟
هُنَيـدَ أَوجَعـتِ قلبـاً قـد أَقمـتِ بـه، ما بالُ طرفي، وما يُدرِيك، يَبكيكِ
فـرُبَّ لُـؤلُـؤِ دمـعٍ كنـتُ أَذخَـرُه عِلقـاً أُغـالـي بـه، أَرخَصتُـه فيـكِ
وإِن نـأى بـكِ رَبـعٌ غيـرُ مُقتَـرِبٍ، أَوِ احتَـواكِ حِجـابٌ فيـه يُقصِيـكِ[2]
فـإِنَّ كـلَّ نسيـمٍ، خـاضَـهُ أَرَجٌ، رسـولُ شـوقٍ، أتـى عنّـي يُحيِّيـكِ
وربمـا شَفَعـتْ لـي غَفـوَةٌ نَسَخـتْ أُخرى الظلامِ، فباتَ الطيفُ يُدنيكِ

(١٨٥)

الماءُ يضحَكُ

ومُرَقْرَقُ الإِفرِندِ يمضي في العِدا، أبـداً، فَيَفْتُـك مـا أَرادَ ويَنسُـكُ[3]
فكـأَنَّـه، والمـاءُ يضحـكُ فـوقَـه، جـذْلانُ، يَبكـي للسُّـرورِ ويَضْحَـكُ[4]

(١٨٦)

يَهْتَزُّ ويَضْحَكُ

وأَبيضَ عَضبٍ حالفَ النَّصرَ صاحباً، يَكادُ، ولم يُستَلَّ، يمضي فيَفْتُكُ[5]
يُبَشِّـرُهُ بـالنصـرِ إِرهـافُ نَصلِـه، فيهتـزُّ فـي كـفِّ الكَمـيِّ ويضحَـكُ

(١) **عراه الخطب**: أصابه، **والخطب**: الشأن صغر أو عظم، وأكثر استعماله للأمر العظيم المكروه.

(٢) **يقصيك**: يبعدك.

(٣) **الإفرند**: جوهر السيف.

(٤) **جذلان**: فرح.

(٥) **الأبيض العضب**: السيف القاطع ـ استلّ السيف: جردّ من غمده.

(١٨٧)

يَنْدى نورُ ذِكْرك

يصف ابن خفاجة محاسن الحبيب من نافذة الذكرى . .

يــــا رُبَّ ليـــــلٍ بِتُّــــــه ، وكــأنَّـــه مِـــن وَحــف شَعــرِكْ[١]

تَنهَـــلُّ مُـــزنـــةُ دَمْعَتـــي ، فيـــه ، وينـــدى نَـــوْرُ ذِكــرِكْ[٢]

أتبعـــتُ فيـــه ، وقـــد بكيـــتُ ، عقِيــــقَ خــــدِّك دُرَّ ثغـــركْ

وشـــرَقـــتُ فيـــك بِعَبــرةٍ ، قـــد ورَّدَتهـــا نـــارُ هجــرِكْ[٣]

فكـــأنَّمـــا ينفـــضُّ ، عـــن حَبَـــبٍ لهـــا ، رُمّـــان صَـــدرِكْ

ولــرُبَّ ليــلٍ ، قَــد صــدَعــتُ ظــلامَــه بجبيـــنِ بـــدرِكْ[٤]

ولهـــوتُ فيـــه بِـــدُرَّةٍ مكنـــونـــةٍ فـــي حُـــقِّ خِـــدرِكْ[٥]

تنـــدَى شَقـــائـــق وجنتَيْـــك بـــه ، وتَنفَـــحُ ريـــحُ نشـــرِكْ

وقـــد استـــدارَ ، بصفحَتـــيْ سُـــوســانِ جيــدِك ، طَــلُّ دُرِّكْ[٦]

حيـــث الجبـــابـــة دمعـــة ، تجـــري بـــوجنـــة كـــاس خمــرِكْ

وتهـــزُّ منـــك ، فتنثنـــي بقضيـــب قـــدِّك ريـــحُ سكــرِكْ

وتُعـــبُّ ، مـــن رجـــراج ردفـــك ، مـــوجـــةٌ فـــي شـــط خصــرِكْ

---

(١) **الشعر الوحف**: الكثيف.

(٢) **المزنة**: المطر.

(٣) **العبرة**: المدعة.

(٤) **صدع الظلام**: اخترقه وشقه.

(٥) **الحُقّ**: الوعاء، شبه النهد بالحق وقد سبق عمرو بن كلثوم إلى هذا التشبيه حين قال في المعلقة:

وثـــديـــا مثـــلَ حُـــقّ العـــاجِ رخْصـــا حَصـــانـــاً مـــن أكـــفّ الـــلاّمسينـــا

(٦) **الجيد**: العنق. **الطلّ**: النّدى.





قافية اللام

(١٨٨)

يميلُ إلى مِثْلِهِ

جميــلٌ يَميــلُ إلــى مِثلِــهِ، … فيَشفَــعُ مــرآهُ فــي وَصلِــهِ

رَمــى نــابــلٌ منهمــا نــابــلاً … يُنــاغيــهِ والنَّبــلُ مــن نَبلِــهِ[١]

ويَنظُــرُ منــه إلــى جَنبِــه، … كمــا نَظَــرَ الظَّبــيُ مــن ظِلِّــهِ

(١٨٩)

غازَلْتُهُ

نهــرٌ، كمــا ســال اللَّمــى، سلســالُ؛ … وصبــاً بَليــلٌ، ذَيلُهــا مِكْســالُ[٢]

ومَهــبُّ نَفحــةِ رَوضــةٍ مطلــولــةٍ، … فــي جَلهَتَيهــا، للنسيــم، مَجــالُ[٣]

غــازَلتُــه، والأقحــوانــةُ مَبسِــمٌ، … والآسُ صُــدغٌ، والبنفســجُ خــالُ

ووراءَ خفَّــاق النِّجــاد ضُبــارِمٌ، … يَســري بــه، خلــفَ الظــلام، خَيــالُ[٤]

ألقى العَصا، في حيثُ يعثُر بالحَصَى … نهــر، وتَعبــثُ بــالغُصــونِ شَمــالُ

---

(١) **أراد بالنّبل**: لحاظ العين.

(٢) **الصبا**: الريح اللينة الناعمة.

(٣) **المطلولة**: المخضّلة بالطلّ وهو النّدى ـ الجلهة: الجهة المقابلة من الوادي.

(٤) **الضبارم**: الأسد، شبه به نفسه.

وكــأنَّ مــا بيــن الغُصــونِ تَنــازُعٌ فيــه، ومــا بيــنَ الميــاه جِــدالُ

وأَربَّ يَبــرُدُ، مــن حَشــاه، مَكــرَعٌ خَصِــرٌ، يَسِــحُّ، وتلعَــةٌ مِخضــالُ[١]

مــا بيــن روضــةِ جَــدولَيــن، كــأنما بُسِطَــتْ يميــنٌ منهمــا وشِمــالُ

مثــلُ الحُبــابِ، بمُنحَنــاهُ ذُؤابــةٌ، خَفَّــاقــةٌ، حيــثُ الــرُّبــى أكفــالُ[٢]

وانسَــابَ ثــانــي مَعطِفَيــه، كــأنــه هَيمــانُ، نشــوانٌ، هنــاك، مُــذالُ[٣]

أَو ظِــلُّ أَسمــرَ بــاللِّــوى مُتــأطِّــرٌ، عَطَفَــت جَنــوبٌ مَتنَــه وشمــالُ[٤]

لــم أدرِ هــل يُــزهــى، فيَخْطُــر نَخــوَةً، أم لا عَبَــت أَعطــافَــهُ الجِــرْيــالُ[٥]

فــإِذا استَطــار بــه النَّجــاءُ، فنَيــزَكٌ؛ وإِذا تهــادى، فــالهِــلالُ هِــلالُ

زُرَّت عليــه جُبَّــةٌ مَــوشِيّــةٌ، بمَقيلِــه، أُخــتٌ لهــا أَسْمــالُ[٦]

مِــزَقٌ كمــا يَنقَــدُّ، فــي يــوم الــوَغــى، عــن لَبَّتَــيْ مُستَلئِــمٍ، ســربــالُ[٧]

أَلقــى بــه منهــا، هنــالــك، دِرعَــه، بطَــلٌ، وجَــرَّد، وشيَــه، مُختــالُ

بيَــد الهجيــرة منــه ســوطٌ خــافــقٌ؛ وبِســاقِ لَيلَــةِ صَــرْصَــرٍ خَلخــالُ[٨]

فَــدَلَفْــتُ يقْــدُمُ بــي، هنــاك، ضُبــارِمٌ، ضــارٍ، لــه، بعَمــايــةٍ، أَشبــالُ[٩]

شَيحــانَ، لا أَرتــابُ مــن هَلَــعٍ، ولا أغتــابُ مــن طبــعٍ، ولا أغتــالُ[١٠]

مُتَخــايــلاً أمشــي البَــرازَ، ودُونَــه، مــن أرقــم، سِــدرٌ ألــفُّ وَضــالُ[١١]

---

(١) أربّ: أقام في المكان ـ **الخصر**: البارد ـ الخضال: المخضّلة بالنّدى.

(٢) **الحباب**: الحية ـ **الأكفال**: جمع كفل الردف، العجز.

(٣) **المذال**: ذو الذيل الطويل.

(٤) **متأطر**: اسم فاعل من تأطر: أي تثنّى.

(٥) **الجريال**: الخمرة.

(٦) **الأسمال**: الأثواب البالية.

(٧) **المستلئم**: لابس اللأمة، أي الدرع ـ **السربال**: القميص.

(٨) **الصرصر**: الريح الشديدة.

(٩) **دلف**: سار ومشى ـ شبّه نفسه في هذا البيت بالأسد الجريء المقدام.

(١٠) **الشيحان**: الغيور ـ **الهلع**: الخوف الشديد.

(١١) **الأرقم**: الحية ـ السّدر: شجر النبق ـ **الألفّ**: الملتف ـ **الضال**: شجر السدر البرّي.

فتَــــوعَّـــدتنـــي نَظــرةٌ وقَّـــادةٌ، يُـذكَـى، بهـا تحـت الظـلام، ذُبـالُ
وهــوى، كمـا يَهـوي أتـيّ مُـزبِـدٌ، رَجمَـت بـه، بعـضَ التِّـلاعِ، تِـلالُ
يهفُــو الضَّـرَاء، أمـامَـه، ولـربمـا يَـذَرُ الكَثيـب، وراءَه، يَنهـالُ[1]
فَـدَرَأتُ بـادِرةَ الشجـاعِ بـأخضـرٍ، في رقشـه، هُـوَ للشجـاع مِثـالُ[2]
جمَـد الغـديـرُ بمَتنِـهِ، ولـربمـا أَعْشـاكَ إفـرِنـدٌ لـه سيَّـالُ[3]
وجَمعـتُ بيـن المَشـرفـيِّ وبَينـه، فتَـلاقَـتِ الأشبـاهُ والأشكـالُ
وتَسـاوروا يتكـافحـان، كمـا التَقـى، يـومـاً، أبـو إسحـاقَ والـرِّيبـالُ[4]
وكـلاهمـا مِـن أَسـودٍ ومُهنَّـد، فـي ضِمنِـه الأوجـال والآجـالُ[5]

(١٩٠)

حَسْبي شجواً

كفَـى حَـزَنـاً أَنَّ الـدِّيـارَ قَصِيَّـةٌ، فـلا زَورَ إلاَّ أن يكـون خَيـالا[6]
ولا الـرُّسـلُ إلاَّ للـريـاحِ، عَشِيَّـةً، تكُـرُّ جَنـوبـاً بيننـا وشَمـالا
فـأستَـودَعُ الـرِّيـحَ الشَّمـالَ تحيَّـةً؛ وأَستَنشِـقُ الـرِّيـحَ الجَنـوبَ سُـؤَالا
وحسبـيَ شجـواً أَنَّ لـي فيـك أَضلُعـاً حِـراراً، وأَرْدانـاً عليـك خِضـالا[7]
وطـرفـاً قَـريحـاً فيـك عـنِ الكَـرى، ولا فِطـرَ إلاَّ أَن تلُـوح هِـلالا[8]
ومـا الـدَّهـرُ إلاَّ صفحـةٌ بـك طَلَقَـةٌ لَثَمـتُ بـه، مـن قبـلِ وَصلِـك، خـالا

---

(١) **يهفو الضّراء**: أي يسير متنكّراً ـ الكثيب: المرتفع من الرمل.
(٢) **درأ**: دفع ـ **الشجاع**: الحيّة ـ **الأخضر**: السيف.
(٣) **الأفرند**: جوهر السيف وقوله أعشاك: أي جعلك تنبهر.
(٤) **أبو إسحق**: كناية عن نفسه ـ **الريبال**: مخفف الرئبال، وهو الأسد.
(٥) **الأوجال**: جمع الوجل وهو الخوف ـ الآجال: جمع الأجل، وهو الحتف.
(٦) **الزور**: الزيارة.
(٧) **الحرار**: جمع حران، والحران الشديد الظمأ.
(٨) **أراد بالفطر**: عيد الفطر.

فمـا أَنْسَـهُ لا أَنسَ ليـلاً علـى الحِمـى، وقـد رَقَّ وضَّـاحـاً وراق جَمـالا
وزارَ بـه نجـمُ السُّهـى قمـرَ الـدُّجـى، وبـاتـا بحـالِ الفَـرقَـدَيـن وِصـالا
إِذا مـا هَـدانـا فيـه بـارِقُ مَبْسِـم، أَجَـنَّ دُجَـى فـرعٌ، فحِـرْتُ ضَـلالا
ولـي نَظَـرٌ يـرتَـدُّ فيـك صَبـابـةً، وقـد فـاضَ مـاءُ الشـوق فيـه، فجـالا
فجاد الحِمى غادٍ، من المزنِ، رائحٌ، تَهـاداه أَعنـاقُ الـرِّيـاح كَـلالا
وسـارِيـةٍ دَهمـاءَ حـارَبهـا الـدُّجـى، فشـبَّ بهـا البَـرقُ المُنيـرُ ذُبـالا[1]
فللّـه مـا أَشجـى الحمـامـةَ، غُـدوةً، هنـاك، ومـا أَنـدى الأراك ظِـلالا
وقد جاذَبت ريحُ الصَّبا غصنَ النَّقا، فمـاد علـى رِدفِ الكثيـبِ وَمـالا
وأَيْقَـظَ بَـردُ الصبـح جَفـنَ عَـرارِهِ، تَـرقـرَقَ دمـعُ الطَّـلِّ فيـه، فسـالا

(١٩١)

مَهْلاً

أَيُّهـا التـائـه مهـلاَ، سـاءَنـي أَنْ تِهـتَ جَهْـلا
هـل تَـرى، فـي مـا تَـرى، إِلّا شبـابـاً قـد تَـولَّـى
وغَـرامـاً قـد تَسَـرَّى، وفُـؤاداً قـد تَسَلَّـى؟
أَيـن دمـعٌ فيـك يَجـري؛ أَيـنَ جَنـبٌ يتقلّـى؟
أيـنَ نفـسٌ فيـك تُهـدَى، وضُلـوعٌ فيـك تُصْلـى؟[2]
أَيُّ مَلْـكِ كـان لـولا عـارضٌ وافـى، فـوَلَّـى
وتَخلَّـى عنـك إِلَّا أسفـاً، لا يَتَخَلَّـى
وانطَـوَى الحُسـنُ، فهـلّا أَجمَـلَ الحُسـنُ وهـلَّا!

---

(١) السارية: السحابة التي تسري ليلاً ـ الدهماء: السوداء ـ الذبال: الفتيلة.
(٢) تُصلى: المجهول من صلي النار: قاسى حرّها.

(١٩٢)
ركبْتُ إليه

ومَغـــارٍ ركِبـــتُ أَدهـــمَ مِعْطـــا ... لاً إليـه، وظهَـرَ أَشهَـبَ حـالـي[١]
جـالَ في أَنجُـمٍ، مـن الحَلـيِ، بِيضٍ، ... وقميـصٍ، مـن الصبـاحِ، مُـذالِ[٢]
فبَـدا الصبـحُ مُلجَمـاً بـالثُّـريَّـا؛ ... وجَـرى البـرقُ مُسـرَجـاً بـالهِـلال[٣]

(١٩٣)
سَقْياً لها

سَقْيـاً لهـا مـن بطـاحِ أُنـسٍ، ... ودَوحِ حُسـنٍ بهـا مُطِـلّ
فمَـا تَـرى غيـرَ وجـهِ شمـسٍ، ... أَظَـلَّ فيـه عِـذارُ ظِـلّ

(١٩٤)
لو بلّ . . . أَبْلَلْتُ

صَمَمتُ سَمعاً، فما أُصغِي إلى العَذَلِ؛ ... وهِمْتُ قلباً، فما أَصحُو عن الغزَلِ
وإنَّ سُقمِـي لَمـن طَـرْفٍ بـه سَقَـمٌ، ... خُلـوٍ مـن الكُحـلِ مَملُـوءٍ مـنَ الكَحَـلِ
أَشجُو الظَّماءَ، وريِّي في حَصى بَرَدٍ، ... لـو بَـلَّ من غُلَلـي أَبلَلْـتُ من عِلَلـي[٤]
فمَـن لصَـبٍّ يَبِيـتُ الليـلَ يَسهـرُهُ، ... مُقلَّـبَ القلـب بيـن اليـأسِ والأمَـلِ؟
أيـن الجـراحـاتُ مـن جـرحٍ بـأضلُعِـه؛ ... وأَينَ بِيضُ المواضي من جُفونِ عَلِي؟[٥]
يـا ضـاربـاً يـوسفـاً، فـي حُسنِه، مثلاً، ... جَـلَّ ابـنُ أفعَـلَ عـن مِثْـلٍ وعـن مَثَـلِ[٦]

---

(١) **المغار**: الغار ـ الأدهم هنا: الليل الأسود ـ **المعطال**: خلاف الحامي.
(٢) **المذال**: ذو الذيل الطويل.
(٣) **يقول**: إن هذا الفرس الأشهب كالصبح في الليل يجري فيه كالبرق وهو مسرج وسرجه بدا ساطعاً كالهلال.
(٤) **أبلّ من علله**: شفي من أسقامه وأمراضه.
(٥) **أراد بـ «علي»** الموصوف.
(٦) **ابن أفعل**: الموصوف.

خُذْ مـا تَـراهُ، ودَع شيئـاً سمِعـتَ بـه، في طَلعةِ الشَّمسِ ما يُغنِيكَ عن زُحَلِ [1]

(١٩٥)

فَسما . . واسْتَزادَ

مـا ضـارَ لابِسَ مِثلِه، مـن خـاتَـمٍ، أن لا يَشُـبَّ مـع الظـلام ذُبـالا
مُتـألِّـقٌ أَعـداهُ لابِـسُ حِليـةٍ، فَسَمـا جـلالاً واستَـزادَ جمـالا
مُتحمِّـلاً فَصّـاً يـرُوقُ، وحَلْقَـةً مـن جُـذوةٍ وقَـدَتْ، ومـاء سـالا
فـي راحـةٍ خُلِقَـتْ سمـاءَ سَمـاحـةٍ، فتَقـارنـا نَجمـاً بهـا وهِـلالا

(١٩٦)

عُلِّقْتُهُ

وعـاذِرٍ قـد كـان لـي عـاذِلا، فـي أرَبٍ قـد صـار لـي آمِـلا
آدَ بقلبـي، وهـو فـي طَيِّـه، فصـار مَحمُـولاً بـه حـامِـلا [2]
ودونَ مـاءِ الحُسـن، مـن وَقـدِهِ، مـا يَصْـدُرُ الطَّـرفُ بـه نـاهِـلا
وكـان قلبـي، دُونـه، واقِـداً، ومـاءُ جَفْنـي، فـوقَـه، جـائِـلا
أَخُـوضُ، فـي الحـبِّ، بـه لُجَّـةً لـم تَـرمِ بـي، مِـنْ سَلْـوةٍ، ساحِـلا
أَمـا تَـرى أُعجُـوبـةً أَنْ تَـرى، فـي الحُـبِّ، مَقتُـولاً فَـدى قـاتِـلا
ويُجْتَنَـى نُـورُ نَسيبـي بـه غَضّـاً، وجِسمِـي غُصُنـاً ذابِـلا
عُلِّقْتُـه أَحـوى اللَّمـى أَحـوراً، عـاطِـرَ أَنفـاس الصِّبـا عـاطِـلا
مُعتـدلاً، مُعتَـدِيـاً فـي الهـوى، أَحبِـبْ بـه مُعتـدِلاً، مـائِـلا
غَشِيـتُ مـن مُقلَتِـه بـابِـلاً سِحـراً، ومـن لَحظَتِـه نـابِـلا [3]

---

(١) زحل: نجم ـ والبيت المذكور من لامية العجم للشاعر الطغرائي أورده ابن خفاجة من قبيل التضمين.

(٢) آد بقلبي: اشتدت وطأته عليه.

(٣) يقول إن في عينيه سحراً بابلياً ووقع لحاظه جارح كالنبّال.

شَـطَّ، ولـي مـن شَغَـفِ فِكـرَةٌ، أَراهُ، فـي مِـرآتِهـا، مـاثِـلا[1]
فمـا أَراهُ ظـاعنـاً راحـلاً، إِلَّا أَراهُ قـاطِنـاً نـازِلا
وإِنَّ لـي طَـرْفـاً بـه سـاهـداً، وَجْـداً، ودمعـاً هـامـراً هـامِـلا[2]
كـأنَّ نَـومـي ضَـلَّ عـن نـاظِـري، فبـاتَ دمعـي سـائِـلاً سـائِـلا

(١٩٧)

تَرْنو بِطَرْفٍ كَحيل

وقـد غَشِـيَ النبـتُ يطحـاءَهُ، كَبـدوِ العِـذارِ بِخَـدٍّ أَسِيـلِ
وقـد ولَّـتِ الشمـسُ، مُحتَثَّـةً إِلـى الغـربِ، تَـرنُـو بطَـرفٍ كَحيـلِ[3]
كـأنَّ سَنـاهـا، علـى نهـره، بَقـايـا نَجيـعٍ بسيـفٍ صَقِيـلِ[4]

(١٩٨)

والماءُ مُبْتَسِم

أحـسُ المُـدامـةَ، والنسيـمُ عليـلُ، والظـلُّ خَفَّـاقُ الـرِّواق، ظَليـلُ[5]
والنَّـورُ طَـرفٌ، قـد تنبَّـه، دامِـعٌ؛ والمـاءُ مُبتَسِـمٌ، يَـرُوقُ، صَقيـلُ
وتَطلَّعَـتْ مـن بَـرقِ كـلِّ غمـامـةٍ، فـي كـل أُفـقٍ، رَايـةٌ ورَعِيـلُ[6]
حتـى تَهـادَى كـلُّ خُـوطَـةِ أَيكَـةٍ، ريّـا، وغَصَّـت تَلعَـةٌ ومَسيـلُ
عَطَـفَ الأَراكـةَ فـانثَنـى شكـراً لـه، طَـرَباً،ورجَّع،في الغُصـون،هَـديـلُ[7]

---

(١) **شطّ**: نأى وبعد ـ **ماثلاً**: حاضراً.

(٢) **الطرف**: العين ـ **الساهد**: الأرق ـ **الهامر والهامل**: اسما فاعل من همر وهمل، (المطر): هطل وانصبّ.

(٣) **محتثة**: مسرعة.

(٤) **النجيع**: الدم ـ **السيف الصقيل**: المصقول.

(٥) **أحس**: اشرب، الأمر من حسا ـ **المدامة**: الخمر.

(٦) **الرعيل**: القطعة من الناس أو الطير أو الخيل.

(٧) **الهديل**: الحمام.

فـالـرَّوضُ مُهتَـزُّ المعـاطِـف، نغمـةً، نَشْـــوانُ، يَعطِفُـــه الصَّبـــا فَيَمِيـــلُ
ريَّـــانُ فضَّضَـــه النَّـــدى ثُـــمَّ انجَلـــى عنـــه، فـــذَهَّـــب صَفحَتيـــهِ أَصيـــلُ
وارتَـدَّ يَنظـر، فـي نِقـاب غَمـامـةٍ، طَـرفٌ، يُمـرِّضـه النُّعـاسُ، كَليـلُ[١]
ســاجٍ كمـــا يـــرنُـــو إِلـــى عُـــوَّادِه، شـــاكٍ، ويَلتَمِـــحُ، العـــزيـــزَ، ذَليـــلُ

(١٩٩)
فكأنّه رَيْحانَةٌ

والشمسُ شـاحِبـةُ الجَبيـنِ مـريضـةٌ، والـرِّيـحُ خـافِقـةُ الجَنـاحِ، بَليـلُ
والبـرقُ منخَـزِلٌ، يُكِـبُّ لِـوجهِـه، ويَمُـجُّ رُوحَ الـرَّاحِ، منـه، قَتيـلُ[٢]
والكـأسُ طِـرفٌ أشقـرٌ قـد جـالَ فـي عَـرقٍ عليـه، مـن الحَبـابِ، يَسِيـلُ
يَسعَـى بهـا قَمـرٌ، لـه ولكـأسِـه وجـهٌ أَغـرُّ، ومَبسِـمٌ مَعسُـول
شـاكِـي السِّـلاحِ، لِقَـدِّه ولِطَـرفِـه رُمـحٌ أَصـمُّ وصـارِمٌ مَسلـول
وأخٍ تَهـزُّ لـه العُلـى أَعطـافَهـا، فكـأنَّـه رَيحـانـةٌ وشَمُـولُ[٣]
راضَعتُـه كـأسَ المُـدامِ، وبيننـا، بِجَنـى الحَديـثِ، حَديقـةٌ وقَبـولُ[٤]
مَيَّـاسُ أَعطـافِ السَّمـاحِ، كـأنَّـه غُصـنٌ، تنفَّـس نَـورُه، مَطلُـول
تَنـدَى لهـا، ورداً، أَسِـرَّةُ كفِّـه، أبـداً، وبَطـنُ يَمينِـه مَبلُـولُ[٥]
طَلْـقُ الجَبيـنِ، ولِلحُسـامِ تبسُّـمٌ؛ طـاوِي المَصيـرِ، وبـالقَنـاةِ ذُبُـولُ[٦]
للنـاسِ فيـه مـنَ الكـلامِ شـواهـدٌ، وبمَضـرَبِ السَّيـفِ الجُـرازِ فُلُـولُ[٧]

---

(١) الطرف الكليل: الناعس الضعيف.
(٢) **يمجّ**: يفرز ـ **الراح**: الخمر.
(٣) **الريحانة**: الزهرة ـ **الشمول**: الخمر إذا ابتردت بريح الشمال.
(٤) **القبول**: ريح الصبا.
(٥) **أسرّة الكف**: خطوطه.
(٦) **طلق الجبين**: ضاحك، بشوش ـ **طاوي المصير**: ضامر الخصر.
(٧) **السيف الجراز**: القاطع ـ **خلول**: جمع خلّ وهو التثلّم في حد السّيف، وهذا من باب المديح

يَمتــــاحُ أرواحَ الكُمـــاةِ، بكَفِّـــه، شَطَـنٌ ، يُمَـرُّ مـن القَنـا ، مَفتُـولُ
فـي حيـثُ مِـن حَـرِّ الطِّعـانِ هَجيـرةٌ تُحْمَـى، ومـن ظِـلِّ اللِّـواء مَقِيـلُ
والنَّقـعُ أدهَـمُ، للـرِّمـاحِ بـوَجهـه، غُـرَرٌ تَلـوح، وللسيـوف حُجُـولُ
والخيـلُ سَطـرٌ، بـالأسنَّـةِ مُعجَـمٌ، وبِحَـدِّ أَلسِنَـةِ الظُّبـى مَشكـولُ[1]

(٢٠٠)

ماذا ثناكَ

خُـذهـا يُـرِنُّ لهـا الجَـوادُ صَهِيـلا؛ وتَسِيـلُ مـاءً، فـي الحُسـام، صَقِيـلا
بسَّـامـةً تُصبِـي الأريـبَ وَسـامـةً؛ لـولا المَشيـبُ لَسِمتُهـا تَقبيـلا[2]
حمَّلتُهـا، شـوقـاً إليـكَ، تحيَّـةً؛ حمَّلتُهـا عَتبـاً عليـك ثَقيـلا
مـن كـلِّ بيـتٍ، لـو تـدفَّـقَ طَبعُـهُ مـاءً، لغَـصَّ بـه الفَضـاءُ مَسيـلا
إيـهِ، ومـا بيـن الجـوانـح غُلَّـةٌ، لـو كنـتُ أَنقَـعُ بـالعِتـابِ غَليـلا[3]
مـا للصَّـديـقِ، وُقِيـتَ، تـأكُـلُ لحمَـهُ حيّـاً، وتَجعـلُ عِـرضَـه منـديـلا
أقبَلتَـه صـدرَ الحُسـامِ، وطـالمـا أَصْفَيتَـه دِرعـاً عليـه طَـويـلا
مـاذا ثَنـاك عـن الثَّنـاءِ ونَشـرِه بُـرداً، علـى الرَّسـمِ الجميـلِ، جميـلا
أَرِجـاً كمـا عَثَـرَ النسيـمُ بـروضَـةٍ، لَـدْنـاً كمـا نضَـحَ الغَمـامُ مَقيـلا
أَعِـد التِفـاتَـكَ، وادَّكِـرْهـا خِلَّـةً، لا تَستَقِـلُّ بهـا عُـلاك مُمِيـلا[4]
وأَصِـخْ إلـى سَجـعِ القَـريـضِ، فـربمـا نـدبَ القَـريـضُ، مـن الـوفـاءِ، هَـديـلا
وعُـجِ المَطِـيَّ علـى الـودادِ، وحيِّـه طلَـلاً، علـى حُكـمِ الـزمـانِ، مُحيـلا

= والمدح في معرض الذم، ويراد به الإشارة إلى الشجاعة والفروسية.

(١) **الظُّبى**: جمع ظبة: حدّ السيف.

(٢) **تصبي**: تثير الحنين إلى الصبا ـ **الأريب**: الفطن.

(٣) **نقع الغليل**: روى الظمأ.

(٤) **مميلا**: اسم فاعل من أماله عن.. أبعده عنه، صرفه.

وابعَثْ بِطَيفِكَ واعتَقِدها زَورةً، وصِلِ السَّلامَ، على النَّوى، تَعليلا
ولَئِن سألتُ بكَ الغَمامةَ وابلاً، يَسِمُ الجَديبَ، لما سألتُ بخيلا
وإذا دَعَبتُ، ولا دُعابةَ غَيبةٍ، فاغْضُضْ هناكَ، من العِنانِ، قليلا
واصحَبْ، وذِهنُكَ من هَجيرٍ لافحٍ، ذكراً، كما سَرَتِ القَبولُ، بَليلا[1]
فَلَقد حَللتَ مع الشبابِ بمنزِلٍ، يَرتدُّ طرفُ النجمِ عنه كليلا
وبَدَهتَ لا نَزْرَ المحاسِنِ مُجَبلاً؛ ومَضيتَ لا قَضْمَ الغِرارِ فَليلا[2]
مُتدفِّقاً أعيا العُقولَ طريقُهُ، فكأنَّما رَكبَ المَجرَّ سَبيلا
يَستوقِفُ العَليا جَلالاً، كلما سَجَدَ اليَراعُ بكفِّه تَبجيلا
لا تستَنيرُ بكَ السيادةُ غُرَّةً، حتى يسيلَ بكَ النَّدى تحجيلا
وسِوايَ يُنشِدُ في سِواكَ نَدامةً، يا لَيتَني لَمْ أتَّخِذْكَ خليلا!

(٢٠١)

أرتادُ مَرْتَعاً

قال في أثناء عِلّةٍ ألّمت به:

جَهِلتُ، وما ألقى عَليماً، وإنَّما مَرِهْتُ، وأَعيا أن أَمُرَّ بِكاحِلِ[3]
فسِرتُ، وقد أجدَبتُ، أرتادُ مَرتَعاً، فلم تَطإِ الوَجناءُ بي ظَهرَ ماحِلِ[4]
وخُيِّلَ لي أنّي أُقيمُ، وإنما أَسيرُ، وإنْ لم أَحْتَقِبْ زادَ راحِلِ[5]
فقُلْتُ، وقد خلَّفتُ خمسينَ حِجَّةً، ورائي: لقد أعجَلتُ طَيَّ المَراحِلِ
أَبُوءُ بِعِبءِ السُّقمِ بين حُشاشةٍ تَجودُ، وجِسمٍ، قد تَفرَّقَ، ناحِلِ[6]

---

(١) **الهجير**: شدّة القيظ في منتصف النهار ـ الهجر اللافح: المحرق ـ **القبول**: ريح الصبا.

(٢) **بده**: فاجأ ـ **مجبلاً**: مبخلا ـ **قضم الغرار**: مكسور السيف ـ **السيف الفليل**: المغلول، الذي تثلم حدّه.

(٣) **مرهت**: رمدت عيني بسبب عدم التكحل.

(٤) **الوجناء**: النّاقة السريعة.

(٥) **احتقب**: وضع في الحقيبة.

(٦) **أبوء**: أرجع ـ **العبء**: الحمل الثقيل ـ **الحشاشة**: الروح.

وأَسبَحُ في بحرِ الشَّكاةِ، لعلَّني سأعلَقُ يوماً، من نَجاةٍ، بِساحِلِ

(٢٠٢)

الليْلُ . . طويلُ

اللَيلُ، إلاَّ حيثُ كنتَ، طويلُ؛ والصَّبرُ، إلاَّ منذُ بِنتَ، جميلُ[1]

والنَّفسُ، ما لم ترتَقِبْكَ، كئيبَةٌ؛ والطَّرفُ، ما لم يَلتَمِحْك، كَلِيلُ[2]

فلقد خلعتَ، على الزمانِ، مَحاسناً، تُثنى به أَعطافُه، فيَذِيلُ

ولقد شمَلتَ الحَضرَتينِ بنِعمَةٍ، يَجري الثَّناءُ بوَصفِها، فيُطِيلُ

فالصبحُ ثَغْرٌ، في جَنابكَ، ضاحِكٌ؛ والليلُ طَرفٌ ، في ذَراكَ، كحِيلُ[3]

وأَقمتَ من أَوَدِ هناك وهَهنا، فَدفَقْتَ آراءَ، وأنتَ جليلُ[4]

وتكَشَّفَتْ لك حالةٌ عن غادِرٍ، مَلِقٍ، ومرعَى الغادِرينَ وبِيلُ[5]

فقَعدْتَ بالأعداءِ قِعدَةَ خالِعٍ ثَوبَ العَزازةِ عنه، فهو ذَلِيلُ

وهَدَدْتَ هَضبةَ عِزِّه، فكأنَّها، نَسْفاً، كثِيبٌ، بالعَراءِ مَهِيلُ[6]

فتَطَوَّقتْ، بالهُونِ منه، حَمامةٌ، يَعتادُها، تحتَ الظَّلام، عَويلُ[7]

وأَراهُ صَبوَةَ ما جناهُ دهْمةً، نَظرٌ جَزاهُ عنِ القَبيحِ جَميلُ

فاعتاصَ مِنْ لُجٍّ، وأَعتَمَ مَسلَكٌ، والتَاثَ مُلتَمَسٌ، وضاقَ سَبيلُ[8]

ووشى رداءَ الحمدِ، باسمِك، خاطِرٌ، قد عاثَ فيه السُّقمُ، فَهْو كلِيلُ

---

(١) **بِنْتَ**: ابتعدت، نأيت.

(٢) **البصر الكليل**: الضعيف.

(٣) **ذراك**: جانبك.

(٤) **الأود**: العوج.

(٥) **الملق**: المتملّق ـ وبيل: سيء العاقبة.

(٦) **مهيل**: متهافت، متساقط.

(٧) **الهون**: الهوات الذل.

(٨) **التاث الأمر**: اختلط.

فسجَعتُ، في قيدِ الشَّكاة، مُغرِّداً طرباً، وللطَّرفِ الرَّبيطِ صَهيلُ
ولوى، العِنانَ عنِ الإطالَةِ، أنني نِضْوُ القُوى، بِسُرى الفراشِ ضئيلُ[1]
مادَ النُّحولُ به، فلاعَبَ شَخصَه ظِلّ، تَحَيَّفَه السِّقامُ، نَحيلُ
فمنَعتُه جَمَّ المحاسنِ ناقِهاً، قد كاثَرَ الأمداحَ، وهْوَ قَليلُ
ولكَم قَصيرٍ، من يَراعِكَ، ساحبٍ من نابِ صدرِ الرمحِ، وهو طويلُ

(٢٠٣)

.. لِيَكونَ أَحْسَنَ

وعسى الليالي أَنْ تَمُنَّ بجمعِنا عِقداً، كما كنّا عليه وأَكْمَلا
فلربما نُثِرَ الجُمانُ تعمُّداً، ليكون أُحسنَ في النِّظامِ وأَجْمَلا

(٢٠٤)

رَبْوَةٌ لِلْفَضْل

قال يجيب عبد الله بن عثمان عن شعر:

وحُلَّةٍ، من طِرازِ النَّظمِ، رائعةٍ، هَزَّتْ، بآدابها، أَعطافَ آمالي[2]
مِن حوكِ وشْيٍ بِبُردِ الخَطِّ، تحسبُه، في الطرفِ مُشتَملاً، منه، بِسربالِ
سَحَبْتُها، لابِساً بُردَ الشبابِ بها، أَجُرُّ، من طَربٍ، أَذيالَ مُختالِ[3]
فحبَّذا نُطفةٌ، تَنساغُ، باردةٌ، مِن مَنْهَلٍ، طامِحِ الآذِيِّ، سَلسالِ[4]
وزهرةٌ غَضَّةٌ، تفترُّ، عاطرةٌ، من روضةٍ لَدنَةِ الأنفاسِ، مِخْضالِ[5]

---

(١) نضو القوى: أي هزيل وضعيف ـ سرى الفراش: متنه وظهره ـ ضئيل: من الضآلة، والمراد نحول جسمه.

(٢) الحلّة: الثوب القشيب ـ هزّت: حرّكت وأثارت.

(٣) برد الشباب: ثوبه ـ المختال: المزهو الذي يمشي متبختراً.

(٤) الآذيّ: الموج ـ السلسال: الماء العذب.

(٥) تغترّ: تتبسّم ـ المخضال: النّدية، المخضّلة بالندى.

فـي مُلتقـى رَبـوةٍ، للفضـلِ، مُشـرفَـةٍ، ومُنْتَحـى عـارضٍ، لِلطبـعِ، هطّـالِ
فـالبَسْ بهـا خِلعَـةً، للمجـد، ضـافِيـةً، طـويـلَ بـاعِ العُلـى والعَـمِّ والخـالِ
واردُدْ تحيَّـةَ بـادِي العهـدِ مُبتـديـاً، عاطاكَ، من عِلقِ صِدقٍ، كفَّ إجلالِ[1]
شَطَّـتْ بـه الـدارُ، فـاسترعـى تحيَّتَـه نَسيـمَ عـاطِـرةِ الأذيـال، مِكسـالِ
تـرَدَّدَتْ بيـن أزهـارِ الـرُّبـى، سَحَـراً، تَطيـبُ مـا بيـنَ إدبـارٍ وإقبـالِ

(٢٠٥)

لِلطَّلِ معنًى ليسَ للمَطَرِ

قال يمدح ويسأل حاجة:

آليـتَ إلاّ أن تسيـرَ مـع الفَضـلِ؛ وأَزمَعـتَ إلاَّ أن تصُـمَّ عـن العـذْلِ[2]
فَنُبْتَ مَنـابَ البَـدرِ فـي لَيلـةِ السُّرى، وقُمتَ مَقامَ الوَبلِ في البَلدِ المَحلِ[3]
وأَضرَمتَ نار الطَّعنِ في ثغرَةِ العِدى؛ وأَجريتَ ماءَ النَّصرِ في صفحَة النَّصلِ
وسوَّيتَ بين القولِ والفعلِ في العُلى: فمـن مَنطـقٍ جزمٍ ومن نـائـلٍ جَزْلِ[4]
فَحيَّـت، أَبـا يحيـى، ذَراكَ، غَمـامـةٌ صقيلـةُ ثَغـرِ البـرقِ، وارفَـةُ الظِّـلِّ
تُجـرِّر أَذيـالَ الـرَّبـابِ علـى الـرُّبـى؛ ويَمشي بها وانِي النسيم على رِسْلِ[5]
وليـس سِـوى تلـكَ الصـرامَـةِ صـارمٌ؛ ولا غيـرَ هـاتِيـكَ البَشـاشَـة مـن صَقْـلِ
فطُـل عُمْـرَ الـدُّنيـا وطَـأ قِمَـمَ العِـدى، وخيِّم مع العَليا، وحُزْ قصَبَ الخَصلِ[6]
ومُـنَّ بهـا أَنـدى نَسيمـاً مِـن الصَّبـا أَصيلاً، وأَحلى موقِعاً من جَنى النَّحلِ

(١) العلق: النفيس، وأراد بعلق صدق: أمثل الصدق.
(٢) آليت: أقسمت ـ العذل: اللوم.
(٣) المحل: الجدب، القحط.
(٤) النائل الجزل: العطاء الكثير.
(٥) الرباب: السحاب الأبيض ـ يمشي على رسل: يشير متمهّلاً.
(٦) طَأْ: الأمر من وطىء يطأ الشيء برجله: داسه ـ حُز: نل الأمر من حاز: أي نال ـ قصب الخصل: قصب الفوز والغلبة.

ولا تحتقِرْهـا مـن يـدٍ، لـك، بَـرَّةٍ، فَلِلطـلِّ معنًـى ليـس للمَطَـرِ الـوَبْـلِ

(٢٠٦)

الحُسْنُ صِنْوٌ له

قال هذه القصيدة مادحاً الأمير أبا إسحاق:

أَلا هَـل أطـلَّ الأميـرُ الأجـلّ، أمِ الشمـسُ حُلَّـت بـرأسِ الحمـلْ[١]

فمـا شئـتَ مـن زهـرةٍ نضـرةٍ، تَـردَّى القضيـبُ بهـا واشتَمَـلْ[٢]

وهـزَّت معـاطِفَـه، والتَـوى بمسـرى النسيـم التـواءَ الجِـذَلْ[٣]

سـروراً بـه عـن فتـى دَولـةٍ، تُبـاهـي بعَليـاهُ خيـرَ الـدُّوَلْ

أتـانـا الـزمـانُ بـه آخـراً، تهَـشُّ إليـه الليـالـي الأوَلْ

مَليـكٌ تَبسَّـم ثغـرُ المُنـى بمـرآه، وامتـدَّ خطـوُ الأمَـلْ

يَشُـدُّ اللِّثـامَ علـى صَفحَـةٍ، تَـرى البـدرَ منهـا بمَـرْقـى زُحَـلْ

فلـم أدرِ، والحسـنُ صِنـوٌ لـه، أأَبـدأُ بـالمـدح أم بـالغَـزَلْ[٤]

وهـا هـو، والحِلـمُ فـي طَبعِـهِ، هِـزَبـرٌ، إذا مـا حمـى أو حَمَـلْ

يُضِيـفُ، إلـى طَعنَـةٍ، رَشْقـةً هنـاك، ولِلمُـزن وبْـلٌ وَطَـلُّ

ويَكفـي، فيَكفُـلُ فـي حـالـةٍ، فيَبْنـي المعـالـي كفـى أو كفَـلْ

ويلـزَمُـه النصـرُ حبّـاً لـه، فـإن سـارَ سـار، وإن حـلَّ حـلْ

فمـا يَطـرُقُ الطَّيـفُ غـابـاً لـه، ولـو كـان أغفـى بـه أو غَفَـلْ

يَـدِيـنُ بضِـدَّيـه دُونَ الهُـدى، يصُـدُّ العِـدى ويَسُـدُّ الخَلَـلْ

ويُـدمـي الشِّفـارَ ويَحنـي القَنـا، ويَحْمِـي الـذِّمـارَ ويَـرعـى الهَمَـلْ[٥]

---

(١) حلّت الشمس: أنزلت ـ الحمل: من الأبراج.

(٢) تردّى: ارتدى الرداء ـ القضيب: الغصن ـ اشتمل بالرداء: التف به.

(٣) الجذْل: العود، وحرّك الذال مراعاة للوزن.

(٤) صنو له: ندّ ومثيل.

(٥) القنا: الرماح ـ يحمى الذمار: يحافظ على العهود والمواثيق ـ الهمل: الماء السائل، الإبل.

ويملأُ رُعباً صُدورَ العِدى، ... فيُرْعِفُ بأساً أُنُوفَ الأسَلْ[1]
مُمِرُّ حِبالَ القَنا والقُوى، ... إذا ما فَشا، في الحُماة، الفَشَلْ
كفيلٌ بإدراك ما يَبْتَغي، ... قَفا إثْرَ طاغِيةٍ، أو قفَلْ
إذا قال أجملَ في قولِه، ... وأحسنُ من قولِه ما فَعَلْ
ألم تَرَ ما كان من بأسِه، ... يفُوز به يوم حار البَطَلْ
وخارَ الأبيُّ وخرَّ الكميُّ، ... وجَدَّ الجِلادُ وقَلَّ الجدَلْ
ورام النَّصارى بها نُصرَةً، ... فلم يُنْجِدِ الرُّومَ رَومُ الحِيَلْ
وصدَّ ابنَ فرَّاسَ، عن نَصرِها، ... تَلَظِّي حِرابٍ دَوامِي المُقَلْ
فما التَمَسُوا الغَوثَ إلاَّ التَوى، ... ولا استَنجَدوا الوعدَ إلاَّ مَطَلْ[2]
ولا أَمَّ يُقبِلُ حتَّ انثنى، ... حِذاراً، ولا غامَ حتى اضمَحَلْ
فلم يدرِ ما عَلِقَتْ خيلُه: ... أشكوى الوجى أو شَكاة الوجلْ؟[3]
بَلى! خافَ، من جَورِ سيفِ عَدا، ... مضاءً، بكفِّ إمامٍ عَدَلْ
وأولى به لو تَدَلَّى به ... غُروراً، وأولى به لو أَدَلّ
فما حادَ عنكَ بقلبِ غَزا، ... ولكن بقلبٍ وهي عن وهَلْ[4]
لكَ اللهُ من سيِّدٍ ايِّدٍ، ... تَحَلَّى الزمانُ به عن عَطَلْ
أبى المجدُ أن يَرتَضي قِنيَةً، ... نَفيسَ الحُلى وشريفَ الحِلَلْ
فقِنيَتُه لِلقنا والظُّبى، ... وقُبِّ الخيولِ وبيضِ الخَوَلْ
ولمَّا سقى الغَربَ فيما سقى، ... وحَلَّ بهِ الغربُ ممَّا أقَلْ
أَتى الشرقَ يَهفُو جَناحُ السُّرى ... به وتهَبُّ رياحُ العَجَلْ

---

(١) **يرعف**: يسيل الدماء ـ **الأسل**: الرماح.
(٢) **مطل**: أجّل وسوّف، ماطل.
(٣) **الوجى**: الحفى ـ **الوجل**: الفزع، الخوف.
(٤) **الوهل**: الوجل، الخوف.

فسكّـــن مـــن خَفــقِ قلـــبٍ نَـــزا؛ وهَـــوّن مـــن مـــسِّ خَطـــبٍ نـــزَلْ
وأَطمَـــع فـــي حَســـمِ داءٍ دَهـــى، وإقشـــاعِ عـــارضٍ هـــمٍّ أطَـــلْ
فقُـــل لابـــنِ رُذميـــرَ مَهـــلاً يَسيـــراً، يُقيـــمُ صَفـــاكَ الأميـــرُ الأجَـــلْ[1]
يُحَـــرِّقْـــكَ منـــه سَنـــا شُعلـــةٍ، هنـــاك، ويُغْـــرِقْـــكَ طَـــوراً وشَـــلْ
فمِـــلْ عـــن طـــريـــقِ شهـــابٍ سَـــرى، فـــأهـــوى، ووادي أَتـــيٍّ حمَـــلْ[2]
وحِـــدْ رَهبـــةً عـــن عُبـــابٍ طَمـــى؛ ولُـــذْ رَغبـــةً بصَيـــاصِـــي جَبَـــلْ[3]
وإلّا فثَـــمَّ جَـــوادٌ يَعُـــبُّ، ونَصـــلٌ يَهُـــبُّ إذا سُـــلَّ صَـــلْ
وكـــلُّ حيـــاةٍ إلـــى مُنتَهـــى، أَجَـــلْ، ولكـــلِّ حِمـــامٍ أَجَـــلْ
تَيَقَّـــنَ أَنَّ اللهَ أكـــرَمُ جيـــرَةٍ، فـــأزمـــعَ، عـــن دارِ الحَيـــاةِ، رَحيـــلا
فـــإنْ أَقفَـــرَت منـــهُ العُيـــونُ، فـــإنَّـــه تَعَـــوَّضَ عَنهـــا، بـــالقُلـــوبِ، بـــديـــلا
ولـــمْ أرَ أُنســـاً قبلَـــه عـــادَ وَحشَـــةً، وبَـــرداً علـــى الأكبـــادِ عـــادَ غَليـــلا
ومَـــنْ تَـــكُ أَيـــامُ السُّـــرورِ قَصيـــرةً بـــه، كـــانَ لَيـــلُ الحُـــزنِ فيـــهِ طَـــويـــلا

(٢٠٧)

غَمامُ النَّصْر

قال وقد استرجعت بلنسية من يد العدو:

أَلآنَ سَـــحَّ غَمـــامُ النَّصـــرِ، فـــانهَمَـــلا؛ وقـــامَ صَغْـــوُ عَمـــودِ الـــدِّيـــن فـــاعتَـــدَلا[4]
ولاحَ للسّعـــدِ نجـــمٌ قـــد خَـــوى، فهَـــوى، وكَـــرَّ للنَّصـــرِ عَصـــرٌ قـــد مَضـــى، فَخَـــلا
وبـــاتَ يَطلُـــعُ نَقـــعُ الجيـــشِ مُعتكِـــراً، بِحَيـــثُ يَطلُـــعُ وَجـــه الفَتـــحِ مُقتَبِـــلا[5]

---

(١) ابن رذير: من سادات الفرنجة وأمرائها.

(٢) **الأتيّ**: السيل.

(٣) **حِذْ**: الأمر من حاد: مال عن. . ـ **لُذْ**: الأمر من لاذ: لجأ واحتمى ـ **الصياصي**: جمع صيصة، الحصن: المعقل الحصين.

(٤) **الصغو**: الميل ـ **عمود الدين**: ركنه.

(٥) **النقع**: غبار المعركة.

مـن عَسكَـرٍ رجَفَـت أَرضُ العَـدوِّ بـه، حتـى كـأنَّ بِهـا مـن وَطئِـه وَهَـلا

مـا بيـنَ رِيـحِ طِـرادٍ سُمِّيَـت فَـرَسـاً، جَـوراً، ولَيـثِ شـرًى يَـدعُـونَـه بَطَـلا

مـن أدهـمٍ أخضـرِ الجِلبـاب، تَحسِبُـه قـد استعـارَ رِداء الليـلِ واشتَمَـلا

وأَشهَـبٍ نـاصـعِ القِـرطـاس، مُـؤتَلِـقٍ، كأنَّما خاضَ ماءَ الصُّبحِ، فاغتَسَلا[1]

تَـرى بِـه مـاءَ نَصلِ السَّيـفِ مُنسَكِبـاً، يَجـري، وَجـاحِـمَ نـارِ البَـأسِ مُشتعِـلا

فَغَـادَرَ الطَّعـنُ أَجفـانَ الجِـراحِ بـه رَمْـدى، وصَيَّـرَ أطـرافَ القَنـا قُتُـلا

وأَشـرَقَ الـدَّمُ فـي خَـدِّ الثَّـرى خَجَـلاً؛ وأَظْلَـمَ النَّقـعُ فـي جَفـنِ الـوَغـى كَحَـلا

وأَقشَـعَ الكُفـرُ، قَسـراً، عـن بَلَنْسِيَـةٍ، فـانْجَـابَ عَنهـا حِجـابٌ كـانَ مُنسَـدِلا

وطَهَّـرَ السَّيـفُ منهـا بَلـدَةً جُنُبـاً، لمْ يَجزِها غيرَ ماءِ السَّيفِ مُغْتَسِلاً[2]

كـأنَّنـي بعُلـوجِ الـرُّومِ سـادِرَةً، وقد تضَعْضَعَ ركنُ الكُفرِ، فاستَفَلا[3]

تَظَـلُّ تَـدرَأُ بـالإِسْـلامِ عـن دَمِهـا وهَبَّـةُ السَّيـفِ مِنهـا تسبـقُ العَـذَلا[4]

فـي مَـوقِـفٍ يَـذهَـلُ الخِـلُّ الصفِـيُّ بـه عـن الخليـلِ، ويَنسـى العـاشِـقُ الغَـزَلا

تَرى بَني الأصفَرِ، البِيضَ الوُجوهِ به، قـد راعَهـا السَّيـفُ فـاصفَـرَّت بـه وجَـلا

فَكَـم هُنـالِـكَ مـن ضَـرغَـامَـةٍ سَفـرَت، سُمـرُ العَـوالـي، إلـى احشـائِـه رُسَـلا[5]

يُـرى علـى جَمـرَةِ المِـرِّيـخِ مُلتَهِبـاً، تحـتَ القَتـامِ، ويَعلُـو هِمَّـةً زُحَـلا

قـد كَـرَّ فـي لأمَـةٍ حَصـداءَ، تَحسِبُهـا بحراً، يُلاطِمُ، من أَعطافِه، جبَلا[6]

ولِلقَنـا أَعيُـنٌ قـد حـدَّقَـت حَنَقـاً؛ وللظُّبـى ألسُـنٌ قـد أَفضَحَـت جَـدَلا

---

(١) **القرطاس**: الصحيفة ـ **مؤتلق**: مشرق.

(٢) **البلدة الجنب**: غير الطاهرة.

(٣) **استفل**: انحطّ، صار سافلاً.

(٤) **العذل**: اللوم، والبيت يتضمن معنى **المثل المعروف**: سبق السيف العذل.

(٥) **العوالي**: الرماح.

(٦) **اللأمة**: الدرع ـ **الحصداء**: مؤنث الأحصد وهو ما جفّ من النبت وهو قائم، والكلام من باب التشبيه.

فَـزاحَـمَ النَّقْـعَ حَتَّـى شَـقَّ بُـردتَـهُ؛ ونـاطَـحَ المَـوتَ حتـى خَـرَّ مُنجَـدِلا
مُـوَسَّـداً فـوقَ نَصـلِ السَّيـفِ، تحسبُـهُ مُستَلقِيـاً، فـوقَ شـاطِـي جَـدوَلٍ، ثَمِـلا
فكـم مُمَـزِّقَـةٍ مِـن جَيبِهـا طَـرَبـاً، قـد مَـزَّقَـت، بعـدَه، مـن جَيبِهـا ثُكـلا
ورَقـرَقَ الـدَّمـعَ فـي أَجفـانِهـا رَشَـأٌ، تَـرَقـرَقَ السِّحـرُ، فـي أَجفـانِـه، كَحَـلا
قـد بَلَّلَـتْ نَحـرَهُ، بـالـدَّمـعِ، جـارِيَـةٌ بكـرٌ، تُمَسِّـحُ، مـن أعطـافِـهِ، الكَسَـلا
تَغُـصُّ عِقـدَ لآلِيـه، وأَدمُعُـهُ فـي نَحـرِهِ، فَتَـراه حـالِيـاً عُطُـلا

(٢٠٨)

بكى الدُّرُّ

أَلا بَكَـى الـدُّرُّ فـوقَ حـالِيَـةٍ، حَلَّـى بهـا العِقـدُ شـرَّ مـا حلَّـى[١]
يَـرى بهـا مـا يمُـرُّ مـن حَلَـقٍ، مُخَبَّـأً تحـت مَنظَـرِ الجُلَّـى[٢]
قـد راقَ مـرأى وسـاء مُختَبَـراً، فهـل تُـرى أثمَـرَت بِهـا دِفلـى؟[٣]

(٢٠٩)

حَسْبُ الفتى حِلْيَةً

يحمل في هذين البيتين على خدمة السلطان:

حسـبُ الفَتـى حِليَـةً أَنْ يستقِـلَّ بـه مَلْـكٌ عـزيـزٌ، فَـلا يَقْعُـدْ بِـهِ العَطَـلُ
فَمـا احتَمـى جـانِـبٌ لـمْ يَحمِـهِ مَلِـكٌ؛ ولا مَضـى صـارِمٌ لـم يُمْضِـهِ بَطَـلُ

مُتَعالٍ ومُنْسَفِل

تَفـاوتَ نَجـلا أَبـي جَعفَـرٍ، فمِـن مُتَعـالٍ ومِـن مُنسَفِـلْ
فهَـذا يَمِيـنٌ بِهـا أَكْلُـه؛ وهـذا شِمـالٌ بِهـا يَغتَسِـلْ

---

(١) **الحالية**: لابسة الحلى، المزيّنة بالدرر.
(٢) **الجلّى**: كل أمر جلل.
(٣) **الدفلى**: شجر زهره حسن كالورد.

(٢١٠)
حطّت العنوانَ

قال فيمن كتبت اسمها تحت ختمها:

قالت، وقد حطَّتِ العُنوانَ جَوهرةً، عن مُرتَقى رُتبَةٍ، قد سَنَّها الأوَلُ
لا غروَ إنْ صِرتُ تحتَ الخَتمِ واقِعةً؛ إنَّ الجَواهِرَ تحتَ الخَتمِ تُحتَمَلُ

قافية الميم

(٢١١)

يا غمامُ

ألا ساجِلْ دُموعي يا غَمامُ؛ وطارِحْني بشَجوِك يا حَمامُ[١]

فقد وفَّيتُها ستِّينَ حَولاً، ونادَتني ورائي: هلْ أَمامُ؟

وكنتُ، ومن لُباناتي لُبَيْنى، هناك، ومِن مَراضِعِيَ المُدامُ[٢]

يُطالِعُنا الصَّباحُ ببَطنِ حَزوَى، فيُنكِرُنا ويَعرِفُنا الظَّلامُ[٣]

وكانَ بها البَشامُ مَراحَ أُنسٍ، فماذا بَعدنا فَعَلَ البَشامُ؟

فيا شَرخَ الشَّبابِ ألا لِقاءٌ يُبَلُّ به، على يأسٍ، أُوامُ[٤]

ويا ظِلَّ الشَّبابِ، وكنتَ تَندى، على أفياءِ سَرحَتِك السَّلامُ

(٢١٢)

أرِقْت أُناجيه

قال يحنّ إلى أيّام الشّباب ويصف فرسه

أَلا سَرَتِ القَبُولُ، ولو نَسِيما؛ وجاذَبَني الشَّبابُ، ولو قَسِيما

---

(١) **ساجلْ**: **الأمر من ساجل**: عارض وطارح والمساجلة: المناظرة ـ **الشجى**: الأسى، الحزن.

(٢) **اللبانات**: جمع لبانة: الحاجة ـ **لُبَيْن**: مصغر لُبنى.

(٣) **حزوى**: موضع ـ **ينكرنا**: خلاف يعرفنا.

(٤) **شرخ الشباب**: أوائله ـ **الأوام**: الظمأ الشديد.

وطالَعَني الظَّلامُ به خيالاً، فأقبَل ناظِري وَجهاً وَسيما
تَقَضَّى، غير ليلٍ، ما تَقَضَّى، كأنَّ بمَضجَعِي فيه سَليما[1]
أُصانِعُ عنه طَرفاً قد تَجافى غِرارَ النَّومِ، أو قلباً أَليما[2]
كأني ما أَلِفتُ به شفيعاً، هناك، ولا طَرِبْتُ له نَديما
فمهما شاقَ من برقٍ مليحٍ، أَرِقتُ له، أُناجِيه كَلِيما[3]
وأَسْأل هل سَقى طلَلاً، بحَزْوى، عفَا قِدماً، وهل جادَ الغَميما
وأَنْشَقُ، لوعةً، لِعَرارِ نَجدٍ، صَبَا نجدٍ أُسائِلُها شَميما
وكنتُ رَجَوْتُ أن أعتاضَ منه، زَعِيماً، أو عَليماً، أو حَليما
ولمَّا أنْ نَظرتُ مع الليالي، فلَم أنظُرْ بها إلاَّ مُليما
عَباماً، أو كَهاماً، أو جَهاماً، لَئيماً، أو ذَميماً، أو زَنيما[4]
شَدَدتُ على القوافي كفَّ حُرٍّ كريم، لا يُسَوِّغُها لَئيما
فما أُطرِي، إذا أطريتُ، إلاَّ حَمِيّاً، أو حبيباً، أو حَميما
ومَطرُوراً أُجرِّدُه صَقِيلاً، ويَعبوباً أُكرِّبُه كَريما[5]
إذا أَقبَلْتُهُ سُمرَ العَوالي، فلستُ أَرُدُّه إلاَّ كَليما
وقد لَفَّ العَدوَّ، كأنَّ ريحاً، على شَرَفٍ، تلُفّ به هَشِيما
يَشيمُ به، وراءَ النَّقعِ، برقاً تألَّقَ شُهْبةً، وصفا أديما
إذا أَوطأتُه أعْقابَ ليلٍ، طَردتُ من الظَّلامِ به ظَليما[6]

---

(١) **المضجع**: المرقد ـ **السليم**: الملدوغ.
(٢) **الطرف**: العين ـ **تجافى النوم**: أي لم يجد سبيلاً إلى الرقاد ـ **غرار النوم**: القليل من النوم.
(٣) **الكليم**: الجريح.
(٤) **الزنيم**: الدعيّ ـ جمع في هذا البيت أكثر الأسماء التي ينتفي عنها الفضل والكرم من مثل الصبام والكهام والجهام والزنيم.
(٥) **المطرور**: صفة السيف المحدّد ـ **اليعبوب**: السريع من الجياد ـ **أكرّب الفرس**: أشدّ حزامه.
(٦) **الظليم**: ذكر النعام.

(٢١٣)
أرَى صَبْوَتي أَحْلى

ألا ثَـلَّ مـن عـرشِ الشبـابِ وثَلَّمـا، لِشَيبٍ تَصدَّى، هَدَّ رُكني وهَدَّما[١]
فصِرتُ، وقد أَعطَيتُ شَيبي مقادتي، أَرى صَبـوتـي أَحلـى، وشيبِـيَ أَحْلَمـا
وكـلُّ امرِىءٍ طـاشَـتْ بـه غِـرَّةُ الصِّبـا، إذا مـا تَحَلَّـى بـالمَشِيـبِ تَحَلَّمـا[٢]
فهـا أَنـا أَلقـى كـلَّ ليـلٍ بِليلـةٍ منَ الهمِّ، يستجري، من الدمعِ، أَنْجُما
وأَركَـبُ أَردافَ الـرُّبـى مُتـأسِّفـاً، فـأنشَـقُ أَنفـاسَ الصَّبـا مُتنَسِّمـا
وأَرْشُـفُ نَشـرَ الطَّـلِّ مـن كـلِّ وَردَةٍ، مَكَانَ بياضِ الثَّغرِ من حُوَّةِ اللَّمى[٣]

(٢١٤)
أفنانُها نشاوى

يصف نارنجة

عـاطِ أخـلاَّءَكَ المُـدامـا؛ واستَسـقِ، لـلأيكَـةِ، الغَمـامـا[٤]
وراقِـصِ الغُصـنَ وهْـو رَطـبٌ، يَقطُـرُ، أَوْ طـارِحِ الحَمـامـا
وقـد تَهـادى بهـا نسيـمٌ، حيَّـتْ سُليمـى بهـا سـلامـا
فتِلـكَ أَفْنـانُهـا نَشـاوى، تَشـربَ أَكـوابَهـا قِيـامـا[٥]

(٢١٥)
تحَوَّل رُجُوما

أَلا نَسَـخَ اللهُ القُطـارَ حجـارةً تَصُـوبُ علينـا، والغَمـامَ غُمـومـا[٦]

---

(١) انثلّ العرش: تهدّم ـ الثّلم: الفلّ، وكسر الحدّ ـ الركن: الأساس، الأصل.
(٢) غرّة الصبا: غرور الشباب ـ تحلّى: تزيّن وتجمّل ـ تحلّم: صار حليماً أي عاقلاً رصيناً.
(٣) الحوّة: السواد المستحسن في الشفتين ـ اللّمى: اسمرار الشفّة.
(٤) المدام: الخمر ـ الغمام: السحاب.
(٥) الأفنان: الأغصان، جمع فنن ـ الأكواب: الأقداح جمع كوب.
(٦) نسخ: حول ـ القطار (بضم القاف): القليل من الماء ـ الغموم: جمع غم، الحزن والكآبة.

وكـانَـت سمـاءُ اللهِ لا تُمطِـرُ الحَصـى، لَيـالـيَ كنّـا لا نَطِيـشُ حُلـومـا
فلمّـا تَحـوَّلْنـا عَفـاريـتَ شِـرَّةٍ، تَحـوَّلَ شُـؤبُـوبُ السمـاءِ رُجُـومـا[1]

(٢١٦)
ريّا الأَحِبَّة

لَـكَ اللهُ مِـن سـارٍ إِلـيَّ مُسَلِّـمٍ، فَنـابَ وراءَ الليـلِ عـن أُمِّ سـالِـمِ
يجُـولُ بـه مـاءُ النّضـارَةِ والنَّـدى، كمـا جـالَ مـاءُ البِشـرِ فـي وجـهِ قـادِمِ
تَنفَّس يُهـدي، عـن حبيـبٍ، تَحيَّـةً، هَـزَزنـا لهـا، زهـواً، فُضُـولَ العَمـائـمِ
يُـذَكِّـرنـا رَيّـا الأَحِبَّـةِ نَفحـةً، فنَـذكُـرهُ بـالـدَّمـعِ سُقيـا الغَمـائـمِ[2]

(٢١٧)
بَيْنَ النّار والفَحَم

يـا جـامعـاً لِمسـاويـهِ وطَلعَتِـه بين السَّوادَين: من ظُلمٍ ومن ظُلَمِ
أَمِثلُـهُ جَسَـداً فـي مِثلـهِ حَسـداً، لقـد تـألَّـف بيـنَ النـارِ والفَحَـمِ

(٢١٨)
أُحِبُّهُ

أَرِقـتُ لِـذكـرى مَنـزل، شَـطَّ، نـازحٍ، كلِفَـتُ بـأنفـاسِ الشَّمـال لـه شَمّـاً
فقلـت لبـرقٍ، يَصـدعُ الليـلَ، لامـحٍ: ألا حَـيِّ عنِّـي ذلـكَ الـرَّبـعَ والـرَّسمـا
وأَبلِـغْ قَطيـنَ الـدارِ أَنّـي أُحِبُّـه، علـى النَّـأي، حُبّـاً لـو جَزانـي بـه جَمّـا
وأَقـرِئْ عُفَيـراءَ السَّـلامَ، وقُـلْ لهـا: ألا هَـلْ أرى ذاك السُّهـا قَمـراً تَمّـا؟[3]

---

(١) **تحوّلنا**: صرنا ـ **الشرّة**: الشرّ ـ **الشؤبوب**: المطر الغزير ـ **الرجوم**: الحجارة التي يرجم بها، والشهب التي تقذف بها الشياطين.

(٢) **الريّا**: الرائحة ـ **الغمائم**: السحب الممطرة.

(٣) **عفيراء**: مصغر عفراء ـ **السّها**: من الكواكب الخفية الصغيرة.

وهــل يَتَثنّــى ذلــك الغصــنُ نَضـرةً بجزعِي، وهل أَلوي مَعاطِفَه ضَمّا؟[1]
ومَـن لـي بِـذاك الخِشفِ من مُتقَنَّصٍ، فـآكُلَـهُ عَضّــاً وأَشــرَبَـهُ شَمّــا؟[2]
ودُون الصِّبـا إِحـدى وخَمسـون حِجّـةً، كـأنّـي، وقـد ولّـتْ، أُرِيتُ بهـا حُلْمـا
فيـا لَيْـتَ طَيـرَ السَّعـد يَسنَحُ بـالمُنى، فـأحْظى بهـا سَهمـاً وأَنـأى بهـا قِسمـا
ويـا لَيْتَنـي كنـتُ ابـنَ عشـرٍ وأَربـعٍ، فلـم أَدْعُهـا بِنتـاً ولـم تَـدعُنـي عَمّـا

(٢١٩)

بالحياء مُلثَّم

وأَغَــرَّ يُسفِـرُ، لِلعــوالـي والعُلـى، عــن حُــرِّ وجـهٍ، بـالحيــاءِ مُلَثَّـمِ
يَسـرِي، فيَمسـحُ للـدُّجى عـن صَفحةٍ غَــرّاءَ، تَصــدَعُ كــلَّ ليــلٍ مُظلِـمِ
جَــذلانَ تَحسـبُ وَجهَــه، مُتهلّــلاً، فــي هَبْـوةِ الهيجـاءِ، غُــرَّةَ أَدهَـمِ[3]
زَرَّ الحــديـدُ عليـه جَيـبَ حَمـامـةٍ ورقـاءَ، فـي غَبَـشِ العَجـاجِ الأَقْتَـمِ[4]
فكــأنَّ جِلــدةَ حَيَّــةٍ خُلِعَــت بــه، يـومَ الكـريهـةِ، فَـوقَ عِطفَـي ضَيغَـمِ[5]

(٢٢٠)

أمْسَى هِلالاً

ومُقَنَّــعٍ، بُخــلاً بنَضــرَةِ حُسنِــه، أَمســى هِــلالاً، وهْــو بَـدرُ تَمـامِ
قَبَّلــتُ منــه أُقحُــوانَــةَ مَبسِــمٍ، رَقَّــتْ وراءَ كُمــامَــةِ لِثُمــامِ[6]
ولَثَمــتُ حُمَـرَةَ وَجنَـةٍ تَنـدى حَيـاً، فكَــرَعــتُ فــي بَـردٍ بهـا وسَـلامِ

---

(١) **يتثنّى**: يتمايل، ويتمايس زهواً ـ **الجزع**: موضع.
(٢) **الخشف**: ولد الظبية.
(٣) **الهيجاء**: الحرب.
(٤) **جيب الحمامة**: كناية عن الدرع ـ **العجاج الأقتم**: الغبار الأسود.
(٥) **يوم الكريهة**: الحرب ـ **الضيغم**: السبع.
(٦) **الثّمام**: ضرب من النبات الضعيف العود.

وبكلِّ مَرقَبةٍ مَناخُ غَمامةٍ، مِثلُ الضَّريبِ بها لِحاحُ لُغامِ[1]
رَعدَت، فرجَّعَتِ، الرُّغاءَ، مطِيَّةٌ، لم تَدرِ غيرَ البرقِ خَفْقَ زِمامِ[2]
أوحَت هُناك إلى الرُّبى: أنْ بَشِّري بالرَّيِّ فَرعَ أَراكَةٍ وبَشامِ[3]
وكَفى بِلَمحِ البرقِ غَمزَةَ حاجبٍ، وبصوتِ ذاكَ الرَّعدِ رَجْعَ كلامِ
في ليلةٍ خصِرَت صَباها، فاصطَلى فيها أَخو التَّقوى بنارِ مُدامِ
وأَحَمَّ مُسوَدِّ الإديمِ، كأنَّما خُلعَتْ، عالي عِطفَيهِ، جِلدةُ حامِ[4]
ذاكي لسانِ النَّارِ، يَحسبُ أنَّه برقٌ، تمزَّق عنه جَيبُ غمامِ
فكأنَّ بَدءَ النار، في أَطرافِه، شَفَقٌ لوى يَدَهُ بذَيلِ ظَلامِ

(٢٢١)

أوسَعْتُ الزّمان مَلامًا

وغَريبةٍ، هشَّت إليَّ، غَريرةٍ، فَوددتُ لو نُسِج الضِّياءُ ظَلامَا
طَرأَتْ علَيَّ، مع المشيبِ، تَشوقُني شَيخاً، كما كانَت تَشوقُ غُلامَا
مَقبولةٍ قَبَّلتُها من لَوعةٍ، نَظراً، يكونُ، إذا اعتبَرتُ، كلامَا
عَذَرَتْ، وقد أَحلَلتُها عن نِسوةٍ كِبْراً، وأَوسَعتُ الزمانَ مَلامَا
عَبِقَت، وقد حنَّ الربيعُ على النَّدى، كرَماً، فأهداها إِليَّ سَلامَا

(٢٢٢)

أَصْدَعُ أَحْشاءَ الظّلام

أَمَا وخيَالٍ قد أَطافَ وسَلَّما، لقد هاجَني وَجْدٌ أَناخَ، فخَيَّمَا
وأذْكَرَني عَهداً تَقادَمَ باللِّوى، وعَصراً خَلا بينَ الكَثِيبِ إلى الحِمَى

---

(١) الضريب: الثلج ـ لحاح لغام: ملازمة اللعاب والمقصود القطر أو المطر.
(٢) الرغاء: صوت الإبل شبه صوت الرعد برغاء الإبل ـ الزمام: اللجام.
(٣) البشام: شجر ذو رائحة طيبة.
(٤) الأحم: الأسود، والمراد الموقد ـ حام: من أبناء نوح وهو أصل السودان.

وحَطَّ قِناعَ الصَّبرِ، والليلُ عاكِفٌ، ... فأفْصَح دَمعٌ كانَ بالأمْس أعجَمَا

وبِتُّ، وسِرِّي راكِبٌ ظَهرَ مَدمَعٍ ... طَليقٍ، إذا ما أَنجَدَ الرَّكبُ أَتْهمَا[1]

أُناجي ظَلامَ الليلِ فيه بلَوعَةٍ، ... تَحدَّثَ عنها الطَّيرُ فجراً، فهَينمَا[2]

وأَسحَبُ أذيالَ الدُّجى، فَيَهيجُني ... حمامٌ تداعى، سَحرةً، فتكلَّمَا

وكُنتُ على عَهدِ السُّلُوِّ يَشُوقُني ... حُسامٌ تَغَنَّى، لا حَمامٌ تَرَنَّمَا

أُغازِلُ، مِن سيفٍ تألَّقَ، صفحةً، ... وأَلثُمُ، مِن نَقعٍ أُزاحِمُه، لَمَى

وأَسري فأستَصفي، مِنَ السيف، صاحباً؛ ... وأَركَبُ، من ظهرِ الدُّجنَّة، أَدهَمَا

وأَصدَعُ أحشاءَ الظَّلامِ بِفِتيةٍ، ... مَواكِبَ، منها أَنْجَمَ الليلُ أَنْجُمَا[3]

أَذَعْتُ بِهِمْ سرَّ الصباحِ، وإنما ... سَرَرتُ بهم ليلَ السُّرى، فتبَسَّمَا

وقد كتَمَتْهُم أَضلُعُ البِيدِ ضِنَّةً، ... ولم يكُ سرُّ المجدِ إلاّ ليُكتَمَا

فَبتنا، وبحرُ الليلِ مُلتَطِمٌ بنا، ... نَرى العيس غَرقى والكواكبَ عُوَّمَا[4]

وقد نثَرتْ منها، قِسِيّاً، يدُ السُّرى، ... وفَوَّقَ منّا، فَوقَها، المجدُ أَسْهُمَا[5]

سَحَبتُ الدُّجى منها بأعنَسَ ضامرٍ، ... رَميتُ به رُكنَ الدُّجى فتَهدَّمَا[6]

يُقلِّبُ طَرفاً، في الكواكبِ، سامِياً، ... كأَنَّ به، تحتَ الظلامِ، مُنَجِّمَا

ومِن عَجَبٍ أَني أَرى القوسَ مُنحَنىً ... به، في يد البَيداءِ، والسهمَ مُرتَمَى

وجاذبَني رَجعَ الحنينِ على السُّرى، ... كأَنَّ له قلباً، هناك، مُتيَّمَا

ويُطرِبُه سجعُ الحمامةِ بالضُّحى، ... فيَلوي إليها لِيتَه مُتفَهِّمَا[7]

---

(١) **أنجد وأتهم**: على التوالي أتى بلاد نجد وأرض تهامة.

(٢) **هينم**: غرّد.

(٣) **أنجم الليل**: أطلع نجومه.

(٤) **العيس**: الإبل.

(٥) **القسيّ**: الرماح.

(٦) **الأعنس**: البعير الموثق الخلق.

(٧) **الليت**: الجيد أو صفحته.

وما كان يَدرى ما الحنينُ على النَّوى؟ ... ولكنَّنـــي أَعـــدَيتُـــه، فتَعلَّمَـــا
فما عـاجَ بـي وَجـدٌ على رسمِ مَنزِلٍ، ... فـأعـوَلْـتُ، إلَّا حـنَّ وَجـداً فـأرزَمَـا[1]
ومـا هـاجَنــي إلَّا تـألُّـقُ بـارِقٍ، ... لَبِســتُ بــه بُـردَ الـدُّجُنَّـةِ مُعْلَمَـا
تَلـوَّى هُـدُوّاً يستَطيـرُ، كـأنَّمـا ... أَرُوعُ بـه، مِـن سُـدفَـةِ الليـلِ أَرْقَمَـا
إذا خَـطَّ سَطـراً، بيـنَ عَينَـيَّ، مُـذهَبـاً، ... تَـدارَكَـهُ قَطـرُ الـدموع، فـأعجَمَـا
حَمَلـتُ لـه قَلبـاً جَبـانـاً، ومَـدمَعـاً ... شُجاعـاً، إذا مـا أحجَمَ الصَّبـرُ صَمَّمَا
ويـا عجبـاً لـي كيفَ أجْبُنُ فـي الهوى، ... وإنِّـي لَمِقْـدامٌ، إذا الـذِّمـرُ أَحْجَمَـا[2]
فهـا أنـا أغشي مَـوقفَ البَينِ والـوَغَى، ... فتَنَـدى جُفـونـي عَبـرَةً، ويـدي دَمَـا
وإلَّا فهـــذا غَـــربُ سَيفـــي مُثَلَّمـــاً ... بِكفِّـي؛ وهـذا صَـدرُ رُمحِـيُ مُحَطَّمَـا
فيـا رُبَّ وضَّـاحِ المحـاسِـنِ، أشقَـرٍ، ... رَمَيْـتُ بـه الهَيجـا، وقـد فَغَـرَتْ فمَـا
وبحـرِ حـديـدٍ، قـد تَـلاطَـمَ، أخضـرٍ، ... إذا عَصفَـت رِيـحُ الجِـلادِ بـه طَمَـى
أَبَـى عِـزُّ نفـسٍ أَن يَجُـولَ فيُجْتَلَـى؛ ... وأَشـرَفَ هـادٍ أن يُنـالَ، فيُلجَمَـا[3]
جـرى الحسـنُ مـاءً، فـوقَـه، غيـرَ أنـه، ... إذا مـا جـرى، نـارُ الغَضـا مُتَضَـرِّمَـا
عِـدا، فـاستَنـار البـرقُ لَـونـاً وسـرعـةً، ... وغَبَّـر فـي وجـهِ النهـارِ فغَيَّمَـا
بيـومٍ أرانـي البـرقَ أحمَـرَ قـانيـاً ... بـه، واستَطـارَ النَّقـعُ أَربَـدَ أَقتَمَـا
تَـرى الطِّـرفَ منـه، كلَّمـا خـاض هبـوةً، ... مُحِلًّا، وتَلقى الصارمَ العَضبَ مُحرِمَا[4]

(٢٢٣)

وانتحيْنا مُدامَه

قـامَ يَسعَـى بهـا غُـلامٌ يُغَنِّـي، ... فـانثَنـى خُـوطـةً ونـاحَ حَمـامَـهْ

---

(١) أرزم: حنّ، والمراد أرزمت النّاقة إذا أرسلت صوت حنينها.

(٢) الذّمر: الباسل الشجاع ـ أحجم: تراجع ونكص.

(٣) يجتلى: ينظر إليه، يتأمل ـ الهادي: من أسماء الأسد، والمراد جواده.

(٤) المحرم: خلاف المحل، أي الذي يعطل الحرام.

وانتَحَينا، من طَرفِه ويَديهِ ولمَاهُ ووجنَتَيه، مُدامَهْ
والدُّجى قد لَوى لِواءَ الثُّريّا، وانتضَتْ راحةُ الصباحِ حُسامَهْ
وكأنَّ الغَمامَ، والبرقَ يهفُو، راكِبٌ سَلَّمَ النُّعاسَ زِمامَهْ

(٢٢٤)

أَشْكو إليها

لكَ اللهُ مِن برقٍ تراءَى، فسَلَّما، وصافَحَ رَسماً، بالعُذيبِ، ومَعْلَما[١]
إذا ما تَجاذبنا الحديثَ، على السُّرى، بَكيتُ على حُكمِ الهَوى، وتبَسَّما
ولمَ أَعتَنِق بَرقَ الغَمام، وإنما وضَعتُ على قلبي يَديّ تألُّما
وما شاقني إلاَّ حَفيفُ أَراكَةٍ، وسَجعُ حَمامٍ، بالغُمَيم تَرَنُّما[٢]
وسَرحَةُ وادٍ هَزَّها الشَّوق لا الصَّبا، وقد صَدَحَ العُصفورُ فَجراً، فَهينَما[٣]
أَطَفتُ بها أَشكُو إليها وتَشتكي، وقد تَرجَمَ المُكّاءُ عنها، فأفْهَما[٤]
تَحِنُّ، ودمعُ الشوقِ يَسجُم، والنَّدى، وقَرَّ بَعَينِي أَن تَحِنَّ ويسْجُمَا
وحَسبُك مِن صَبٍّ بَكى وحمامةٍ، فلم يُدرَ شُوقاً أيُّما الصَّبُّ منهُمَا
ولمَّا تَراءَت لي أثافِيُّ منزِلٍ، أَرتني مُحيّا ذلكَ الرَّبعِ أَهيَمَا[٥]
تَرنَّحَ بي لذعٌ، من الشوق، موجعٌ، نَسِيتُ له الصبرَ الجميلَ تألُّما
فأسلَمتُ قلباً باتَ يَهفُو به الهوى؛ وقُلتُ لِدَمعِ العينِ أَنجِدْ، فأتْهَمَا
وخَلَّيتُ دَمعي والجُفونَ هُنيهةً، فأفصَحَ سِرٌّ ما فغرتُ به فمَا
وعُجتُ المَطايا حَيثُ هاجَ بِيَ الهَوى؛ فحيَّيتُ ما بينَ الكَثيبِ إلى الحِمَى

---

(١) **العذيب**: موضع ـ **السّرى**: السير ليلاً.

(٢) **الأراكة**: واحدة الأراك وهو شجر يستاك به ـ **الغميم**: واد في أرض العرب.

(٣) **السرحة**: الشجرة الضخمة ـ **الصّبا**: الريح الناعمة.

(٤) **المكاء**: جمع مكائي، ضرب من الطيور التي ترسل صوتاً كالصفير.

(٥) **الأثافي**: حجارة الموقد ـ **الرّبع الأهيم**: الأسود الحالك.

وقبّلـتُ رَسـمَ الـدارِ حبّـاً لأهلِهـا، وَمـن لـمْ يَجِـد إلاّ صَعِيـداً تيَمَّمَـا[1]
وحنّت رِكابي، والهوى يَبعَث الهَوى، فلَـم أرَ فـي تيمـاءَ إلاّ مُتيّمَـا[2]
فهـا أَنـا والظَّلمـاءُ والعِيـسُ صُحبَـةٌ، تَـرامى بنـا أَيـدي النَّـوى كـلَّ مُـرتَمـى
أُراعِـي نُجـومَ اللّيـلِ حُبّـاً لِبـدرِهِ، ولَسـتُ كمـا ظَـنَّ الخَلـيُّ مُنَجِّمَـا
ومـا راعنَـي إلاّ تبسُّـم شَيبَـةٍ، نَكَـرتُ لهـا وَجـهَ الفَتـاةِ تَجهُّمَـا
فَعِفتُ غُراباً، يصدَع الشَّملَ، أبيضاً، وكـان، علـى عَهـدِ الشبيبَـةِ، أَسْحَمَـا[3]
فـآهِ طـويـلاً ثـمَّ آهِ لِكَبـرَةٍ، بَكَيـتُ علـى عَهـدِ الشبـابِ بِهـا دَمَـا
وقـد صدِئَـتْ مِـرآةُ طَـرفي ومِسمَعي، فمـا أَجِـدُ الأشيـاءَ كـالعَهـدِ فِيهِمَـا
وهـل ثِقَـةٌ فـي الأرضِ يَحفَـظُ خِلَّـةً، إذا غَـدرا بـي: صـاحِبـانِ هُمـا هُمَـا
كـأنْ لَـمْ يَشُقِني مَبسِمُ الصبحِ بـاللّوى؛ ولـم أَرتَشِفْ من سُدفَةٍ، دونه، لَمَى[4]
وَلـم أَطـرُقِ الحسنـاءَ، تَهتـزُّ خُـوطَـةً، وتَسحَـبُ مِـن فَضـلِ الضَّفيـرةِ أرقَمَـا
ولا سِرتُ عَنهـا أَركَـبُ الصّبـحَ أَشهبـاً، وقـد جِئتُ، شـوقاً، أَركَـبُ الليلَ أدهَمَا
ولا جـاذَبَتنِـي الـريـحُ فَضـلَ ذؤابَـةٍ، لَبِسـتُ بهـا ثَـوبَ الشيبـة مُعْلَمَـا[5]

(٢٢٥)

فَٱنْصَاعَ يَنْسَابُ

وظَـلامِ لَيـلٍ لا شِهـابَ بـأفقِـهِ، إلاّ لنَصـلِ مُهنَّـدٍ أو لَهـذَمِ[6]
لاطَمـتُ لُجّتَـهُ بِمـوجَـةِ أشهَـبٍ، يُـرمـى بهـا بَحـرُ الظـلامِ، فتَـرتَمِـي

---

(١) التيمّم: مسح الأطراف والوجه بالتراب إذا لم يوجد الماء الصالح للوضوء من أجل تأدية الصلاة.
(٢) تيماء: موضع في أرض العرب ـ المتيم: العاشق المولّه بالحب.
(٣) الأسحم: الأسود.
(٤) السدفة: (من الأضداد)، وهي بمعنى الضوء والظلام.
(٥) المعلم: ذو العلامة.
(٦) اللهذم: السيف الحادّ القاطع.

قـد سـالَ فـي وجـه الـدُّجُنَّـة غُـرَّةً، فـالليـلُ فـي شِيَـةِ الأغـرِّ الأدْهَـم[1]
أَطلَعـتْ منـه، ومِـن سِنـانِ أزرَقٍ ومُهَنَّـدٍ عَضـبٍ، ثـلاثـةَ أَنْجُـم[2]
إن يَعتكـرِ لَيـلُ العَجـاجَـةِ تَستَتِـرْ، أو يَعتَـرِضْ شَيطـانُ حَـربٍ تُـرجَـم[3]
جـاذَبتُـه فَضـلَ العِنـانِ، وقـد طَغـى، فـانصـاعَ يَنسـابُ انسيـابَ الأرقـم
فـي خُضـرِ عُـودٍ بـالأراكِ مُـوَشَّـحٍ، أو رأسِ طَـودٍ بـالغَمـامِ مُعَمَّـم
أو بحـرِ نَحـرٍ بـالحَبَـابِ مُقَلَّـدٍ، أو وَجـهِ خَـرقٍ بـالضَّـريـبِ مُلَثَّـم[4]
حتـى تَهـادى الغُصـنُ يـأطُـرُ مَتنُـه طَـرَبـاً، لِشَـدوِ الطـائـرِ المُتَـرَنِّـم
وكـأنَّ ضَـوءَ الصبـحِ رايـةُ ظـافِـرٍ، نَفَضَـت بـه الهَيجـاءُ نَضحـاً مِـن دَم[5]

(٢٢٦)

وَأَشْهَرُ لوعَةً

وأَلـزَمتُـه حُكـمَ الهَـوى فـالتَقـى بـه، وبـي أَلِـفٌ عنـدَ العِنـاقِ وَلامُ
وبِتْنـا خَليطَـيْ ضَمَّـةٍ واعتِنـاقَـةٍ، كمَـا خـالَطَـت، مـاءَ الغَمـام، مُـدامُ
تَشُـفُّ بـيَ الشَّكـوى إليـه وتَـرتَقـي، وأَسهَـرُ فيـه لَـوعَـةً وينَـامُ
وأَستكتِـمُ الشِّعـرَ اسمَـه خـوف كـاشِـحٍ، فبينـي وبيـنَ الشعـرِ فيـه ذِمـامُ[6]
فـلا أُنـسَ إلاَّ فـي عُيـونِ قصـائـدٍ تُنَبِّـهُ بـالإنشـادِ، وهْـيَ نيـامُ
ولـمْ يطـوِ شِعـرٌ قَبلَـهُ مـن سَـريـرةٍ، ولكـنَّ أَشعـارَ الكـرام كِـرامُ

---

(١) **الأدهم**: الفرس الأسود اللون.
(٢) **العضب**: السيف القاطع.
(٣) **يعتكر**: يسود ويظلم ـ **العجاجة**: الغبار.
(٤) **الخرق**: الأرض القفراء.
(٥) **نفضت نضحاً من الدم**: يشير إلى الإحمرار الذي يظهر في الأفق الشرقي عند شروق الشمس.
(٦) **الكاشح**: العدو المبغض.

(٢٢٧)

وسرى الهِلالُ

طَـافَ الظـلامُ بـه فـأسـرَجَ أَدهَمـا، وسعـا السِّمـاكُ بـه فـأشـرَعَ لَهـذَمَـا[١]

وسَـرى يطيـرُ بـه عُقـابٌ كـاسِـرٌ، أَمسـى يُـلاعِـبُ مـن عِنـانٍ أَرْقَمَـا[٢]

زَحـمَ الـدُّجى منه بـرُكْنَـيَ هيكـلٍ، لـو كـان زاحَـمَ شـاهقـاً لتَهـدَّمَـا[٣]

فـي سُـدفَـةٍ يَنـدَى دُجـاهـا صَفحـةً، ويَطيـبُ رَيّـاً رِيحُهـا مُتَنَسَّمَـا

فتكـادُ رِيقَـةُ طَلّهـا أن تُحتَسـى رَشْفـاً، ومَبسِـمُ بَـرِقهـا أن يُلثَمَـا[٤]

مِـن ليلـةٍ غَنَّيـتُ فيهـا، أنثَنـي طَـربـاً، وأَسعـدَنـي المطِـيُّ فـأرزَمَـا

وسـرى الهـلالُ يَـدِبُّ فيها عَقـربـاً، وانسـابَ مُنعَطَـفُ المَجـرَّةِ أرقمَـا

وتَلَـدَّدتْ، نحـو الحِمـى، بـي نظـرةٌ عُـذرِيَّـةٌ، ثَنَت العِنـانَ إلـى الحِمَـى[٥]

فلَـويـتُ أعنـاقَ المَطـيِّ مُعَـرِّجـاً؛ ونـزَلـتُ أعتَنِـقُ الأراكَ مُسَلِّمَـا

مُتَنَسِّمـاً نَفَـسَ القَبُـول، وربمـا أورى زِنـادَ الشـوقِ أن أَتنسَّمَـا[٦]

فـأسَلـتُ أحسـاءَ الـدُّمـوعِ عـلامـةً؛ ولـوَيـتُ أحنـاءَ الضُّلـوعِ، تـألّمَـا[٧]

فـي مَنـزِلٍ مـا أوطَـأتُـهُ حـافِـراً عُـرْبُ الجِيـادِ، ولا المَطـايـا مَنسِمَـا

أَكـرَمتُـهُ عـن أن يُنـالَ بِـوطـأةٍ، ولمثلِـهِ مِـن منـزِلٍ أَنْ يُكـرَمَـا

دمَعَـتْ بـه عيـنُ الغَمـامِ صَبـابـةً، ولـربمـا طَـرِبَ الجـوادُ فحَمْحَمَـا

مـا أذكَـرَتنِـي العَهـدَ فيـه أيكـةٌ، إلّا بَكَيـتُ، فسـالَ واديهـا دَمَـا

---

(١) **السّماك**: نجم.

(٢) **أراد بالعقاب الكاسر**: الفرس النشيطة الحثيثة الجري.

(٣) **الهيكل**: الفرس الضخم.

(٤) **الريقة**: الريق، رضاب الثغر ـ **تحتسى**: تشرب ـ **يلثم**: يقبل.

(٥) **تلدّد**: تحير.

(٦) **القبول**: ريح الصّبا الناعمة.

(٧) **أحساء الدموع**: استعارة. وواحد الأحساء الحسي وهو مستنقع الماء أو موضع تجمعه.

وسَجعتُ أندُبُ لَوعَةً، ولربما   صَدَحَ الحَمامُ يُجيبُني، فتَعَلَّما

(٢٢٨)

مِلْ إلى أَيْكَةٍ

أَنعم، فقد هبّتِ النُّعامَى،   ونبّهت رِيحُها الخُزامَى[1]

ومِلْ إلى أيكَةٍ بَليلٍ،   يَهفُو، اهتزازاً بها، قُدامَى[2]

تَهُزُّ أَعطافَها القوافي   لها، وأَكوابُها النَّدامَى

كأنَّ أُمّاً بها رَؤُوماً،   تَحضُنُ، من شَربها، يَتامَى

(٢٢٩)

عَلَى الغُصْنِ سلامُ

ربما استضحَك، الحَبابَ، حبيبٌ   نَقضَتْ، ثَوبَها، عليه المُدامُ

كلَّما مرَّ قاصِراً من خُطاهُ،   يتهادى كما يَمُرُّ الغَمامُ

سلَّم الغُصنُ والكَثيبُ علينا،   فعلى الغُصنِ والكَثيبِ السلامُ

(٢٣٠)

ما راقني كمجدِك

عثر صديق ابن خفاجة الفقيه أبو أمية وأصابه وهن فبعث إليه بهذه القصيدة

بذاتِ المَكارِمِ ذاكَ الألَم؛   وفي اللهِ ما نابَ تلكَ القَدَمْ

فروَّع حتى نُجومَ العَلاءِ،   وضَعضَعَ حتى سماءَ الكَرَمْ

مُهِمّ تَعاطي رُكوبَ السُّرى،   فصمَّمَ يَطرُقُ حتى أَلَمّ

ووافى، يُقَلِّصُ أذيالَه،   ليَعبُرَ لُجَّةَ بحرٍ خِضَمّ

وهاب، فألقى، على وجهِه،   قِناعَ سوادِ الدُّجى، والتَثَمْ

(١) النعامى: ريح جنوبية. الخزامى: زهرة طيبة الرائحة.

(٢) القدامى: طليعة الجيش المتقدّمة.

وأَمَّ يَـــدِبُّ دَبِيـــبَ الكَـــرى، ويَمشِـــي الضَّـــراءَ بـــذاك الحَـــرَمْ[1]
وللسَّعـــدِ طَـــرفٌ بـــه كـــالـــىءٌ، يُـــراعـــي الهِـــزَبـــرَ، ويَحمِـــي الأَجَـــمْ[2]
فمـــا طَـــرَقَ الحـــيَّ حتـــى اتَّقـــى؛ ولا استَقبَـــلَ المجـــدَ حتـــى احتشَـــمْ
وولَّـــى يكُـــدُّ الخُطـــى خَشيـــةً، ويَحـــذَرُ مِمَّـــا اجتـــرى واجتَـــرَمْ[3]
فـــلا زالَ يـــرمـــي، فيُصمِـــي العِـــدى، وتكتَنِـــفُ ابـــنَ عِصـــامٍ عُصَـــمْ[4]
هُمـــامٌ، لِعَيـــنِ الهُـــدى نـــاظِـــرٌ بـــه، ولـــوجـــهِ العُلـــى مُبتَسَـــمْ
أَضـــاف إلـــى مُجْتَلـــىً مُجْتَنَـــى: فبَـــرقٌ يُشـــامُ ورَوضٌ يُشَـــمْ[5]
وفـــاتَ الـــريـــاحَ وطـــالَ الـــرمـــاحَ، فطَـــولٌ عميـــمٌ وطُـــولٌ عَمَـــمْ[6]
يمُـــدُّ بغُـــرِّ الأيـــادي يـــداً، تَصـــاحَـــبَ فيهـــا النَّـــدى والقَلَـــمْ
فيَمحُـــو مِـــدَادَ سَـــوادِ الـــرَّجـــا بمـــا فـــاضَ مِـــن مـــاءِ بيـــضِ النِّعَـــمْ
ويكتُـــبُ، والخَطـــبُ مُستَفحِـــلٌ، فيَـــدفَـــعُ فـــي صَـــدرِ مـــا قـــد أَهَـــمْ
فيـــا رُبَّ حيَّـــةِ وادٍ رقَـــى، هنـــاك، ورُقعـــةِ وشـــيٍ رقَـــمْ
ففـــي وَجـــهِ مَكـــرُمـــةٍ غُـــرَّةٌ تُنيـــرُ، وفـــي أَنـــفِ مَجـــدٍ شَمَـــمْ
وإنَّـــا، إذا مـــا تَصـــدَّى الصَّـــدى، لَنكـــرَعُ فـــي مـــاء تِلـــكَ الشِّيَـــمْ[7]
ونَســـري، وقـــد قَـــرَّ ليـــلُ السُّـــرى، فَنقَبَـــسُ مـــن نـــارِ ذاكَ الفَهَـــمْ

---

(١) **الكرى**: النّوم ـ **مشى الضّراء**: أي مشى متوارياً بين الأشجار.
(٢) **الكالي**: الحافظ الذي يحرس ويرعى ـ الهزبر: الأسد الأجم: جمع الأجمة العرين، مأوى الأسد.
(٣) **اجترا**: مخفف: اجترأ، واجترأ: أقدم بجرأة ـ **اجترم**: اقترف جريمة.
(٤) **يصمي العدى**: يرميهم فيقتلهم ـ تكتنفه: تحيط به ـ **العصم**: جمع العصمة وهي الصون والحفظ من الأذى والشرّ.
(٥) **المجتلى**: المنظر ـ **المجتنى**: ما يجنى ـ مدحه وجعله منهلاً يرده المعتفون وذوو الحاجة.
(٦) **الطّول**: الفضل ـ **العميم**: الشامل ـ **العمم**: الكامل في القوة والفتوة.
(٧) **الصدى**: الظمأ والعطش الشديد ـ **نكرع**: نمد العنق ونتناول الماء بفينا من موضعه ـ **ماء الشيم**: استعارة شخص بها مكارمه وجعلها مورداً يرتوى منه الظامئون.

ولَسنـــــا، وآراؤه أَنجُـــــمٌ، نَصِــلٌ، وغُــرَّتُــه بــدرُ تــمْ

فمــا شِئــتَ مــن سيِّــدٍ أَيِّــدٍ، يَصُــدُّ العِــدى ويَسُــدُّ الثُّلَــمْ

يَغــارُ ويَمنَــعُ مــن غــارَة، فيَحمِـي الحـرِيـمَ ويـرَعـى الحُـرَمْ

ويَغشَــى النَّــديَّ بخُلــقٍ نَــدٍ، تَــرى المــاءَ يَجـري بـه مـن عَلَـمْ

فهَضبَــةُ حِلــمٍ، إذا مــا احتبــى، وقِسطــاسُ عــدلٍ، إذا مـا حَكَـمْ[1]

يَسيــرُ بــه الحَــقُّ سَيــرَ القَطــا، فيَقضِــي ويمضِــي، مُضِــيَّ الخُــذُمْ[2]

يُســدِّدُ حتــى صُــدورَ القَنــا؛ ويَضــربُ حتــى رُؤوسَ البُهَــمْ[3]

ويَهجُــرُ فــي الله حتــى الكَــرى؛ ويــأْلَــفُ فــي الله حتــى نَعــمْ

وحسبُــك مِــن أَوحَــدٍ أمجــدٍ، تُبــاهِــي بــه العُــربُ صِيـدَ العَجَـمْ

سَنِـيُّ العَطـايـا، حفِـيُّ التَّحـايـا، عَلِــيُّ السَّجــايــا، وفِــيُّ الــذِّمَـمْ

يُنَــوِّرُ، بــالبِشــرِ، أَخــلاقَــه، ويَجــري بكفِّيَّــهِ مــاءُ الكَــرَمْ

ويهتَــزُّ، للضيــفِ، خُــدَّامُــه، وتُعـدِي سَجـايـا المَـوالـي، الخَـدَمْ

فَــزُرْهُ تَــزُرْ رَوضــةً غَضَّــةً؛ وحَــيِّ تَجِــدْ هِــزَّةَ الغُصــن، ثَــمْ[4]

ودَعْ عنــكَ مــن جــاهــلٍ ذاهــلٍ، كــأنَّــكَ حَيَّيــتَ منــه صَنَــمْ

فمــا ظُلمَــةُ الجهــلِ إلَّا عَمــىً؛ ولا نَبــوَةُ الفَهــمِ إلَّا صَمَــمْ

ولا شَــرفُ المــرءِ غيــرُ النُّهــى، وإلَّا فحيــثُ الــوُجــودُ العَــدَمْ

ولا العِــزُّ إلَّا اعتِقــالُ القَنــا، وضَــربُ الطُّلــى، واعتِسـافُ الظُّلَـمْ[5]

وجَــوبُ الفُجــاجِ، وخــوضُ الهِيــاجِ، وشَــقُّ العَجــاجِ، ووَطءُ القِمَــمْ[6]

---

(١) **الحلم**: الوقار والتعقل ـ **القسطاس**: الميزان.

(٢) **القطا**: طائر يشبه الحمام ـ الخذم: جمع الخذوم، السيوف الماضية.

(٣) **يسدّد**: يصوب ـ القنا: الرماح ـ البهم: جمع البهمة، الشجاع.

(٤) **ثَمّ (بفتح الثاء)**: هنالك، أي تجد في روضته.

(٥) **اعتسف الظلم**: سار يخبط في الظلام.

(٦) **جاب**: قطع ـ **الفجاج**: جمع فج وهو الطريق بين الجبلين ـ **العجاج**: الغبار، والمراد غبار=

وحسبُ الدُّمى والعِدى أَنّني رَشفتُ اللَّمى، وخضبْتُ اللِّمَمْ
وأَكرَهتُ صدرَ القَنا والظُّبى، فهذا تثنّى وذاك انثَلَمْ
وأَقبلتُ، وجهَ الرَّدى، أَدهماً، رَميتُ الصَّباحَ به، فادلَهَمْ[٤]
كأني، وقد رثَّ ثوبُ الدُّجى، رَتقتُ به خَرقَهُ فالتَأمْ
وليلٍ قدَحتُ به عَزمةً، قدَحتُ الظَّلامَ بها فاضطَرَمْ
وأَوطأتُ أَحشاءَهُ أشقراً، كأني نَفختُ به في ضَرَمْ
كأني، وقد خَبَطَ الليلُ بي، قَدحتُ به شُعلةً في فَحَمْ
ويا رُبَّ ليلٍ جَنيِّ المُنى، شَهيِّ اللَّمى، مُستطابِ اللَّمَمْ
لَهوتُ، ودُون التِماحِ الصباحِ ظلامٌ سَجا، وغمامٌ سَجَمْ
يُمَدُّ الشَّرابُ بِبَردِ الرُّضابِ، وجنحُ الظَّلامِ بسُودِ اللِّمَمْ[١]
وقد كَتَمَ الليلُ سِرَّ الهوى؛ ونَمَّت بما استَودَعَتْهُ النَّسمْ
وأَهْدى، إلى الرَّوضِ، نشرُ الصَّبا سلاماً، يَلُفُّ فُرُوعَ السَّلَمْ[٢]
تَحمَّلَ، من شُكرِ قاضِي القُضاةِ، ثَناءً، تجَسَّمَ طِيباً، فَنمْ
أَرِقتُ، أَغُوصُ، على دُرِّهِ، وقد ماجَ بحرُ الدُّجى والتَطَمْ[٣]
وقَد وَقفَ الليلُ لا يَهتَدي، فتَخطُو بهِ، للِثريَّا، قَدَمْ
وغامَ، فأجهَشَ حتى بكَى سُحَيراً، وأبرقَ حتى التَدَمْ[٤]
ولَمَّا تَرنَّمتُ أَطربتُه بما صُغتُ أُطرِيكُمُ، فابتسَمْ
فيا شمسَ سعدٍ، إذا ما اعتَزَى؛ وكَوكبَ رَجْمٍ، إذا ما اعتَزَمْ
أَبى طَودُ عِزِّكَ من أَن يُضامَ، وأَبطَحُ خُلقِكَ من أَن يُذَمْ

= الحرب ـ وطء: دوس ـ القمم: الأعالي.

(١) **يمدّ**: يمزج ـ **الرّضاب**: الريق ـ **اللّمم**: جمع لّمة، الشعر المجاوز شحمة الأذن.

(٢) **السّلم**: نوع من الشجر يتخذ للدباغة.

(٣) **أرقت**: سهدت، لم أنم ـ **التطم البحر**: هاج موجه.

(٤) **سحيراً**: قبيل الفجر ـ **التدم**: اضطرب.

وإنــي، ومَجــدِكَ، مــا راقَنِــي كمَجــدِكَ، أَعِــززْ بــه مــن قَسَــمْ!

(٢٣١)
الشّفيع الأَكرَمُ

خاطب بهذه الأبيات أبا مدافع العربي مستشفعاً.

يــا أيهــا الطَّــودُ المنيــعُ الأَيْهَــمُ؛ يــا أَيُّهــا البَطَــلُ الكَمــيُّ المُعَلَــمُ[1]

هــا أَنَّ لــي، عنــدَ الليــالي، حــاجــةً، بعُــدَت منــالاً، والليــالــي تَلــؤمُ

والفضــلُ يــأبــى أَن تَفُــوتَ لُبــانَــةٌ، وأَبُــو مُــدافِــعِ الشَّفيــعُ الأكــرَمُ

فــامنُــنْ بهــا يــدَ نعمــةٍ يُــزهــى بهــا، مــن غِــرَّةٍ، هــذا الــزمــانُ الأدهَــمُ

واسلَــمْ بمُعْتَــرَكِ الفــوارِس، والظُّبــى تَحنِــي قــراعــاً، والعَــوالــي تُحطَــمُ

(٢٣٢)
جاءَتْ بها كريمةً

رفع ابن خفاجة هذه القصيدة إلى مريم بن إبراهيم مستشفعاً بها إلى الأمير أبي الطاهر

يَمَّمــتُ مــن عَليــاكَ خيــرَ مُيَمَّــمِ؛ وحلَلــتُ مــن مَغنــاكَ دارَ مُخَيَّــمِ

فخلَعــتُ عــن عُنقــي حَميلــةَ صــارمٍ؛ و أَرَحــتُ نفسي مِــن حُمــالــة مَغــرَمِ[2]

ونــزَلــتُ مــن خِصــبٍ بــأمــرَعِ مَنــزِلٍ؛ وحَللــتُ مــن أَمــنٍ بــرأس يَلَمْلَــمِ[3]

ولئــن تَهــادَتنــي المطــايــا والسُّــرى، وعُبــابُ لُجَّــةِ كــلِّ ليــلٍ مُظلِــمِ

فلقــد سكَنــتُ، ولليــالــي جَــولــةٌ، كُحِلَــتْ، بهبَــوتَهــا، عيــونُ الأنجُــمِ

وكفــى احتِمــاءَ مَكــانَــةٍ، وصِيــانــةٍ، أَنِّــي عَلِقــتُ بــذِمَّــةٍ مــن مَــريــمِ

ذاتِ الأمــانــةِ والــدِّيــانــةِ والتُّقــى، والخُلــقِ الاشــرفِ والطَّــريــقِ الأقــوَمِ

---

(١) **الطود**: الجبل ـ **الأيهم**: الجبل الشاهق الشامخ.

(٢) **حميلة الصارم**: حمالة السيف ـ الحمالة: ما يدفع غرامة، الدية.

(٣) **يلملم**: اسم جبل على مسافة من مكة.

ذاتِ الجلالةِ والجزالةِ والنُّهى، والبيتِ الارفَعِ والنِّصابِ الأكرَمِ
من أُسَرةٍ يتلثَّمونَ إلى الوغى، يومَ الحفيظةِ، بالعَجاجِ الأقتَمِ[1]
من بيتِ عزٍّ، من نبالٍ، حيثُ لا تُلقى بغيرِ مُسوَّدٍ ومُعظَّمِ[2]
مُتهلِّلٍ للطَّارقينَ بَشاشةً؛ أو ضاربٍ رأسَ الكميِّ المُعلَمِ
طلقٍ يَشِفُّ لثامُه عن كوكبٍ مُتألِّقٍ، في الحادث المُتَجهِّمِ[3]
مُتقدِّمٍ في صدرِ كلِّ كتيبةٍ شَهباءَ، يَندى جانباها بالدَّمِ
يَثني بها، عِطفَيه، كلُّ مثقَّفٍ لَدْنٍ، ويَضحكُ كلُّ أبيضَ مِخذَمِ
إن جادَ جادَ هناك حاتِمُ طيِّءٍ أو صالَ صالَ ربيعةُ بنُ مُكَدَّمِ[4]
وإنِ استَجرتَ به استجَرتَ بهَضَبَةٍ، مأوى الطَّريدِ بها وكنزُ المُعدَمِ
لا تعثُرُ الأحياءُ، دُون طُروقِه، إلاّ بِشلوةِ لَهذمٍ أو ضَيغَمِ[5]
تُنمي إليه، من الحرائرِ، حُرَّةٌ، تَغنى بسُؤدُدِ ذاتها أن تنتَمي
مَشهورةٌ في الفَضلِ، قِدماً، والنُّهى، والنُّبلِ، شُهرَةَ غُرَّةٍ في أدْهَمِ
جاءَت بها الغُرُّ الكرامُ كريمةً، لا تَشرَئبُّ إلى بياضِ الدِّرهَمِ
سِطَةُ القِلادةِ رِفعَةً، ومكانُها، من كلِّ مَعلاةٍ، مكانُ اللَّهذَمِ[6]
تُولي الأيادي عن يدٍ نَزَلَ النَّدى «منها بمنزِلَةِ المُحبِّ المُكرَمِ»[7]

---

(١) **الوغى**: الحرب - **يوم الحفيظة**: يوم الذود عن الحرمات - العجاج الأقتم: غبار المعركة الأسود.
(٢) **النبال** (هنا): جمع نبيل، أي ذو الأصالة والنبل.
(٣) **الحادث المتجهم**: الحادث المدلهم.
(٤) **حاتم طيء**: هو الذي يضرب به المثل في الكرم - **ربيعة بن مكدّم**: من الفرسان المعروفين قبل الإسلام.
(٥) **الشلوة**: مؤنث الشلو وهو الجزء من كل جسم - **اللهذم**: السيف - **الضّيغم**: الأسد.
(٦) **السطة**: الواسطة أي واسطة القلادة أو العقد وهي أكبر حباته ودرره.
(٧) الشطر الثاني من معلقة عنترة بن شدّاد، وأول هذا البيت:
ولقد نزلتُ، فلا تظني غيره. . .

من كلِّ عـارِفَـةٍ، كمـا انسجم الحَيـا، ... وافتــرَّ بــارَقُ مُـزنَـةٍ عــن مَبْسِـم
عَلِقَــتْ بهــا، حُــرَّ الثَّنــاءِ، عَقيلَــةٌ ... أَنـدى يَـديـن مـن الغَمـامِ المُـرزِمِ[1]
جـودٌ تَنُـوءُ بـه الـرِّكـابُ على السُّرى، ... مــن مُنجــدٍ أَرجِ الــرِّيــاحِ ومُتْهِـمِ
يَنـدى بــه النَّبــتُ الهَشيــمُ نَضـارةً؛ ... ويَنِــمُّ ذيــلُ الــرِّيــح طيــبَ تَنَسُّـم
خبــطَ البــلادَ يَمُــرُّ غيــر مُغَيِّــمٍ؛ ... فـي حـالـةٍ، ويَصُـوبُ صَـوبَ مُـدَيِّـم[2]
ويَفُــكُّ مــن أَغــلالِ أَسـرى فــاقَــةٍ، ... وفَصِيــحِ قــومٍ فــي مَقــادَةِ أَعجَــم
ملكَــتْ بــه، الأحــرارَ، أَكـرَمُ حُــرَّةٍ، ... بَسَــطَ المُقِــلُّ لهــا يميــنَ المُعْــدَمِ
حمـلَ، الثَّنـاء، بهـا القَـريـضُ، وإنَّمـا ... حَمَــلَ الحَــديــثَ رِوايــةً عــن مُسلِـمَ

(٢٣٣)

رِجالٌ نُجُبٌ

قال هذا الشعر نزولاً عند رغبة السلطان التي أفصح بها وزيره أبو القاسم بن الرقيق طالباً إليه أن يقول شعراً موطّأً له بالغزل، فأنشد:

قُــلْ لِمَسـرى الــريــحِ مــن إِضَـمِ، ... وليــــاليـنــــا بــــذِي سلَــــمِ[3]
طــالَ ليلــي فــي هــوى قمــرٍ، ... نــامَ عـــن ليلــي ولــم أَنَــم
وأَبــــي، حيَّـــاهُ مــــن رَشـــإٍ، ... مُستَطــــابِ اللّثــــمِ والشِّيَــــمِ[4]
لتَســــاوى مــــا بنَظـــرَتِـــه، ... وبِجِسمــــي فيــــه مــــن سَقَــمِ
لا مَسَحــــتُ الجَفــنَ مــن سَهَـرٍ، ... ووَقَيــــتُ القلــــبَ مــــن أَلَــم
ولَئِــــن راوَدْتُ مــــن سِنَـــةٍ ... لِمــــا أَرتــــادُ مِــــن حُلُـــمِ[5]

---

(١) **أندى**: أكثر ندى، أي جواداً وعطاء ـ **الغمام المرزم**: المرعد.
(٢) **المديّم**: المطر الدائم الهطول.
(٣) **إضم، وذو سلم**: موضعان.
(٤) **الرشأ**: ولد الغزال، شبه به المحبوب ـ اللثم: التقبيل.
(٥) **السِّنة**: النّوم، وراودت من سنة أي حاولت النوم ـ **أرتاد**: أبغي.

وخِيـــالٍ، لـــو سَـــرى لخَبـــا … مـــا بصـــدرِ الصِّـــبّ مـــن ضَـــرَم

فسقَـــى اللهُ مَضـــاجِعنَـــا، … بيـــن طَلـــحِ الجِـــزعِ والسَّلَـــمِ [1]

وبكـــى بـــاكـــي الغَمـــامِ بهـــا، … بيـــنَ مُنهَـــلٍ ومُنسَجِـــمِ

فلكَـــمْ شكـــوى، هنـــاك، لنـــا؛ … ولكَـــمْ نجـــوى بهـــا وكـــمِ . . .

والتئـــامِ بيـــنَ مُعتَنِـــقٍ، … واعتِنـــاقٍ بيـــن مُلتَثِـــمِ

بكـــلامٍ رقَّ جـــانِبُـــه، … بيـــن مَنشـــورٍ ومُنتَظِـــمِ

فتَعـــاقَـــدْنـــا يـــداً، بيـــدٍ؛ … وتعـــاهَـــدْنـــا فمـــاً لفـــمِ

وانتَصفنَـــا مـــن مَظـــالِمِنـــا … وأَخَـــذْنـــا أَخْـــذَ مُحتكِـــمِ

وانثنـــى يَمشِـــي بـــه غُصُـــنٌ، … مـــن جَنـــاهُ نَـــورُ مُبتَســـمِ

وقبِلـــتُ الكـــأسَ مـــن يـــدِه، … فـــاجتَنَينـــا الـــوَرْدَ مـــن عَنَـــمِ [2]

وســـواءٌ دُرُّ منطِقِـــه، … وحُـــلاهُ، حُســـنَ مُنتَظَـــمِ

صَـــمَّ سَمعـــي فيـــه عـــن عَـــذَلٍ؛ … وابـــنُ سِتّيـــنَ أَخُـــو صَمَـــمِ

فـــأرانـــي، لا أَرى صَـــدداً … عَـــن وُلُـــوعٍ، والغَـــرامُ عَمِـــي

أَيـــنَ مـــا عـــانَيـــتُ مـــن شَغَـــفٍ؛ … أَيـــنَ مـــا قضَّيـــتُ مـــن لَمَـــمِ؟

أَيـــن مـــا أَحـــرَزتُ مـــن أَمـــلٍ، … آلَ يَطـــوِينَـــي علـــى أَلَـــمِ؟

هـــلْ لَـــدَيَّ اليـــومَ، منـــه سِـــوى … طُـــولِ قـــرعِ السِّـــنِّ مـــن نَـــدَمِ؟

كـــلُّ رَيّـــانٍ إلـــى ظَمـــإٍ؛ … كـــلُّ وجـــدانٍ إلـــى عَـــدَمِ

أَيُّ شَمـــلٍ غيـــرُ مُنصَـــدعٍ؛ … أَيُّ حَبـــلٍ غيـــرُ مُنصَـــرمِ؟

آهِ تَجـــتَ الليـــلِ مـــن أَرَقٍ، … ووَراءَ البُـــرءِ مِـــن سَقَـــمِ!

مـــالَ بـــي عَـــن عيشَـــةٍ، كَـــرُمَـــتْ، … عُمُـــرٌ، أَدنـــى إلـــى الهَـــرَمِ

عـــاثَ فـــي خَـــطِّ العِـــذارِ بـــه … شـــرَرٌ، قـــد طـــارَ فِـــي فَحَـــمِ

---

(١) **الطلح**: شجر الطلح، الجزع والسلم: موضعان.

(٢) **العنم**: أراد ثمر العنم وواحدته العنمة الحمراء اللون، يشبه بها البنان.

وبَيــاضُ العَيــشِ مُقتَــرِنٌ بسَــوادِ العُــذرِ واللَّمَــمِ[1]
وكَفــانــي مــسُّ فــاقَتِــه أَنْ يُــذِيــعَ الــدَّهــرُ مُهتَضَمِــي
لا لعَمــرِ المَجــدِ والكَــرمِ، ومَضــاءِ السَّيــفِ والقَلَــمِ
قَسمــاً بَــرّاً، ويَشفَعُــه قَسَــمٌ أَرعــاهُ مــن قَسَــمِ
لا يَنــالُ الــدَّهــرُ مــن جِهتَــي، وبــإبــراهيــمَ مُعتَصَمِــي
الإمــامُ المُستقِــلُّ بــه رُكــنُ بيَــتِ الفَضــلِ والكَــرَمِ
والشِّهــابُ المُستضــاءُ بــه فــي دَيــاجِــي الظُّلْــمِ والظُّلَــمِ
مــلءُ نَفسِ الــدَّهــرِ مــن شَــرفٍ، قــد رَســا طَــوداً علــى القِــدمِ
وسمَــاحٌ بــاســطٌ يَــدَه، بــاليــدِ الطُّــولــى مــن النِّعــمِ
مــن قُــريــشٍ فــي الصَّميــم، ومــن فِتيــةِ الهَيجــاءِ فــي القِمَــمِ
حَملَــتْ، زَهــوَ الكــلامِ بــه، دولــةٌ قــامَــت علــى قَــدَمِ
نَهضَــتْ، فــي كــلِّ مُعضِلــةٍ، بــوجــود السَّعــدِ فــي الخــدَمِ
واهتَــدَتْ فــي كــلِّ مَجهلــةٍ، بــأبــي إسحــاقَ مِــن عَلَــمِ
يــا لــهُ مِــن فــارسٍ نَجِــدٍ، لــو نَضَــا عــن صــارِمٍ خَــذِمِ[2]
وارتَــدى منــه، علــى غَضَــبٍ، بحُســامٍ غيــرِ مُنثَلِــمِ
نُضِيَــتْ، يــومــاً، بــه ظُبَتــا مَشــرَفِــيٍّ ليــس بــالقَصِــمِ[3]
كــم مضــى يَفــري، وكــم سَفكَــتْ شَفــرتَــاه مــن عَبيــطِ دَمِ[4]
والحُســامُ المَشــرَفــيُّ هُنــا، رَمــزَةٌ تُــومــي إلــى الحَشَــمِ
ورجــالٌ قــادةٌ نُجُــبٌ، نــزلــوا عــن رُتبــةِ البُهُــمِ

---

(١) اللّمم: الجنون.
(٢) النّجد: الجريء الشجاع ـ الصارم: السيف ـ والصارم الخذم: السيف القاطع.
(٣) ظبتا: مثنى ظبة: حد السيف ـ القصم: السريع العطب والانكسار.
(٤) يفرى: يقطع ـ العبيط من الدماء: الدم الخالص.

وأَحَلُّوا من مَراكِزهِم، واستطارَت خَيلُهم بهِمِ
فتَفرَّى الجيشُ عن مَلِكٍ، سافرٍ عن وَجهِ مُلتَثِمِ
مُقدِمٍ، في الرَّوعِ، مُجتَرِيءٍ، ضارِبٍ بالسيفِ مُقتَحِمِ
وبِهم ما جَرَّ ذلك من كَلْمِ عارٍ، أَو جَنى كَلِمِ
لا تُقَدِّمْ غيرَ مُضطَهَدٍ، وقَريعٍ غيرِ مُهتَضِمِ
صابِرٍ في اللهِ مُحتَسِبٍ، واثِقٍ باللهِ مُعتصِمِ[1]
في ضَمانِ المَشرَفيِّ به، وقعةٌ للعُربِ في العَجَمِ
فتَكَةٌ، في الرُّومِ، قاصِمةٌ ظَهْرَ عزِّ الرُّومِ والصَّنَمِ
يَجمَعُ الضَّربُ التوْامُ، بها، بينَ فَلِّ الرُّومِ والرِّمَمِ[2]
حقُّ حِمصٍ أَنْ تُسَرَّ به أَرضُها من عالِمٍ عَلَمِ
وغَمامٌ، دُونَ رَيِّقِه بَرقُ بِشرٍ غيرُ مُتَّهَمِ
ما ابتدى إلاّ رَأَيتَ به شيخَ رأيٍ في فَتى كَرَمِ
ظَلَّ يَنْدى وَجْهُهُ خَفَراً، وهو ذاكي شُعْلَةِ الفَهَمِ
سخِرَت بالنَّجمِ هِمَّتُه؛ وازدَرَت يُمناهُ بالدِّيَمِ[3]
أَعصَمتْ نفسُ امرىءٍ عَلِقَتْ، منه، بالوُثقى من العِصَمِ
واستجارَت، من مخيَّمِه، بِفِناءِ البَيتِ والحَرَمِ

(٢٣٤)
كم يَدٍ لكَ

قال مادحاً من كنّاه بأبي بكر:

أَسجايا كما تَرِقُّ المُدامهْ، وعَطايا كما تُريقُ الغَمامَهْ

---

(١) محتسب: أي يحتسب خيراً عند الله. معتصم: أي معتصم بالله.
(٢) الضرب التؤام: أي الضرب المضاعف، والواحد منهما التّوأم ـ الفل من الجيش: المنهزمون ـ الرّمم: جمع رمّة ما بلي من العظام.
(٣) الدّيم: جمع ديمة، السحابة الممطرة.

وهجـــومٌ، عليـــه غُـــرَّةُ نصـــرٍ، ونجـــومٌ، عليـــه بُشـــرَى ســـلامَـــهْ

فهَفَـــا النَّصـــلُ أن تُنـــاطَ ظُبـــاهُ، وتـــلا النصـــرُ أن يَسُـــلَّ حُســـامَـــهْ[1]

يـــا أبـــا بَكـــرٍ كـــم يَـــدٍ لـــك، بِكـــرٍ، ســـامَـــتِ الشُّكـــرَ أن تفُـــضَّ خِتـــامَـــهْ

طَـــوَّقتنـــي، وكنـــتُ غيـــر مُحَلَّـــى، فتَغنَّيـــت بـــالمَـــديـــح حَمـــامَـــهْ

فـاركُـض الـدهـرَ سـابحـاً، وانتضِ المِقـ ـدا رسيفـاً، واستصحبِ السّعـد لامَـهْ[2]

(٢٣٥)

أَنْجدَ في طُرُق المَعَالي

ومن مدائحه قوله

تَرى يوسفـاً، في ثوبـهِ، حُسنَ صُورةٍ، وتَسمَـــعُ داوداً، بـــه، مُتـــرنِّمَـــا

تَقلَّـدَ منـه عـاتِـقُ المُلـكِ مُـرهَفـاً، إذا مـا نَبـا العضـبُ المُهَنَّـدُ صَمَّمَـا

مَضـى حيـثُ لـمْ يعلَـق نَجيـعٌ بنَصلِـه، فيَـدمـى، ولـم يَكهَـمْ ظُبـاهُ فيَكهَمَـا[3]

فهـا هُـو، فـي السَّـنِّ، السَّـلامُ تـأخُّـراً، وفـي المَجـدِ عُنـوانُ الكِتـابِ تقَـدُّمَـا

تـواضَـعَ عَـن عِـزٍّ، وأشـرفَ هِمَّـةً، فـأنجَـدَ فـي طُـرقِ المعـالـي وأتهمَـا

لـه عَـزمَـةٌ لـو نَهنَهـتْ صـارمـاً نَبـا، فلـم يَمـضِ، أَو مَـرَّتْ بِطَـوْدٍ تَهـدَّمَـا

ورأيٌ جَـلا بِيـضَ السُّيـوفِ طـريـرَةً، وثَقَّـفَ مَيَّـادَ الـرِّمـاحِ ولَهـذَمَـا

وهـا أَنـا إن تَمـرَضْ بـأرضِـكَ حـاجَـةٌ، فقـد جِئتُ أبغِي منكَ عِيسى بنَ مريَمَا

وغيـرُ بَعِيـدٍ أن أَنـالَ بـك السُّهـى، سُمُـوّاً، إذا كـان اعتنـاؤكَ سُلَّمَـا[4]

فعِـشْ تَخلَـعِ الأمـداحُ ثـوبـاً مُطـرَّزاً عليـك، وحُـرُّ الشُّكـرِ عِقـداً مُنظَّمَـا

فمـا السيـفُ يـومَ الـرَّوعِ نَبَّهـتَ حَـدَّه، فـأضـرمتَـه نـاراً وضـرَّجتـه دَمَـا[5]

---

(١) **الظّبى**: جمع ظبّة: حد السيف ـ **الحسام**: السيف القاطع.

(٢) **انتضى السيف**: استلّه ـ أخرجه من غمده ـ **اللامة**: مخفف: اللأمة، وهي الدرع.

(٣) **النجيع**: الدم ـ لم يكهم السيف أوحده: لم يكل.

(٤) **السهى**: نجم.

(٥) **يوم الروع**: يوم الحرب.

بِـأَلْيَـنَ أَعطـافـاً وأَخشَـنَ مَضـرِبـاً، وأَرهَـبَ إِقـداماً وأَجـدى تَخـذُّمـا[1]
ولا الـرَّوض، غِـبَّ القطر، فضَّضـه النّدى، ورَجَّــع فيــه طــائِــرٌ، فتكلَّمَــا
بــأَطيَـبَ أَفيـاءً. . . وأَنضَـرَ صَفحـةً، وأَعطَــرَ أَخــلاقــاً وأَحلــى تَــرنُّمَــا

(٢٣٦)
كَمْ مِنّة لَكَ

من مدائحه التي قالها يثني على الأمير أبي حسن:

أَلا لَيـتَ أَنفـاسَ الـرِّيـاحِ النَّـواسِـمِ، يُحَيِّيـنَ عنِّـي الـواضِحـاتِ المبـاسِـمِ
ويَـرمِيــنَ أَكنــافَ العَقيــقِ بِنَظــرَةٍ، تَـردَّدُ فـي تلـكَ الـرُّبـى والمَعـالِـمِ[2]
ويَلثُمـنَ، مـا بيـنَ الكَثيـبِ إلى الحِمى، مَـواطِـىءَ أَخفـافِ المَطِيِّ الـرَّواسِـمِ[3]
فمـا أَنسَـهُ لا أَنـسَ يـومـاً بِـذي النَّقـا، أَظَلْنـا بـه، لِلـوَجْـدِ، عَـضَّ الأَبـاهِـمِ
وقفنـا بـه نَشكُـو، وقـد لَـوَتِ النَّـوى معــاطِفَنــا لَــيَّ الغُصــونِ النَّـواعِـمِ
فمَــن مُبلِــغٌ عَنِّــي الشبيبَــةَ، أَننــي لَـوَيـتُ عِنـانـي عـن طُـرُوقِ الجَـرائِـمِ
ومِلــتُ بطـرَفـي عــن فتـاةٍ وقَهـوةٍ؛ وعَطَّلـتُ سَمعـي مِـن مَـلامِ اللَّـوائِـمِ
فمـــا راعَنـــي إِلَّا ومِيــضٌ لِشَيبَــةٍ، تـوقَّـدَ فـي قَطـعٍ مـن الليـلِ فـاحِـمِ
ولا هـــالَنــي إِلَّا نَــذِيــرٌ بــرِحلَــةٍ، مَسَحـتُ لـه، مـن رَوعـةٍ، جَفـنَ نـائِـمِ
تَــولَّــى الصِّبـا، إِلَّا ادِّكـارَ مَعـاهِـدٍ، لـه لَـذعَـةٌ بيـن الحَشـى والحَيـازِمِ[4]
أَطَلـتُ لـه رَجـعَ الحنيـنِ، وربمـا بكيـتُ علـى عَهـدٍ، مضـى، مُتَقـادِمِ
فــإِن غـاضَـتِ الأيـامُ مـاءَ شَبيبَتـي، ومـالَـتْ بغُصُـنٍ، مـن قَـوامِـيَ، نـاعِـمِ
لقـد طـالَ صَـدرُ الـرُّمـحِ منِّـي بهِمَّـةٍ، تَهُــزُّ بهــا العَليــاءُ صَفحــةَ صــارِمِ

---

(١) **التخذم**: التقطيع.
(٢) **أكناف**: جمع كنف، جوانب.
(٣) **الرّواسم**: جمع راسمة وهي الناقة التي تسير سيراً حثيثاً.
(٤) **ادّكار**: مصدر ادّكر أي اذّكر ـ **الحيازم**: جمع حيزوم، وسط الصدر.

لَيـالـيَ نَصـلُ السيـفِ ظفـري، وإنمـا قـوائِـمُ أَبنـاءِ الجَـدِيـلِ قـوادِمـي[1]

أَسيـرُ فيَغشـى بـي دُجَـى الليـلِ هِمَّـةٌ تَهُـمُّ، فـأعْـرَوري ظُهـورَ العـزائِـم[2]

فـرُبَّ ظَلِيـمٍ قـد ذَعَـرتُ، علـى السُّرى، بحَـزوى، وظَبـيٍ قـد طَـرَدتُ بجاسِـمِ[3]

فلـم أدرِ أُمَّ الـرَّأْلِ مـن بنـتِ أَعـوَجٍ؛ ولا ظَبيَـةَ الـوَعسـاءِ مـن أُمِّ سـالـمِ[4]

وإنْ كنـتُ خَـوَّارَ العِنـانِ علـى الهـوى، فـإنـي، علـى الأعـداءِ، صَعـبُ الشَّكـائـمِ

فيـا عَجَبـا أَنْ أُعطِـيَ الظَّبْـيَ مِقـوَدي، وأَدرَأً عنـه فـي نُحـورِ الضَّـراغِـمِ[5]

وأَدهَـمَ مـن لَيـلِ السُّـرى قـد رَكِبتُـه، وأَودَعْـتُ أَسـرارَ السُّـرى صَـدرَ نـائِـمِ

علـى حِيـنَ أَرخـى الـدَّجـنُ فَضـلَ لِثامِـه، علـى كـلِّ أَقنـى، مِـن أُنُـوفِ المَخـارِمِ

وقـد كَمَنـت بِيـض السُّيـوف، وأَشـرَفـت طـلائِـعُ آذانِ الجِيـادِ الصَّـلادِمِ[6]

وكاثَرتُ أَوضاحَ النُّجومِ، على السُّرى، بغُـرٍّ كـرامٍ فـوقَ غُـرٍّ كـرائِـمِ

إذا مـا تَـداعَـوا للكَـريهَـةِ، حَمَّلُـوا صُـدورَ العَـوالـي فـي صُـدورِ المَـلاحِـمِ

وكَـرُّوا، وصـدر السيـف يَـدمـى، فثَلَّمُـوا رِقـاقَ الظُّبـى، بيـنَ الطُّلـى والجَمـاجِـمِ

فمَـن مُبلِـغُ الحسنـاءِ غَنِّـي أَنَّنـي خَلعـتُ نِجـادَ السيـفِ، خَلـعَ التَّمـائِـمِ؟

وكنـتُ، إذا مـا أَعضَـلَ الخَطـبُ، لاجِئـاً إلى كالىءٍ، من مَضرِبِ السَّيفِ، عاصِمِ

فهـا أَنـا لا يُسـرى تُـؤاخِـي، علـى السُّرى، عِنـانـاً، ولا يُمنـى تَلـوذُ بقـائِـمِ

مُنيـخٌ بمَثـوى المَجـدِ مـن ظِـلِّ أَروَعٍ، ودُورُ الأعـادي دارِسـاتُ المَعـالِـمِ

جَـديـرٌ بـإحـرازِ العُلـى، غيـرَ راكِـضٍ، مُغِـذٌّ، وإدراكُ السُّهـى غيـرُ قـائِـمِ

---

(١) **أبناء الجديل**: الإبل المنسوبة إلى جديل وهو من فحول النعمان بن المنذر وهو مضرب المثل عند العرب.

(٢) **اعرورى**: ركب.

(٣) **الظليم**: ذكر النّعامة ـ **السّرى**: السير ليلاً ـ **حزوى**: موضع، ومثله جاسم.

(٤) **الرأل**: ولد النعام ـ **بنت أعوج**: اسم فرس منسوبة إلى أعوج ـ **أم سالم**: اسم امرأة.

(٥) **أدرأ عنه**: أرد عنه، أذود وأدافع ـ **الضراغم**: الأسود.

(٦) **الجياد الصلادم**: جمع صلدم: الفرس القوي الشديد الحافر.

تَهُــزُّ بــه رِيــحُ المَكــارِمِ خُــوطَــةً، تَغُــضُّ بهــا الآمــالُ نُــورَ الــدَّراهِــمِ
كــأنِّــي، وقــد أَسحَبتُــه الحَمــدَ رَيطَــةً، سَننــتُ، علــى عِطفَيــهِ، حُلَّــةَ راقِــمِ
فيــا راكِباً يُزْجِي المَطِيَّ على الوَجى، ويَخبِــطُ أَنفــاسَ الــرِّيــاحِ النَّــواسِــمِ
ويَفحَصُ عن ثَغرٍ، من النَّورِ، ضاحِكٍ، فيُسفِــرُ عــن وَجْــهٍ مــن الجَــدبِ قــاتِــمِ
كفــاك بــذاكَ الطَّــولِ مــن وَبــلِ مُــزنَــةٍ؛ وحسبُــك ذاك البِــرُّ مــن بَــرقِ شــائِــمِ
فــإِن قَــذَفَــتْ يَــومــاً إِليــكَ بــه النَّــوى، وأَدَّتــكَ أَيــدي النَّــاجِيــاتِ الــرَّواسِــمِ
فعَــرِّضْ، مــن العَليــاءِ، فــي رأسِ هضبــةٍ تُــزاحِــم أَشبــاحَ النُّجــومِ العَــواتِــمِ
مــنَ القَــومِ، ســادوا فــي المُهــودِ نَجابــةً، وطَبُّــوا، صِغــاراً، مــن كُلُــوم العظائــمِ[1]
وقــامــوا لأوفــادِ الخُطــوبِ، ودمَّثــوا جَنــابَ الليــالــي للمُلــوك الخَضــارِمِ
فــإِن دَقَّــتِ الهَيجــاءُ أَرمــاحَ حَلبَــةٍ، فثَــمَّ مــن الآراءِ أمضــى لَهــاذِمِ
وإِن هَــدَّتِ الأيــامُ أركــانَ دولــةٍ، فثَــمَّ مــن الأقــلامِ أقــوى دَعــائِــمِ
تــرى بِهِــمُ، مــن هِــزَّةٍ فــي طَــلاقَــةٍ، لِــدانَ العــوالــي فــي بَــريــقِ الصَّــوارمِ[2]
ومــا شِئــتَ مــن آراءِ نُجــحٍ كَــوالِــئٍ، تُســدِّدُ مــن أَطــرافِ سُمــرٍ كــوالِــمِ
تُقلِّــمُ أَظفــارَ المَكــارِهِ تــارةً، وتمسَــحُ طَــوراً عــن وُجــوهِ المكــارمِ
أيــا حَسَــنٍ كــم مِنَّــةٍ لــكَ حُــرَّةٍ، كمــا سَــحَّ صَــوبُ العــارضِ المُتــراكِــمِ
هَــزَزتَ لهــا عِطــفَ القَضِيــبِ، وربمــا سَجَعتَ، لبَثِّ الشَّجو، سَجعَ الحمائمِ
فمــا رَوضــةٌ غَنَّــاءُ فــي رأسِ رَبــوةٍ، تُعَــلُّ بِمُنهَــلٍّ، مــن المُــزنِ، ســاجِــمِ
بــأحســنَ مَــرأى مــن حِــلاكَ لنــاظِــرٍ؛ وأعطَــرَ نَشــراً مــن ثنــاكَ لِنــاظِــمِ

---

(١) طبّوا: من طبّ: داوى ـ **الكلوم**: جمع كلم: الجرح ـ **العظائم**: الخطوب الفوادح.
(٢) **العوالي**: الرماح ـ **الصّوارم**: السيوف.

(٢٣٧)
للهِ دُرّك فارساً

ذكر في هذه الأبيات كيف راجع الوزير أبا جعفر ابن سعد عن شعره:

أَنَفحَـةُ طِيـبٍ مـا تَنَسَّمـتُ أمْ نَظـمُ؛ ... وفضْلَـةُ كـأسٍ مـا تـرشَّفـتُ أم ظَلْـمُ؟[1]

خَطِيـرٌ مـن الشِّعـرِ اشتَمَلـتُ ببُـردِه، ... وقد بَزَّ جسمِي، بُردةَ الصِّحَّةِ، السُّقمُ

يكـادُ يَشِـفُّ الطِّـرسُ عـن نُـور حُسنِه، ... وما فُضَّ، في ثوبِ الدَّياجي، له خَتْمُ

تَفَجَّـر فيــه الطَّبــع فجـراً، وإنمــا ... أَطَـلَّ بــه مــن كـلِّ قـافِيـةٍ نَجْـمُ

ولــو أَنَّ سَمعـاً ثـمَّ يُصغِـي لمَـا درى: ... أَبَيــتٌ يُــرَوَّى أَم يُــراشُ لــه سَهْـمُ

شَفاني،وقد أشفى الضَّنى بي على الرَّدى؛ ... وبعـضُ الكـلامِ الحُـرِّ يُشفـى بـه الكَلَـمُ

فقبَّلــتُ كفّــاً أَتحَفَتنــي بعِلْقـــه؛ ... وحُــقَّ لِكـأس الـرَّاح أَن يُكـرَم الكَـرمُ

وعـانَقـتُ عُنـوانـاً، هنـاك، قـرأتـه، ... وقلـتُ: ألا لَيـتَ التَّمنِّـي هـو الإِسـمُ

أبــا جَعفَـــرٍ للهِ درُّكَ فـــارِســـاً، ... بحيثُ سُطـورُ الشِّعـرِ خيـلٌ لـه دُهْـمُ

(٢٣٨)
ما ضَرّهُ...

جمع في هذه القصيدة بين النسيب والرثاء النادب

أَفِـي مـا تُـؤَدِّي الـرِّيـحُ عَـرْفُ سـلامِ، ... وممَّــا يَشُــبُّ البَــرقُ نــارُ غَــرامِ؟

وإِلاَّ فَمــاذا أَرَّجَ الــرِّيــحَ سحــرَةً، ... وأَذكـى، علـى الأحشـاءِ، لَفـحَ ضِـرامِ؟

أمـا وجُمـانٍ مـن حَـديـثِ عَـلاقَـةٍ، ... يهُــزُّ إليــهِ الشَّيــخَ عِطــفَ غُـلامِ[2]

تَحَلَّـتْ بـه، مـا بيـنَ سَلمـى ومَـربَـعٍ، ... ســوالِــفُ أَيّــامٍ، سَلَفــنَ، كِــرامِ

لقَـد هـزَّنـي فـي رَيطَـةِ الشَّيـبِ هـزَّةً، ... أَرتْنـي ورائِـي، فـي الشَّبـابِ، أَمـامـي

---

(١) النظم: الشعر المنظوم ـ الظّلْم: الريق.

(٢) الجمان: اللؤلؤ، واحدته جمانة ـ العلاقة: صلة الحبّ.

فَلـولا دِفـاعُ اللهِ عُجـتُ مـعَ الهَـوى، ... وجُلـتُ بِـوادِيـه أَجُـرُّ خِطـامـي

وربَّ لَيـالٍ، بـالغَميـم، أَرِقتُهـا، ... لمَرضى جُفونٍ، بالفُراتِ، نِيامِ[1]

يطُـولُ علـيَّ الليـلُ، يـا أُمَّ مـالِـكٍ، ... وكـلُّ لَيـالـي الصَّـبِّ ليـلُ تَمـامِ

ولـمْ أَدرِ مـا أَشجى وأَدعى إلى الهوى: ... أَخفقَـةُ بَـرقٍ أَمْ غِنـاءُ حَمـامِ

إذا مـا استَخَفَّتنـي لهـا أَريَحيَّـةٌ، ... عثَـرتُ بـذَيلَـيْ لَـوعَـةٍ وظَـلامِ

وخَضخَضتُ، دون الحَيِّ، أَحشاءَ ليلةٍ، ... يُخفِّـرُنـي فيهـا ومِيـضُ غَمـامِ

فقَضَّيتُهـا مـا بيـنَ رَشفـةِ لَـوعَـةٍ، ... وأَنَّـةِ شَكـوى، واعتِنـاقِ غَـرامِ

وأَحسَـنُ مـا التفَّـتْ عليـه دُجُنَّـةٌ، ... عِنـاقُ حبيـبٍ عـن عِنـاقِ حُسـامِ

فلَيـتَ نَسيـمَ الـرِّيـحِ رَقـرَقَ أَدمُعـي، ... خِـلالَ دِيـارٍ بـاللِّـوى وخِيـامِ

وعـاجَ علـى أَجـراعِ وادٍ بِـذي الغَضـا، ... فَصـافَـحَ عنِّـي فَـرعَ كـلِّ بِشـامِ[2]

مَسَحـتُ لـه، عـن نـاظـرَيَّ، صَبـابَـةً، ... وأَقلِـلْ بـدَمعـي مِـن قَضـاءِ ذِمـامِ

فيـا عَـرفَ ريـحٍ عـاجَ عـن بَطـنِ لَعلَـعٍ، ... يَجُـرُّ، علـى الأنـداءِ فَضـلَ زِمـامِ

بمـا بَينَنـا بـالحِقـفِ مـن رَمـلِ عـالِـجٍ، ... وفـي مُلتَقـى الأرطَـى بسَفـحِ شِمـامِ[3]

تَلَـذَّذْ بـدارِ القَصـفِ عنِّـيَ سـاعَـةً، ... وأَبلِـغْ نَـدامـاهـا أَعَـمَّ سَـلامِ

وقُـلْ لِغَمـامٍ أَلحَـفَ الأرضَ ذَيلَـهُ، ... فلَـفَّ فُجـاجـاً تحتَـهُ بـإِكـامِ[4]

أَمـا لَـكَ مـن طَـلٍّ يُبَـرِّدُ مَضجَعـي؛ ... أَمـا لَـكَ مـن طَـلٍّ يَبُـلُّ أُوامـي؟

وأَيُّ نَـدًى، أَو بَـردِ ظَـلٍّ لمُـزنَـةٍ، ... علـى عَقْـبِ أَتـرابٍ، رُزِئـن، كِـرامِ

وقَفـتُ وُقـوفَ الشَّـكِّ بيْـنَ قُبـورِهـم ، ... أُعَظِّمُهـا مـن أَعظُـمٍ ورِجـامِ

---

(١) **الغميم**: اسم واد على مسافة من مكة.

(٢) **البشام**: ضرب من الشجر طيب الرائحة، وهو مثل الأراك تتخذ منه المساويك.

(٣) **الحتف وعالج والأرطى**: مواضع ـ سفح شمام: أراد سفح جبل شمام وجميع هذه الأعلام في أرض العرب.

(٤) **الفجاج**: جمع فج: الطريق الواسعة بين جبلين.

وأَنــدُبُ أَشجى رَنَّــةٍ مــن حَمـامَــةٍ؛ وأبكــي وأَقضِــي مــن ذِمـام رِمــامِ[1]

قَضَــوْا بيــنَ وادٍ، للسَّمــاحِ، ومشـرَعٍ، وغــارِبِ عِــزٍّ، فــي العُلــى، وسَنــامِ

ومنتَصِــبٍ، كــالــرُّمــح، هِــزَّةَ عِــزَّةٍ، وفتْكَــةَ بَــأسٍ، واستــواءَ قَــوامِ

ومُنصَلِتٍ، كـالسَّيف، نُصـرَةَ صاحـبٍ، وضحكَــةَ بِشــرٍ، واعتِــزازَ مَقــامِ

ومُنتَقِــلٍ مُستَقبِــلٍ كَعبَــةَ العُلــى، يُصَلِّــي بــأهلِيهــا صَــلاةَ زُؤامِ[2]

تَهِـلُّ لـه، مـن عِفَّــةٍ، فـي طَـلاقَــةٍ، كــأنَّ، ببُــردَيــه، هِــلالَ صِيــامِ

ومــا ضَــرَّهُ أَنْ يَستَسِــرَّ لِعــاتِــمٍ، إذا مــا بَــدا فــي آخِــرٍ بِتَمــامِ[3]

(٢٣٩)

ملء يدي وفمي

قال ابن الصائغ يرثي الأمير أبا بكر بن إبراهيم:

يــا صــدًى بــالثغــرِ جــاوَرَهُ رِمَــمٌ، بُــورِكــت مــن رِمَــمِ[4]

صَبَّحَتْــكَ الخَيــلُ غــادِيَــةً، فــأثــارَتــكَ، فلَــمْ تَــرِمِ[5]

فعارض ابن خفاجة هذا الشعر فقال:

يــا صَــدًى بــالثَّغْــرِ مُــرتَهَنــاً، بمَمَــرِّ الــرِّيــحِ والــدِّيَــمِ[6]

لا أَرى إلَّا أَخــا كَــرَمِ، بــاكِيــاً منــه أَخــا كَــرَمِ

كــم بِصــدري فيــكَ مِــن حُــرَقٍ، وبِكَفِّــي منــكَ مِــن نِعَــمِ

وممّا قاله أيضاً:

لا لَعَمْــرِ المَجــدِ والكَــرَمِ، ومَــزَارِ البَيــتِ والحَــرَمِ

---

(١) **الرمام**: العظام البالية، جمع رمّة.

(٢) **الزؤام**: الموت، وتستعمل اللفظة عادة للميتة الكريهة.

(٣) **يستسر**: يختفي ـ العاتم: الحالك المظلم.

(٤) **الصدى**: الجدث، الجسد بعد الموت ـ الرمم: بقايا العظام، جمع رمة.

(٥) **لم ترم**: أي لم تفر.

(٦) **الدّيم**: جمع ديمة، السحابة الممطرة.

لا سَلَوتُ الدَّهرَ عن مَلِكٍ، طَلْقِ وجهِ العُرفِ والشِّيَمِ
هذه نُعماهُ مِلءُ يَدي، وثَنا رُحمَاهُ مِلءُ فَمي

(٢٤٠)

تنافسُ فيها الملوكُ

استطعمه القاضي أبو إسحاق بن ميمون فراخ حمام وعنباً، فأنشد مداعباً:

بما حُزتَهُ مِنْ شَريفِ النِّظَامِ، وأرهَفتَهُ من حَواشي الكلامِ[1]
تَعالَ إلى الأنسِ في مَجلسٍ، يَهُزُّ به الشيخُ عِطفَيْ غُلامِ
صَقيلٍ تخالُ به بَيضةً، تَرُوقُكَ تحتَ جَناحِ الظَّلامِ
رَطيبِ النَّسيمِ، كأنَّ الصَّبا تُجَرِّرُ فيه ذُيولَ الغَمامِ
يَكادُ سُروراً بأضيافِه يَهَشُّ، فيَلقاهُمُ بالسَّلامِ
وعندي لمِثلِكَ، مِنْ خاطِبٍ، بَناتُ الحَمامِ وأُمُّ المُدامِ[2]
بناتٌ تنافَسُ فيها الملوكُ، وتَلهُو العَذارى بها في الخِيامِ
فقد كِدْنَ يَلقَطنَ حَبَّ القُلوبِ، ويَشرَبْنَ ماءَ عُيونِ الكِرامِ
وصَفراءَ طَلَّقتُ بِنتاً لها؛ وما للكريمِ ومأتى الحَرامِ
أَمُصُّ مَراشِفَها لوعَةً، وأذكُرُ ما بيننا من ذِمامِ[3]
فعُجْ تتَصفَّحْ بديعَ البديعِ، وتلمَحْ سَلامةَ شِعرِ السَّلامي
وعِشْ تَتَثَنَّى انثِناءَ القَضيبِ سُروراً، وتَسجَعُ سجعَ الحَمامِ
ويحمِلُ ثوبُكَ خَطِّيَّهُ، ويَنطِقُ عنكَ لِسانُ الحُسامِ

---

(١) حزت: نلت ـ حواشي الكلام: أطرافه.
(٢) المدام: الخمر.
(٣) الذمام: العهد، الميثاق.

قافية النّون

(٢٤١)
سَقْياً لِوادِيهِم

فيا لَشَجا قَلبٍ، منَ الصَّبرِ، فارِغٍ؛ ويا لقَذَى طَرفٍ، من الدمعِ، مَلآنِ
ونَفسٍ، إلى جَوِّ الكَنيسةِ، صَبَّةٍ؛ وقَلبٍ، إلى أُفقِ الجزيرةِ، حَنَّانِ
تعَوَّضْتُ مِن واهاً بِآهٍ، ومِن هوًى بِهُونٍ، ومن إخوانِ صِدقٍ بِخُوّانِ
وماء كلُّ بيضاءٍ بَرُوقٍ بِشحمَةٍ؛ وما كلّ مرعًى تَرتَعيه بِسُعْدانِ[1]
فيا ليتَ شِعرى! هلْ لِدَهرِيَ عَطفةٌ، فتُجمَعَ أَوطارِي عليَّ وأَوطاني؟
مَيادِينُ أَوطارِي ولَذَّةُ لَذَّتي، ومَنشَأُ تَهيامِي ومَلعَبُ غُزلاني
كأنْ لَمْ يَصِلني فيهِ ظَبْيٌ، يَقومُ لي لَماهُ وصِدغاهُ بِراحي ورَيحاني
فَسَقياً لِوادِيهِمْ، وإن كنتُ إنَّما أَبِيتُ، لِذِكراهُ، بِغُلَّةِ ظَمآنِ
فكم يومِ لَهوٍ قد أَدَرنا، بأفقِه، نُجومَ كُؤوسٍ، بين أَقمارِ نَدمانِ
ولِلقُصبِ والأطيارِ مَلهًى بِجَرعَةٍ، فما شِئتَ من رقصٍ على رَجعِ أَلحانِ
وبالحَضرَةِ الغَرّاءِ غِرٌّ عَلِقتُه، فأحبَبتُ، حُبّاً فيه، قُضبانَ نَعمانِ[2]
رَقيقُ الحَواشِي، في مَحاسِنِ وَجهِه ومَنطِقِه مَسلى قلوبٍ وآذانِ

---

(١) السُّعدان: نبات يكثر في مراعي الإبل.
(٢) القضبان: الأغصان جمع قضيب.

أَغـارُ لِخَـدَّيـه علـى الـورد كلَّمـا ... بَـدا، ولِعِطفَيـه علـى أغصُـنِ البـانِ[1]
وهَبْنِـيَ أَجنِـي وَردَ خَـدٍّ بِنـاظـري، ... فمـن أيـنَ لـي منـه بتُفّـاح لُبنـانِ؟
يُعلِّلُنـي منـهُ، بمَـوعِـدِ رَشفَـةٍ، ... خَيـالٌ لـه يُغـري بِمَطْـلٍ ولَيّـانِ[2]
حبيـبٌ عليـه لِجَّـةٌ مـن صَـوارمٍ، ... عَـلاهـا حَبـابٌ مـن أسِنَّـةِ مُـرّانِ
تَـراءى لنـا فـي مِثـلِ صـورةِ يُـوسُفٍ؛ ... تَـراءى لنـا فـي مِثـلِ مُلـكِ سُلَيمـانِ
طَـوى بُـردُه منهـا صَحيفَـةَ فِتنَـةٍ، ... قرَأنـا لهـا، مـن وَجهِـهِ، سَطْرَ عُنـوانِ
مَحبَّتُـه دينـي ومَثْـواهُ كَعبَتـي، ... ورُؤيَتُـه حَجّـي وذِكـراهُ قُـرآنـي

(٢٤٢)

العَفافُ مِنْ شِيَمي

قُـل للقَبيـح الفِعـالِ: يـا حَسَنـا! ... مَـلأتَ جَفنَـيَّ ظُلمَـةً وسَنَـا[3]
قـاسَمَنـي طَـرْفُـكَ الضَّنـى، أفَـلا ... قـاسَـمَ، جَفنَـيَّ، ذلـك الـوَسَنـا؟
إنـي وإن كُنـتُ هَضبَـةً، جَلَـداً، ... أهتَـزُّ للحُسـنِ، لَـوعـةً، غُصُنَـا[4]
قَسَـوتُ بَـأْسـاً ولِنـتُ مَكـرُمَـةً، ... لـم أَلتَـزِمْ حـالَـةً ولا سَنَنَـا[5]
لَسـتُ أُحِـبُّ الجُـودَ فـي رَجُـلٍ، ... تَحسِبُـه، مـن جُمـودِه، وثَنَـا
لَـم يَكحَـلِ السُّهـدُ جفنَـه كَلَفـاً، ... ولا طَـوَى، جسمَـه، الغَـرامُ ضَنَـى
فمَـن عصـى داعِـيَ الهَـوى فقَسـا، ... وكـانَ جِلـداً، مِـنَ الصَّفـا، خَشِنَـا
فـإنَّنـي، والعَفـافُ مـن شِيَمـي، ... آبـى الـدَّنـايـا وأعشَـقُ الحَسَنَـا
طَـوراً مُنيـبٌ وتـارَةً غَـزِلٌ، ... أبكـي الخَطـايـا وأنـدُبُ الـدِّمَنَـا[6]

---

(١) اللّبان: شجر واحدته البانة، تشبه به قدود الحسان الناعمة.
(٢) الليّان: الذي يلوي عن العهود، ولا يفي بما وعد بل يماطل ويتنصل.
(٣) السنا: النور والضياء.
(٤) الجلد من الجلادة أي القوي الذي يحتمل الشدائد.
(٥) السنن: جمع سنة: الطريقة، النهج.
(٦) المنيب: الذي ينوب إلى الله أي يرجع إليه ويتوب.

إذا اعتَـرَتْ خَشيَـةٌ شَكـا، فبَكـى، أَوِ انتَحَـتْ راحَـةٌ دَنـا فَجَنَـى
كـأنَّنـي غُصـنُ بـانَـةٍ خَضِـلٌ، تَثنيـهِ رِيـحُ الصَّبـا هُنـا وهُنَـا

(٢٤٣)
نَمَّتْ خَمِيلَةٌ

وساقٍ لِخيلِ اللَّحظ، في شأوِ حُسنِه، جِمـاحُ، وللصَّبـرِ الجميـلِ حِـرانُ[١]
تَـرى للصِّبـا نـاراً بخَـدَّيـهِ لَـمْ يَثُـرْ لهـا، مِـن سَـوادَيْ عـارِضَيـهِ، دخـانُ
سقـاهـا، وقـد لاحَ الهـلالُ عشِيَّـةً، كما اعـوَجَّ، فـي دِرعِ الكَمِـيِّ، سِنـانُ
عُقَـاراً نَمـاهـا الكَـرْمُ، فَهْـيَ كـريمـةٌ، ولـم تَـزنِ بـابـنِ المُـزنِ، فَهْـيَ حَصـانُ
وقد جالَ، من جَونِ الغمامةِ أدهَمٌ، لـه البَـرقُ سَـوطٌ والشَّمـالُ عِنـانُ[٢]
وضَمَّـخَ رَدعُ الشمـسِ نَحـرَ حَـديقَـةٍ، عليـه مـن الطَّـلِّ السَّقيـطِ جُمـانُ[٣]
ونَمَّـتْ، بـأسـزارِ الـريـاضِ، خَميلَـةٌ، لهـا النَّـورُ ثَغْـرٌ والنسيـمُ لِسـانُ

(٢٤٤)
كَأَنّها مُقْلَةٌ

وأسـوَدٍ يَسبَـحُ فـي لُجَّـةٍ، لا تَكتِـمُ الحَصبـاءَ غُـدرانُهَـا[٤]
كـأنَّهـا فـي شَكلِهـا مُقلَـةٌ، وذلـك الأسـوَدُ إنسـانُهَـا[٥]

---

(١) **الشأو**: الشوط، الغاية ـ **الحران**: صفة الفرس أو المطيّة الصعبة الانقياد.
(٢) **الجون**: الأسود ـ **الأدهم**: الفرس المائل إلى السواد ـ **العنان**: الزمام.
(٣) **الطلّ**؛ الندى ـ **السقيط**: الساقط ـ **الجمان**: اللؤلؤ، واحدته جمانة.
(٤) **اللجّة**: أكثر الماء ـ **لا تكتم**: لا تخفي ـ يقول إن هذه اللجة صافية وحصاها باد للعين من خلالها.
(٥) **المقلة**: العين ـ **انسان العين**: البؤبؤ الذي في وسطها.

(٢٤٥)
البرقُ سَوْط خافِقٌ

وخَميلَـةٍ قـد أَخمَلَـتْ سِـربـالَهـا ... كفّـا صَنـاعٍ، تَستَهِـلُّ، هَتُـونِ[1]
طَـوَتِ السُّرى، والبَـرقُ سـوطٌ خـافـقٌ ... بيَـدِ الـدُّجى، والـرِّيـحُ ظَهـرُ أَمُـونِ[2]
بُشـرى تَهـادى فـي وِشـاحٍ مُـذْهَـبٍ، ... قَلِـقٍ، وتَسحَـبُ مـن ذُيـولِ جُـونِ[3]
طَبَعَـتْ، علـى النُّـوَّارِ، بيضَ دراهِـمٍ، ... مَـدَّتْ إليـكَ بهـا بَنـانُ غُصُـونِ
فَـرفَلَـتْ، حيثُ تَعثَّـرتْ بـي نَشـوَةٌ، ... فـي ثَـوبِ وَشـيٍ، للـربيـعِ، مَصُـونِ
والأرضُ تَسفُـرُ عـن وُجـوهِ محاسـنٍ ... بيـضٍ، وتَنظُـرُ عـن عُيـونِ عِيـنِ[4]

(٢٤٦)
وشاقَ إلى تُفّاحِ لبنانَ

بعث ابن خفاجة بهذه القصيدة إلى أبي بكر محمّد البطليوسي، عن شعر ورد عليه في العروض والروي:

أَبِشـرُكَ أَم مـاءٌ يَسُـحُّ، وبُستـانُ، ... وذِكـرُكَ أَمْ راحٌ تُـدارُ، ورَيحـانُ؟
وإلَّا فمـا بـالـي، وفَـوديَ أَشمَـطٌ، ... تَلَـوَّيتُ فـي بُـردِي، كـأنّي نَشـوانُ؟
وهـلْ هِـيَ إلّا جُملَـةٌ مـن مَحاسِـنٍ، ... تَغـايَـرُ أَبصـارٌ عَلَيهـا وآذانُ؟
بـأمثـالِهـا مـن حِكمَـةٍ، فـي بَلاغَـةٍ، ... تُحَلَّـلُ أَضغـانٌ، وتُـرحَـلُ أَظعـانُ
وتُنظَـمُ، فـي نَحـرِ المَعـالـي، قِـلادَةٌ، ... وتُسحَـبُ، فـي نـادِي المَفاخِـرِ، أَردانُ
كَـلامٌ، كمـا استشـرَفَـتَ جِيـدَ جَـدايـةٍ، ... وفُصِّـلَ يـاقـوتٌ، هنـاكَ، ومَـرجـانُ[5]

---

(١) **الخميلة**: المعطف المخملي، والخميلة أيضاً البستان ونحوه حيث الشجر كثير وملتف - **الهتون**: المطر.
(٢) **السّرى**: السير ليلاً - **الدجى**: الليل - **الأمون**: الناقة.
(٣) **الذيول**: جمع ذيل - **الجون**: جمع جون: الأسود.
(٤) **العيون العين**: الواسعة والقويّة السّواد.
(٥) **الجيد**: العنق - **الجداية**: الظبية - **المرجان**: من الحجارة الكريمة.

تـدفَّـقَ مـاءُ الطَّبـعِ فيـهِ تـدفُّقـاً، فَجاءَ، كما يصفُو على النَّارِ عِقْيانُ[1]

أَتـانـي يَـرِفُّ النَّـورُ فيـهِ نَضـارةً، ويَكْـرَعُ منـه فـي الغَمـامَـةِ ظمـآنُ

وتَـأخُـذُ عنـهُ صَنعـةَ السِّحـرِ بـابِـلٌ، وتَلـوي إليـه أَخـدَعَ الصَّـبِّ بَغْـدانُ[2]

وجـدتُ بـه ريـحَ الشبـابِ لُـدُونَـةً، ودون صِبـا رِيـحِ الشبيبـةِ أَزمـانُ

وشـاقَ إلـى تُفَّـاحِ لُبنـانَ نفحُـهُ، وهَيهاتَ ، من أَرضِ الجَزيرَةِ ، لُبنانُ

فهـل تَـرِدُ، الأستـاذَ، مِنِّـي تحيَّـةٌ، تَسيرُ كما عاطى، الزُّجاجةَ، نَدمانُ

تَهَـشُّ إليهـا روضَـةُ الحَـزنِ، سَحـرَةً، ويَثْنـي إليهـا، مِـن مَعـاطِفِـه ، البـانُ

تحمَّلهـا، حَمْـلَ السَّفيـرِ، بَنَفْسَـجٌ، تَحمَّلـهُ ، حَمْـلَ السَّريـرَة ، سُـوسـانُ

(٢٤٧)

لا تَقِفْ تَسْأَلُها

دِنْ دِيـنَ مُعتَمِـلٍ فـي اللهِ مُبتَهِـلٍ، وعَـدِّ عـن سِـرِّ عِلـمٍ، ثَـمَّ، مُختَـزَنِ

ولا تَقِـفْ بِطِـوال الكُتْـب تَسـأَلُهـا، فَلَسـتَ تَحظـى بغيـرِ الهَـمِّ والحَـزَنِ

وكُـن، إذا التَقَـت الأرمـاحُ، سـافلَـةً، فـربمـا انـدقَّ صـدرُ العـامِلِ اليَـزَنـي[3]

(٢٤٨)

كُنْتَ ضَنِينا

رَحَلْـتُ عَنكُـم، ولـي فـؤادٌ، تَنفُـض أَضـلاعُـه حَنينـا

أَجْـودُ فِيكـم بِعِلـقِ دَمـعٍ، كنـتُ بـهِ قَبلَكُـم ضَنينـا

يَثُـورُ فـي وَجنَتَـيَّ جَيشـاً، وكـانَ فـي جَفنِـهِ كَمينـا

كـأَنَّنـي، بَعـدَكُـم، شِمـالٌ، قـد فـارَقَـت منكُـمُ يَمينـاً

---

(١) **العقيان**: الذهب الخالص.

(٢) **الأخدع**: وريد في العنق ـ **بغدان**: من أسماء بغداد.

(٣) **اليزني**: نسبة إلى سيف بن ذي يزن، وهو من ملوك اليمن قديماً الذين يعرفون بـ «الأذواء».



قافية الهاء

(٢٤٩)

تارةً وأخرى

أَيُّ عَيشٍ، أَو غِذاءٍ، أَو سِنَهْ، لِابنِ إِحدى وَثمانِينَ سَنَهْ

قَلَّصَ الشَّيبُ بِهِ ظِلَّ امرِئٍ، طالما جَرَّ صِباهُ رَسَنَهْ

تارَةً تَسطُو بِهِ سَيِّئَةٌ تُسخِنُ العَينَ، وأُخرى حَسَنَهْ

(٢٥٠)

قَسَوْتَ قلْباً

يا نُزهَةَ النَّفسِ يا مُناها، يا قُرَّةَ العَينِ يا كَراهَا[١]

أَما تَرى لي رِضاكَ أَهلاً، وهذه حالَتي تَراهَا

فاستَدرِكِ الفَضلَ، يا أَباهُ، في رَمَقِ النَّفسِ، يا أَخاهَا[٢]

قَسوتَ قَلباً ولِنتَ عِطفاً، وعِفتَ من تَمرةٍ نَواهَا[٣]

---

(١) كراها: الكرى: النّوم.

(٢) الرمق: بقية الروح.

(٣) النوى: بزرة التمرة.



قافية الواو

(٢٥١)

أما لديك

دعا في هذه الأبيات إلى اللهو وترك الوقار على العقار

أَمـــا لَـــدَيـــكَ حَـــلاوَهْ؛ أَمـــا عَلَيـــكَ طَـــلاوَهْ؟

طـــايِـــبْ وَداعِـــبْ وَلاعِـــبْ، ودَعْ سجـــايـــا البَـــداوَهْ

فـــإِنَّ أَوحَـــشَ شَـــيءٍ جَســـاوةٌ فـــي غَبـــاوَهْ(١)

---

(١) الجساوة: القساوة والخشونة.



قافية الياء

(٢٥٢)

على غيرِ مَوْعِدٍ

لقد زارَ مَن أَهوى على غيرِ مَوعِدٍ، فَعـايَنْـتُ بَـدرَ التَّـمِّ، ذاكَ التَّـلاقِيَـا
وعـاتَبْتُـه، والعَتَـبُ يَحْلـو حَـديثُـهُ، وقـد بَلَغَـتْ رُوحـي لَـديـهِ التَّـراقِيَـا[١]
فلمّـا اجتَمعنـا قُلـتُ مـن فَـرحِـي بـه، مِـنَ الشِّعـرِ، بَيتـاً، والـدُّمـوعُ سَـواقيَـا
وقـد يَجمـعُ اللهُ الشَّتيتَيْـن، بَعْـدَمـا يَظُنَّـانِ كُـلَّ الظَّـنِّ أَن لا تَـلاقِيَـا[٢]

(٢٥٣)

تجسّم النُّورُ نوراً

للهِ نُـوريَّـةُ المُحَيَّـا، تَحمِـلُ نـارِيَّـةَ الحُمَيَّـا[٣]
والـدَّوحُ رَطْـبُ المَهَـزِّ لَـدْنٌ، قـد رَقَّ رَيّـا وطـابَ رَيّـا[٤]
تَجسَّـمَ النُّـورُ فيـه نَـوراً، فكـلُّ غصـنٍ بـه ثُـرَيّـا

---

(١) **التراقي**: جمع ترقوة، أعلى الصدر.

(٢) **هذا البيت من شعر مجنون ليلى استعمله الشاعر هنا من باب التضمين.**

(٣) **النورية**: نسبة إلى النور ـ **المحيّا**: الوجه ـ أراد بالحميا الخمرة.

(٤) **الدوح**: الشجر الضخم، جمع دوحة ـ **المهز**: الأغصان لاهتزازها ـ اللدن: الغصن اللين ـ **الريّا**: الرائحة الطيبة.

(٢٥٤)

نُطْتُ آمالي . . .

بعث ابن خفاجة إلى أبي بكر يستنهض عزمه في أمر ألمّ به:

أَهُـزُّكَ لا إِنِّـي إخـالُـك نـابِيـاً، وإن كنـتَ مَطـرُورَ الغِـرارِ يَمـانيَـا[1]

ولكـنَّ هَـزَّ السَّيـفِ والسَّـوطِ شِيمَتـي، وإنْ رُعـتُ سَبَّـاقـاً ونبَّهـتُ مـاضِيَـا

ومـا هَـزَّ أَعطـافَ الكـريـمِ إلـى العُلـى كـأروَعَ، شَيحـانٍ، يَهُـزُّ العَـواليَـا[2]

إذا السَّيـفُ لَـمْ يَشـربْ بـه الـدَّمَ قـانِئـاً عَبيطاً، أَبى أَن يَشربَ الماءَ صادِيَا[3]

وقـد نُطْـتُ آمـالـي بِـأبلَـجَ واضِـحٍ، يُجَشِّمُهـا أَمضـى مِـن السَّيـفِ عـارِيَـا

وأَكـرَمَ آثـاراً مـن المُـزنِ غـادِيـاً، وأَشْهَـرَ أَوضـاحـاً مـن البَـدرِ سـارِيَـا

فمـا الغُصـنُ المَطلُـولُ أَشـرفَ بـاسِمـاً، ومادَ، أُصَيلاناً، على الماءِ صافِيَا[4]

بـأَليَـنَ أعطـافـاً، وأَحسَـنَ هَشَّـةً، وأَعطَـرَ أَخـلاقـاً، وأَنـدى حَـواشِيَـا

(٢٥٥)

زمانٌ تقضّى

جمع في هذه القصيدة بين رثاء بعض إخوانه ونـدب حظـه ممّا تقضى من زمانه ومدح الوزير العلاء بن زهر

كَفانـيَ شَكـوى أَن أَرى المَجـدَ شـاكِيـا، وحسـبُ الـرَّزايـا أَن تَـرانِـيَ بـاكِيَـا

أُدَارِي فُـؤاداً، يَصـدَعُ الصَّـدرَ زَفـرَةً، ورَجـعَ أَنِيـنٍ، يَحلُـبُ الـدَّمـعَ سَاجِيَـا

وكيـفَ أُوارى مِـنْ أُوارٍ وَجَـدتُنِـي له صادِراً، عن مَنهَلِ الماءِ، صادِيَا[5]

---

(١) مطرور الغراء: مشحوذ الحدّ.

(٢) الشيحان: الغيور ـ العوالي: الرماح.

(٣) الصادي: العطش.

(٤) أصيلانا: تصغير أصلان من الأصيل وهو الوقت قبيل غروب الشمس.

(٥) الأوار: الحرّ الشديد ـ الصادي: الظمآن.

وهـا أنـا تَلقـانـي الليـالـي، بمِلئِهـا، خُطُـوبـاً، وأَلقـى بـالعَـويـلِ اللَّيـالِيَـا
وتَطوي، على وَخزِ الأشافِي، جَوانِحي، تَـوالِـي رَزايا لا تَـرى الـدَّمـعَ شـافِيَـا[1]
ضَمـانٌ عَليهـا أَن تَـرى القَلـبَ خَـافِقـاً، طِـوالَ الليـالـي، أَو تَـرى الطَّـرفَ دامِيَـا
وإنَّ صَفـاءَ الـوِدِّ، والعَهـدُ بَينَنـا، لَيَكـرَهُ لـي أَن أَشـرَبَ المـاءَ صـافِيَـا
وكـم قَـد لَحَتنـي العـاذِلاتُ جَهـالَـةً، ويَـأتـي المُعَنَّـى أَنْ يُطِيـعَ اللَّـواحِيَـا
فقُلـتُ لَهـا: إِنَّ البُكـاءَ لَـراحَـةٌ، بِـهِ يَشتَفِـي مَـن ظَـنَّ أن لا تَـلاقِيَـا
أَلا إِنَّ دَهـراً قـد تَقـاضـى شَبيبَتـي وصَحبِي لَدهرٌ قد تَقاضى المرازِيَا[2]
وقد كُنتُ أُهدي المَدح، والدارُ غُربَةٌ، فكَيـفَ بـإِهـدائـي إليـهِ المَـراثِيَـا!
أَأَحبـابَنـا بـالعَـدوَتَيـنِ صَمَمتُـمُ، بِحُكـمِ اللَّيـالـي أنْ تُجِيبُـوا المُنـادِيَـا[3]
فقيَّدتُ من شَكوى، وأطلقتُ عَبرتي، وخَفَّضتُ من صَوتِي، هُنالِك، شاكِيَا
وأكبَـرتُ خَطبـاً أن أرى الصبـرَ بـالِيـاً، وَراءَ ظَـلامِ اللَّيـلِ، والنَّجـمَ ثـاوِيَـا
وإن عُطِّـلَ النـادِي بِـهِ مِـن حِـلاكُـمُ، وكـانَ علـى عهـدِ التَّفـاوُضِ حـالِيَـا
ومـا كـانَ أَحلى مُقتضى ذلـكَ الجَنى، وأَحسَـنَ هـاتِيـكَ المَـرامِـي مَـرامِيَـا
وأَنـدى مُحَيَّـا ذلـكَ العَصـرِ مَطلعـاً، وأَكـرَمَ نـادِي ذلـك الصَّحـبِ نـادِيَـا
زَمـانٌ تَـولَّـى بـالمَحَـاسِـنِ عـاطِـرٌ، تكـادُ لَيـاليـهِ تَسيـلُ غَـوالِيَـا
تَقَضَّـى، وأَلقَـى بيـنَ جَنبَـيَّ لَـوعَـةً، أُبـاكـي بهـا، أُخـرى اللَّيـالـي، البَـواكِيَـا
كـأنِّـيَ لَـمْ أَنـسَ إلـى اللَّهـوِ لَيلَـةً، ولَـمْ أَتَصفَّـحْ صَفحَـةَ الـدَّهـرِ راضِيَـا
ولَـمْ أَتَلَقَّ الـرِّيـحَ تَنـدى على الحَشـى، شَـذاءً، ولَـمْ أَطْـرَبْ إلـى الطيـرِ شـادِيَـا
وكانَت تَحايانا، على القُربِ والنَّوى، تَطِيـبُ علـى مَـرِّ اللَّيـالـي تَعـاطِيَـا
فَهَـلْ مِـن لِقـاءٍ مُعـرِضٍ، أَو تَحِيَّـةٍ مَعَ الرَّكب يَغشى، أو مع الطيف سارِيَا!

(١) **الأشافي**: جمع الأشفى: المخرز أي الأداة التي يثقب بها.

(٢) **المرازي**: جمع المرزئة، أي النكبة أو الداهية العظمى.

(٣) **بالعدوتين**: مثنى العدوة: ضفة النهر ـ **والعدوة هي أرض المغرب عند أهل الأندلس**.

فهــا أنــا، والأرزاءُ تَقــرَعُ مَــروِرَةً بصَـدري، وقَلبـاً بيـنَ جَنبَـيَّ حـانِيَـا[1]

أَحِـنُّ، إذا مـا عَسعَـسَ اللَّيـلُ، حَنَّـةً تُـذِيبُ الحَوايـا أو تَفُـضُّ التَّـراقِيَـا[2]

وأُرخِـصُ أعـلاقَ الـدُّمـوعِ صَبـابَـةً، وعَهـدي بـأعـلاقِ الـدُّمُـوعِ غَـوالِيَـا

فَمـا بِنـتُ أَيـكٍ، بـالعَـراءِ، مُـرِنَّـةٌ، تُنـادِي هَـدِيـلاً، قَـد أَضَلَّتـهُ نـائِيَـا

وتَنـدُبُ عَهـداً قَـد تَقَضَّـى بِـرامَـةٍ، ووَكـراً بـأكنـافِ المُشَقَّـرِ خـالِيَـا

بـأخفَـقَ أَحشـاءً، وأنبـا حَشِيَّـةً، وأَضـرَمَ أنفـاسـاً، وأَنـدى مـآقِيَـا[3]

فَهَـلْ قـائِـلٌ عنِّـي لِـوادٍ بِـذِي الغَضـا: تـأَرَّجْ مـعَ الأمسـاءِ حُيِّيـتَ وادِيَـا

وعَلِّـلْ بِـرَيَّـا الـرَّنـدِ نَفسـاً عَليلَـةً، معَ الصُّبحِ يَندى، أَو مع اللَّيلِ هادِيَا

فكَم شاقَني مِن منظَرٍ، فيكَ، رائِقٍ، هَـزَزْتُ لـه مـن مِعطَفِ السُّكرِ صاحِيَا

وضـاحَكَنـي ثَغْـرُ الأقـاحِ ومَبسِـمٌ، فلَـمْ أَدرِ أَيَّ بـانِ ثَـمَّ أقـاحِيَـا[4]

ودُونَ حِلـى تِلـكَ الشَّبيبَـةِ شَيبَـةٌ، جَلَبـتُ بِهـا غَمّـاً ولَـمْ أَكُ خـالِيَـا

وإنَّ أَجَـدَّ الـوَجـدِ وجـدٌ بـأشمَـطٍ، تَلَـدَّد يَستَقـرِي الـرُّسـومَ الخَـوالِيَـا

وتَهفُـو صَبـا نَجـدٍ بـهِ طِيـبَ نَفحَـةٍ، فيَلقـى صَبـا نَجـدٍ بمـا كـانَ لاقِيَـا

فَقُـل لِليـالـي الخِيـفِ: هـل مِـن مُعَـرَّجٍ عَلَينـا، وَلَـوْ طَيفـاً سُقِيـتَ لَيـالِيَـا

ورَدِّدْ بِهـاتِيـكَ الأبـاطِـحِ والـرُّبـى تَحِيَّـةَ صَـبٍّ لَيـسَ يَـرجُـو التَّـلاقِيَـا

فمـا أستَسِيغُ المـاءَ، يَعـذُبُ، ظـامئـاً، وَلا أَستَطِيـبُ الظِّـلَّ، يَبـرُدُ، ضـاحِيَـا

ولَـولا أَمـانٍ عَلَّلَتنـي، علـى النَّـوى، بِلُقيـا ابـنِ زُهـرٍ مـا عَـرَفـتُ الأمـانِيَـا

---

(١) **المروة**: الحجارة. يصف ما أنزل الدهر به من البلايا فيقول بأن المصائب تقرع مروته أي تذيقه الآلام.

(٢) **عسعس الليل**: أظلم واشتدت حلكته ـ التراقي: جمع ترقوة: مقدم الحلق في أعلى الصدر حيث يترقى فيه النَّفَس.

(٣) **الحشية**: الفراش المحشو ـ وقوله: أنبا حشية أي أنه لا يجد الراحة لنبو فراشها بها.

(٤) **البان**: شجر اللبان، واحدته البانة، تشبه بها الأعطاف اللينة في المرأة ـ **الأقاحي**: واحدته الأقحوانة وهي من الزهور التي تبشر بمقدم الربيع.

أخو المَجدِ لم يَعدُل عن النَّجدِ، نازِلاً بـأرضٍ، ولـم يَشمَـخْ مـع العِـزِّ ثـاوِيَـا

تَلُـوذُ بِـرُكنَـيْ حـالِـقٍ منـهُ شـاهِـقٍ، فَتَغشى كَـريمـاً حـامِـلاً عَنـكَ حـامِيَـا[1]

يُسـاجِـلُ طَـوراً كَفُّـه الغَيـثَ غـادِيـاً، ويَحمِـلُ طـوراً دِرعُـه اللَّيـثَ عـادِيَـا

وتَبـأى العُلـى منـه بـأبيـضَ مـاجِـدٍ، يُجـرِّدُ دون المجـدِ أبيـضَ مـاضِيَـا[2]

ويَحطِمُــه مــا بيــن دِرعٍ ومِغْفَــرٍ، وإنْ كــانَ عَضـبَ الشَّفـرَتَيـن يمـانِيَـا

شَـريـفٌ لآبـاءٍ، نَمَتـهُ، شَـريفـةٍ، يَطُـولُ العـوالـي بَسطَـةً والمعـالِيَـا

يُسـابِـقُ أَنفـاسَ الـرِّيـاحِ سَمـاحـةً؛ ويَحمِـلُ أَوضـاحَ الصَّبـاحِ مَسـاعيَـا

إذا نحــنُ أثنَينــا عليهــا وجَــدتُنــا نُحَلِّـي صـدوراً للعُلـى، وهَـوادِيَـا[3]

كفـى قـومَـهُ عَليـاءَ أَن كـان غـايـةً لهـم، وكفـاهُ أنْ يكـونـوا مَبـادِيَـا

تَبــوَّأَ مــن رَســمِ الــوزارةِ رُتبــةً تمنَّـى، مَـراقِيهـا، النجـومُ، مـراقيَـا

وأحـرزَ فـي أُخـرى الليـالـي فَضـائـلاً تُعَـدُّ، علـى حُكـمِ المَعـالـي، أَوالِيَـا

مَكـارِمُ نَستَضحِـي بهـا مـن مُلِمَّـةٍ تَنُـوبُ، ونَستَسقـي الغمـامَ غَـوادِيَـا

لَقِيــتُ بــه، والليــلُ رائِــشُ نَبلِــهِ، أخـا فَهَـمٍ لا يُخطِـىءُ الـرَّأيَ رامِيَـا

وأروَعَ يَنـدى للطَّــلاقــةِ صَفحــةً، ويَقــدَحُ زَنــداً للنَّبــاهَــةِ وارِيَــا

فيَجمَـعُ بيـن المـاءِ أبيـضَ سَلسـلاً يَسُـحُّ، وبيـن الجمـرِ أحمـرَ حـامِيَـا

أَحِــنُّ إليــه حَنَّــةَ النِّيــبِ هَجَّـرَتْ، وقـد ذكَـرت مـاءَ العُضـاهِ صَـوادِيَـا[4]

فيـا ايُّهـا النَّـائـي مـع النَّجـمِ هِمَّـةً، ومَـرقـى خِـلالٍ فـي الـوِزارةِ سـامِيَـا

تـرى فَـرقَـدَ الليـلِ السُّرى منه ثـالثـاً، وتَـرعـى بـه بَـدرَ الـدُّجُنَّـةِ ثـانيَـا

حنـانَيـكَ فـي نـاءٍ شَكَـا مَـسَّ لـوعـةٍ، فسفَّـرَ، مـن شـوقٍ إليـكَ، القَـوافِيَـا

---

(١) **تلوذ**: تلجأ، وتحتمي ـ **الحالق**: العالي ومثله الشاهق ـ **حاميا**: مدافعا.

(٢) **تبأى**: تزهو، تفخر ـ **الأبيض الماضي**: السيف القاطع.

(٣) **الهوادي**: الأعناق جمع الهادي.

(٤) **النيب**: النّوق المسنة جمع الناب ـ **الصوادي**: جمع الصادي العطش.

وحيًّا بها أذكى منَ الرَّوضِ نفحةً، وأرهَف من لَدْنِ النَّسيم حَواشيَا

وقد نَدَبَتْ، من حيثُ لم أدرِ، رُقعةً أُنَمِّقُ، أمْ دَمعاً أُرَقرِقُ جارِيَا

وإنك لَلعَذبُ الفُراتُ على الصَّدى، وإنْ بِنتَ، والبَرُّ الكريمُ أياديَا

شقيقُ النَّدى وابنُ النُّهى وأبو العُلا؛ وحَسبُكَ بَيتاً في المكارِمِ عاليَا

(٢٥٦)

وقَفْتُ أَنْدُبُ رسْماً

أَقوى مَحَلٌّ، مِن شبابِك،آهِلٌ، فوَقَفتُ أَندُبُ منهُ رَسماً عافِيَا[١]

مَثلَ العِذارُ، هُناكَ، نُؤياً داثِراً، واسوَدّتِ الخِيلانُ فيه أَثافِيَا[٢]

(١) **أقوى المكان**: أقفر من ساكنيه ـ **الأهل**: المأهول بالساكنين ـ **الرسم العافي**: الأثر الدارس.

(٢) **النؤي**: حوض يحفر حول الخباء ـ **الخيلان**: جمع الخال، وهو الشامة ـ **الأثافي**: جمع أثفية، حجر الموقد.

فهرس المحتويات

قافية الراء

قافية السين

قافية الصاد

قافية الضاد

قافية العين

قافية الفاء

قافية القاف

قافية الكاف

قافية اللام

قافية الميم

قافية النون

قافية الهاء

قافية الواو

قافية الياء